دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث

تأليف
الدكتور عبد العزيز عوض
أستاذ التاريخ الحديث بجامعة اليرموك

الجزء الأول

دار الجيل
بيروت

مكتبة الرائد العلمية
عمان - الأردن

دِرَاسَاتٌ في
تَارِيخِ الخَلِيجِ العَرَبيِّ الحَدِيث

الطبعة الأولى
١٤١١هـ - ١٩٩١م

الإهداء

إلى ذكرى والدي محمد عوض

«انتقل إلى رحمته تعالى في يوم الأحد ١١ جُمَادى الأولى ١٤٠٤ هـ الموافق ١٢ شباط/ فبراير ١٩٨٤ م».

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

تميّز الخليج العربي قبل اكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر، بموقعه الجغرافي ومركزه التجاري المتوسطين بين الشرق والغرب، حيث ازدهرت الملاحة العربية بين موانئ الخليج العربي وموانئ المحيط الهندي، مستفيدة من الرياح الموسمية الصيفية، حاملة البضائع الهندية والصينية وغيرها من سلع جزر الهند الشرقية وجنوب شرقي آسيا نحو موانئ الخليج العربي والبحر الأحمر والساحل الشرقي لافريقية، ومن الرياح الموسمية الشتوية، حاملة البضائع العربية والفارسية والافريقية وغيرها نحو الموانئ الهندية.

وكانت البضائع الشرقية المنقولة بالسفن العربية عبر المحيط الهندي والخليج العربي ترد إلى البصرة ثم تتجه براً قاصدة حلب مارة ببغداد وحمص وحماة، حيث تنقلها السفن الإيطالية من حلب إلى الموانئ الأوربية ووجدت هذه البضائع وهي في طريقها إلى موانئ البحر المتوسط سوقاً رائجة في موانئ الخليج العربي. وتفوقت التجارة المنقولة عبر الخليج العربي على مثيلتها في البحر الأحمر ـ ذي الشعاب المرجانية والسواحل المجدبة ـ فبلغت ثلاثة أمثالها في معظم الأحيان، على الرغم من قصر المسافة بين السويس والاسكندرية بمقارنتها بين البصرة وحلب، وعلى الرغم من شدة الحرارة خلال فصل الصيف وتعرض القوافل التجارية لغارات القبائل البدوية.

ثم وقع الغزو البرتغالي ـ بما عرف عنه من تعصب صارخ وتنكيل شديد ـ على الساحل العماني وهرمز في العقد الأول من القرن السادس عشر، وما أعقبه من منع السفن العربية من الملاحة في المياه الشرقية إلا بتصريح من السلطات البرتغالية في هرمز وجاوه التي احتكرت التجارة والثروة في الموانئ العربية الخاضعة لسيطرتها، مستغلة تشتت القوى العربية والإسلامية وانصرافها عدة قرون عن تأمين القوة البحرية الكافية لحماية واستمرار تجارتها مصدر ثروتها ورخائها، مما مكّن لشبونة من احتكار التجارة الشرقية خلال القرن السادس عشر والاستحواذ على أكبر قدر ممكن من الأرباح. ولكن بداية القرن السابع عشر شهدت تغييرات جذرية في نطاق الصراع الأوربي على التجارة الشرقية، حيث تمكن الإنكليز والهولنديون من الوصول إلى المياه الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح، وعندئذٍ أخفقت البرتغال في الاستمرار بالاحتفاظ بالسيادة البحرية التي طالما ادعتها في المحيط الهندي.

ونجحت شركة الهند الشرقية الهولندية منذ البداية في إقامة مراكزها التجارية الأولى في جزر الهند الشرقية في الأماكن النائية أو المهجورة متفادية المواجهة العسكرية مع البرتغاليين، ومستفيدة من دعم الحكومة الهولندية لها، ومن استعدادها للمخاطرة، ومن ضعف القوة البرتغالية في الشرق بعد خضوع البرتغال للحكم الاسباني (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠ م) ومن تقديم المساعدة العسكرية للانكليز ضد البرتغاليين في مياه الخليج العربي، ومن الصعوبات التي اعترضت نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية.

ولما ازداد النفوذ الهولندي في الخليج العربي في العقد الخامس من القرن السابع عشر، أرغمت الشركة الانكليزية على نقل وكالتها التجارية من بندر عباس إلى البصرة. وجرى صراع مرير بين الشركتين الهولندية والانكليزية وحقق الهولنديون في البداية انتصارات عسكرية على منافسيهم الانكليز وانفردوا بالسيطرة على التجارة الشرقية، إلى أن أرغموا على التخلي عن مركزهم التجاري المتفوق مع نهاية القرن السابع عشر بسبب الأخطار التي هددت استقلالهم في أوربا بعد اتفاق فرنسا مع إنكلترا ضدهم. وعلى الرغم

من عقد الصلح بين هولندا وانكلترا في عـام ١٦٧٤ م فقد دمـرت فرنسـا الأسطول الهولندي في عام ١٦٧٦ م فاضطرت هولندا للتحالف مع انكلترا في عام ١٦٨٨ م لمقاومة التوسع الفرنسي في أوربا مما أدى بـدوره إلى خضوع المصالح الاقتصادية الهولندية للانكليز وانفرادهم فيما بعد بالسيطرة على منطقة الخليج العربي.

أما فرنسا فتأخرت عن غيرها من القوى الأوربية في المياه الشرقيـة، وكان نشاطها التجاري محدوداً في مياه الخليج العربي، وعلى الرغم من ذلك اقترح «دي لالين» مبعوثها إلى فارس في عام ١٦٦٧ م التحالف مع الشـاه سليـمان (١٦٦٦ - ١٦٩٤ م) للاستيـلاء عـلى مينـاء مسقط واتخـاذه قـاعـدة عسكرية، ولكن النفوذ الفرنسي ظل ضعيفاً في منطقة الخليج العربي لوقوف انكلترا وهـولندا ضده، وللحروب التي كـانت فرنسـا طرفـاً فيهـا في أوربـا وخارجها، وازداد النفوذ الفرنسي ضعفاً خلال الغزو الأفغاني لفارس (١٧٢٢ - ١٧٢٩ م) وما أعقبه من فوضى واضطراب في الأوضاع الداخلية فيها وعندئذٍ اضطر الفرنسيون إلى وقف نشاطهم التجاري مع موانئ الخليج العربي.

ولا بد من القول بأن ازدياد الثروة والرخاء في أوربا الغربية في القرن السابع عشر قد أدى إلى زيادة الـطلب على التـوابل والحـرير والمنسـوجات الشرقية في انكلترا وفرنسا واسبانيا بصفة خاصة. وعـلى الرغم من حـرص حكومات تلك الدول على حماية صناعاتها المحلية وزيادة صادراتها للمحافظة على ثرواتها من الذهب والفضة، فقد ظلّت بضائعها على اختلاف أنواعها لا تجد رواجاً في الشرق.

ويرجع اهتمامي بالخليج العربي وتـاريخه إلى عقـدين من السنين، ثم شغلت عنه ببحوث أخرى في تاريخ بلاد الشـام في العهد العثـماني إلى أن انتدبتني جامعة اليرموك في مهمة علمية للعام الجامعي ١٩٨٠/١٩٨١ م إلى جامعات ومكتبات متخصصة في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية للاستفادة من دور الوثائق فيها، مما مكّنني من جمع مادة كافية لكتابة بحوث في تاريخ

الخليج العربي في القرن السابع عشر آمل أن تنشر قريباً لعلها تلقي بعض الضوء على مرحلة حرجة في تاريخ العرب الحديث وتشجع على ظهور دراسات جديدة.

وبهذه المناسبة أشكر الأساتذة المتخصصين في دراسات الخليج العربي والعاملين في جامعات ومكتبات ودور الوثائق في لندن وواشنطن وميشيغان ولوس أنجلوس وشيكاغو وتوسان ـ أريزونا على المساعدات العلمية والتسهيلات المكتبية التي وفرت بعض الجهد والوقت. والله من وراء القصد».

عبد العزيز عوض

الفصل الأول

البرتغاليون

مقدمة

ثمة عدة عوامل ساعدت البرتغاليين على اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧ نذكر منها:

١ ـ اكتساب البرتغاليين مهارة وخبرة بحرية نتيجة اشتغالهم في الملاحة البحرية في عهد هنري الملاح (١٣٩٤ ـ ١٤٦٠) الذي اشتهر بحقده على الإسلام وبتجريده حملة على مدينة سبتة وأخذها عنوة في عام ١٤١٥؛ ثم قام بحملة أخرى على طنجة في عام ١٤٣٧ ووضع خطة طموحة لتطويق المسلمين في الشرق والتجارة المباشرة مع الهند. ولتحقيق هدفه أسس مدرسة نظامية للملاحين والبحارة جمع فيها كل من تجيش في صدره الروح الصليبية ومن يتصف بالمغامرة وحب المخاطرة في أعالي البحار. كذلك عمل على تحسين صناعة السفن المختلفة وتقويتها وتسليحها بالمدافع، وفي عام ١٤٥٤ منحه البابا نيقولا الخامس الحق في جميع الكشوف التي يقوم بها في الشرق.

٢ ـ رغبة البرتغاليين في الاحتفاظ ببعض جوانب الرفاهية الشرقية التي اعتادوا عليها خلال الحكم العربي ـ الإسلامي للأندلس والذي انتهى بسقوط غرناطة في عام ١٤٩٢ كآخر معقل للعرب والمسلمين في شبه الجزيرة الايبرية، وبعد ذلك تطلع البرتغاليون إلى الفوز بنصيب من تجارة التوابل الغنية

واحتكارها مع الكماليات الأخرى من الشرق[١]. وكانت منطقة مالبار أو كيرالا والتي تمتد من منجالور إلى رأس قومورين على الساحل الغربي للهند تعتبر المنطقة المثلى لإنتاج الفلفل ومنها تقوم السفن بنقله إلى الخليج العربي والبحر الأحمر وتحمل مع الفلفل الأنواع الأخرى من التوابل والمنسوجات الهندية وغيرها.

وكانت قاليقوط مركزاً رئيسياً لتجارة الأفاويه التي شملت الفلفل وحب الهال ومنتجات أخرى من ساحل مالبار بالإضافة إلى توابل أخرى منقولة بحراً من جزر المحيط الهادي؛ كما كانت قاليقوط أيضاً تتمتع بموقع ممتاز مكنها من الاستفادة من الرياح الموسمية. وكان لتجارها علاقات وثيقة مع المجتمعات التجارية العربية التي احتكرت نقل تجارة الأفاويه من الهند إلى الخليج العربي والبحر الأحمر وقامت علاقات خاصة بين حكام قاليقوط وحكام مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية وفارس.

٣ ـ ازدياد قوة الروح الصليبية لدى البرتغاليين بعد المعارك التي خاضوا غمارها ضد العرب والمسلمين في الأندلس. ولذلك كانت المغامرات البرتغالية في المحيط الهندي والخليج العربي امتداداً لها واستمراراً للاندفاع البرتغالي ـ الاسباني ضد العرب والمسلمين[٢] وقد تمثل ذلك في وحشية الأساليب التي اتبعها البرتغاليون في المشرق العربي والتي اتبعها الاسبان في المغرب العربي بدافع من الحماس الصليبي الموروث.

وقد استهدف البرتغاليون القضاء على القوة السياسية للمسلمين في البحار الشرقية والتبشير بالنصرانية في الشرق والرغبة في احتكار تجارة الأفاويه، ومنذ وصول دا جاما إلى الهند في عام ١٤٩٧ أصبحت هذه الأهداف محور السياسة البرتغالية في الشرق، ولكن فيما يتعلق بالتنصير أدرك البرتغاليون عدم قدرتهم على تنفيذه في الشرق فاكتفوا ببناء الكنائس وانشاء الأسقفيات في المناطق الواقعة تحت سلطتهم المباشرة.

(١) Nyrop. Richard F. Area Handbook for The Persian Gulf States. (? 1977) pp. 21-22.

(٢) Hawley, Donald, The Trucial States. (London 1970) pp. 68-69.

٤ ـ تصميم البرتغاليين على اكتشاف بلاد القس والملك النصراني بريسترجون «يوحنا الراهب» المجهولة والتي أثارت اهتمام الأوربيين آنذاك، وكان ملك البرتغال قد أرسل بعثة إلى بريسترجون ـ «ملك الحبشة» ـ رافقت ألفونسو دي البوكيرك الذي أنزلها براً بالقرب من مالندي على ساحل إفريقية الشرقي لتشق طريقها إلى الحبشة برفقة دليل تونسي. وبعد أن عادت البعثة بعد عام أرسلها البوكيرك مرة أخرى ومعها رسائل بالعربية والبرتغالية إلى ملك الحبشة وكان هدف البوكيرك من ذلك الاتصال فرض السيطرة البرتغالية على البحر الأحمر. ولتحقيق هذا الهدف وضع البرتغاليون خطة لإعداد حملة بحرية يشترك فيها ملك فرنسا بقوة عسكرية لاحتلال سواكن، وملك اسبانيا لاحتلال زيلع، وملك البرتغال ليتخذ من مصوع قاعدة لقواته. ولكن هذه الخطة لم تنجح لعدم مشاركة الفرنسيين والاسبان بقواتهم البحرية لتنفيذها كما أن البرتغال طلبت من الحبشة اعتناق المذهب الكاثوليكي، غير أن السكان في الحبشة رفضوا التخلي عن عقيدتهم وبذلك انتهى التحالف بين الحبشة والبرتغال[1].

وكان بارثليمي دياز قد اكتشف رأس «العواصف» الرجاء الصالح في عام ١٤٩٧، وفي ٨ تموز ١٤٩٧ أقلعت أربع سفن برتغالية من ميناء بلم على مصب نهر التاجة بقيادة فاسكو دا جاما حاملاً معه المدفع والصليب شعار القوة البرتغالية في زحفها على الشرق.

وكانت السفينة المسلحة بالمدافع عاملاً بحرياً جديداً في المحيط الهندي حيث أتاحت للبرتغاليين ميزة سريعة وحاسمة على خصومهم من الهنود

---

(١) Ozbaran, Salih. The Ottoman Turks And The Portuguese In The Persian Gulf. 1534-1581. (Journal Of Asian History pp. 45-87 Vol. 6. No.1. 1972) pp. 45-46.

وانظر بانيكار، ك م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٣٠ ـ ٣١، ص ٥٤ ـ ٥٥. وانظر أيضاً الشاطر بصيلى عبد الجليل. الصراع بين الدولة العثمانية وحكومة البرتغال في المحيط الهندي وشرق أفريقية والبحر الأحمر (المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني عشر ١٩٦٤/١٩٦٥ ص ١٢٩ ـ ١٤٠) ص ١٣١ ـ ١٣٣.

والمسلمين في المحيط الهندي. وكانت الدولة العثمانية قد استخدمت المدفعية في أسطولها، ولكنها عند وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي لم يكن لديها أسطول بحري فيه، وعندما تنبهت السلطات العثمانية لذلك التهديد كان البرتغاليون في وضع يستطيعون منه تعزيز بحريتهم باستمرار بينما لم يكن في وسع العثمانيين منافستهم بكفاءة لأن مركز ثقل قواتهم البحرية كان في البحر الأبيض المتوسط بعيداً عن المحيط الهندي.

كما أدخل البرتغاليون إلى المحيط الهندي أيضاً السفن الكبيرة ذات الشراع المربع، والتي تستطيع قطع المحيطات وتحدي الرياح القوية في أعالي البحار بينما لم يكن لدى العرب وغيرهم من الحكام المسلمين إمكانية بناء السفن الكبيرة لعدم توفر الأخشاب المناسبة في بلادهم باستثناء منطقة آسية الصغرى التي تملك أخشاباً مناسبة وإن كانت أقل جودة وملاءمة من الأخشاب الأوربية على ساحل المحيط الأطلسي. وقد أثر ذلك سلبياً على نتائج المعارك البحرية التي خاضها العرب والأتراك العثمانيون ضد السفن الحربية البرتغالية في البحار العربية والجنوبية[1].

وكان فاسكو دا جاما قد وصل ميناء قاليقوط على الشاطئ الجنوبي الغربي للهند في ٢٧ أيار ١٤٩٨ بمساعدة مرشد هندي وضعه حاكم ماليندي تحت تصرفه. وكانت السفن الهندية تتردد قبل ذلك على موانئ الساحل الافريقي الشرقي. وحقق فاسكو دا جاما بوصوله إلى الهند حلماً أوربياً قديماً دأبت الشعوب الأوربية باستثناء البنادقة على تحقيقه مدة قرنين من الزمن[2].

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة، مقدمة تاريخ العرب الحديث (١٥٠٠ ـ ١٩١٨) الجزء الأول. (دمشق، ١٩٦٠) ص ٩.

(٢) هناك شكوك حول قيام شهاب الدين أحمد بن ماجد والذي ولد في جلفار بقيادة سفينة فاسكو دا جاما، لأن ابن ماجد نظم الأراجيز التي نعى فيها حظ العرب وما لحق بهم على يد البرتغاليين، وكان متديناً. انظر، قطب الدين بن أحمد الشهروالي المكي: البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر). تحقيق حمد الجاسر ـ الرياض ١٩٦٧ ص ١٨ ـ ١٩. وانظر أيضاً نوال حمزة يوسف الصيرفي: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي. (الرياض ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م) ص ٨٩ ـ ٩٣. وانظر أيضاً بانيكار ك، م: مرجع سبق ذكره، ص ١٩ ـ ٣٠.

وعاد فاسكو دا جاما إلى لشبونة في أيلول ١٤٩٩.

ولما كان هدف الرحلة الأولى التي قام بها فاسكو دا جاما الكشف والريادة فقد قصر همه على التماس الأذن بالتجارة من حاكم قاليقوط الملقب بالزامورين (الملك) الذي بادر إلى تلبية طلبه، ولكن قادة الأسطول البرتغالي رفضوا دفع الرسوم الجمركية مما دل على المتاعب التي سيواجهها الزامورين في التعامل مع البرتغاليين في المستقبل، كذلك لاحظ فاسكو دا جاما وجود العرب في قاليقوط وأدرك أنه قد التقى في المحيط الهندي بالأعداء العرب من جديد. وكان الزامورين متيقظاً للسياسة البرتغالية في المحيط الهندي بفضل المعلومات التي حصل عليها من التجار المسلمين.

أما الرحلة البرتغالية الثانية، فتألفت من ثلاث وثلاثين سفينة وألف وخمسمئة بحار مع قدر كاف من العتاد الحربي؛ وقصد منها إظهار قوة ملك البرتغال في البحار الشرقية وكانت بقيادة الفاريز كبرال وكانت التعليمات التي أعطيت له تقضي بالتوجه إلى قاليقوط ومطالبة الزامورين بالسماح للبرتغاليين بإنشاء مركز تجاري والسماح لخمسة من الآباء الفرنسيسكان بالتبشير في بلاده. ولكن لم يصل من هذا الأسطول سوى ست قطع بحرية وانتهت هذه الرحلة بالفشل حيث خسر البرتغاليون كثيراً من رجالهم على يد السكان في قاليقوط الذين ساءتهم تصرفات البرتغاليين والذين ردوا بقصف المدينة بالمدافع، وعندئذ جهز الزامورين أسطوله للرد على القصف البرتغالي وأرغم كبرال على الرحيل.

وعلى الرغم من هذا الفشل رفض البرتغاليون التخلي عن المحيط الهندي بل إن ملك البرتغال اتخذ لنفسه لقب «سيد الملاحة والفتح والتجارة ببلاد العرب وبلاد الحبشة وفارس والهند»، وجهز حملة بحرية ثالثة أقوى من سابقتها وعين فاسكو دا جاما قائداً عاماً لها، وطلب منه أن ينفذ بالقوة ادعاء البرتغال بالسيادة على البحار الهندية. وكانت جهود حكومة البرتغال في هذه الفترة مستمرة في تعزيز أساطيلها في البحار الشرقية فكانت الأساطيل البرتغالية متعاقبة دائماً وكان الملاحون على يقين أن مدداً لا ينقطع من السفن والرجال

في طريقه إليهم حاملاً معه النجدة لهم، مما مكنهم من الصمود في وجه أعدائهم في أشد المواقف حرجاً. وتنفيذاً للتعليمات عمد فاسكو دا جاما إلى قطع الطريق على السفن العربية التي كان يلتقي بها في طريقه ويدمرها بعد تفريغ السفن مما فيها من بضائع ثم يشعل النار فيها بعد أن يحظر على العرب الخروج منها.

ولما بلغت الزامورين أنباء القرصنة التي اقترفها فاسكو دا جاما استعد لحرب البرتغاليين. وكان منذ قصف كبرال عاصمته قاليقوط بالمدافع قد أخذ في تقوية أسطوله الذي امتاز بالسرعة ولكنه كانت تعوزه قوة النار التي يتمتع بها الأسطول البرتغالي المجهز بالمدفعية، وعلى الرغم من الانتصار الذي حققه أسطول قاليقوط الهندي على الأسطول البرتغالي حيث أوقف دا جاما الاشتباك معه وأقلع بسفنه عائداً إلى بلاده، فلم يكن في وسع أسطول قاليقوط تعقب الأسطول البرتغالي لأن سفنه لم تكن صالحة للقيام بعمليات عسكرية بعيداً عن قاعدتها ولا تستطيع القتال إلا في المياه الساحلية. وقد استفاد البرتغاليون من نقطة الضعف هذه لدى الأساطيل العربية والهندية إلى أقصى حد ممكن. ولم يكد فاسكو دا جاما يغادر المحيط الهندي حتى وصل إلى مياه قاليقوط أسطول برتغالي آخر من أربع عشرة سفينة تمكنت من مفاجئة أسطول قاليقوط ودمرت جزءاً منه[1].

ثم أرسل ملك البرتغال فرانسيسكو دا الميدا في عام ١٥٠٥ إلى الهند ليتولى منصب نائب الملك فيها (١٥٠٥ ـ ١٥٠٩). وكان ذا قدرة فائقة وذا نفوذ كبير في البلاط البرتغالي. وكان يعارض كل سياسة ترمي إلى التوسع في البر ولكنه يقدر تماماً أهمية حصول البرتغال على السيادة في البحار الهندية، وأدرك ضرورة حصول البرتغال على الهيمنة البحرية وكان يعلم تماماً أن جميع خطط البرتغال لتأسيس امبراطورية تجارية في الشرق إنما تعتمد على تحقيق تلك الهيمنة البحرية.

(١) بانيكار ك، م: مرجع سبق ذكره، ص ٣٨ ـ ٤٢.

ولذلك كان دا الميدا على خلاف مع البوكيرك؛ فبينما يؤيد دا الميدا إنشاء محطات برتغالية على امتداد الطريق التجاري بين الشرق والغرب لأنها لا تحتاج إلا لعدد قليل من القوات العسكرية، كان البوكيرك يؤيد إنشاء مستوطنات برتغالية في الشرق وحشد قوات وجاليات برتغالية فيها. كذلك كان دا الميدا يرى أن من يتحكم في مداخل البحار يستطيع الاشتباك في حرب محدودة أو على نطاق واسع.

البرتغاليون في الخليج العربي

أدرك البرتغاليـون أهمية الاستيـلاء على الخليـج العربي والبحـر الأحمر ليتمكنوا من وقف الملاحة العربية في المحيط الهندي وإغلاق منافـذ التجارة التي يستخدمها العرب والمسلمون في البحر الأحمر والخليج العربي[1]. ولذلك أرسل ملك البرتغال في عام ١٥٠٦ حملة بحـرية أخـرى إلى الشرق بقيادة تريستان دي كونها يرافقه الفونسو دي البوكيرك ومعه أمر بالبحث عن سفن الأعداء المسلمين والتوجه إلى جزيرة سوقطرة لإقامة قلعة فيها لفرض الحصار على مدخل البحر الأحمر ومهاجمة التجار العرب والمسلمين في البحار العربية. وبعد مغامرات بحرية كثيرة وبعض الخسائر وصل تريستان دي كونها إلى ميناء سوقطرة حيث وجد في انتظاره حاكمها السلطان إبراهيم الذي رفض تسليم القلعة، ولذلك استولى البرتغاليون عليها عنوة وقتلوا حاميتها بعد أن دافعت عنها ببسالة ولم يهرب منها أحد. وأصلح تريستان دي كونها القلعة، وسماها قلعة القديس توماس، وعيّن قريبه الفونسو دي نورنها حاكماً عليها[2] وترك معه في القلعـة عدداً من الجنـود والمدافـع من أجل الاحتفـاظ بها بـاسم ملك البرتغال، واتخاذها قاعدة بحرية للتحكم في تجارة البحر الأحمر.

ثم أبحر تريستان دي كونها إلى الهند في آب ١٥٠٦ بعد أن ترك مع

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. (القاهرة، ١٩٧٩) ص ٧٦. وانظر أيضاً، صلاح العقاد: التيـارات السياسيـة في الخليج العربي (القاهرة، ١٩٧٤)، ص ١٤.

(٢) Danvers, F.C. Report On Portuguese Records. (London 1892) pp. 112-113; Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf (? 1966) pp. 141-142.

البوكيرك ست سفن مع الرجـال والمؤن والعتاد وتـرك له الحـرية في تنفيـذ عمليات حربية ضد التجارة الإسلامية.

وأدرك البوكيرك أنه لا يستطيع مهاجمة عدن بمثل هذه القوة الصغيرة كما رأى أن لا فائدة من حصار البحر الأحمر فتوجه نحو خليج عمان ووصل قرب جزيرة مصيره في أواخر آب ١٥٠٦ ثم أبحر بعد ذلك إلى رأس الحاد وبدأ بالعدوان على الموانئ العربية بإشعال النار في السفن التي وجدهـا راسية في خورفكان وتراوح عددها بين ثلاثين وأربعين سفينة[١] كما أحرق حوالي أربعين سفينة في رأس الحاد وقد واجه البوكيرك مقاومة عنيفة من سكان صور شمالي رأس الحاد والتي اشتهر أهلها بالملاحة في الخليج العربي والمحيط الهندي. وقد فوجئ البوكيرك بأهمية مضيق هرمز التجارية والاستراتيجيـة. وكانت هـرمز تسيطر على معظم سواحل الخليج العربي. ومنذ البداية قاد البوكـيرك حملة إرهاب وعنف وحرق وتخريب ضد السواحل العربية الجنـوبية الشرقية. فقد دخل البوكيرك قريات عنوة، وبعد قيامه بمجزرة رهيبة فيها أمر بنهبها وإشعال النار فيها وإحراق ثلاث وثمانين سفينة كانت راسية في مينائها. ثم أبحر إلى مسقط وعندما وصلها أرسل حاكمها وفداً للمفاوضة ولكن البوكيرك قصف المدينة بالمدافع وأنذر السكان بدفع الجزية له خلال وقت قصير وإلا أحرق المدينة ولكنه لم ينتظر انتهاء الموعد الذي حدده لهم بل أحرق المدينة بما في ذلـك المسجد والسفن الـراسية في المينـاء وأخذ عـدداً من الرجـال والنساء أسرى. وبعد أن جدع أنوفهم وقطع آذانهم أطلق سراحهم[٢]. وبعـد أن أحرق البوكيرك مسقط تقدم إلى صحار وعقد معاهدة مع سكانها أصبحـوا بموجبها تابعين للملك البرتغال. وعلى الرغم من حماية صحار بقلاع كثيرة ومنيعة فقد استسلمت للبوكيرك دون مقاومة خوفاً من أن تلقى مصير مسقط والتي

---

(١) Miles, S.B. Op. Cit. pp. 142-143; Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970) p. 70; Barbosa, Duarte. A Description Of The Coasts of East Africa And Malabar In The Beginning of the Sixteenth Century. (Translated by Henry E.J. Stanley (U.S.A. 1970) p. 30.

(٢) Hawley, Donald. Op. Cit. p.70.

كانت مدينة تجارية مزدهرة قبل أن يقوم البرتغاليون بحرقها وتشريد سكانها. ثم تقدم البوكيرك نحو هرمز واستعد ملكها لحرب البوكيرك الذي أحرق المدن التابعة له على الساحل العربي. ولكن الأسطول البرتغالي هزم أسطول هرمز واضطر ملك هرمز إلى الخضوع لملك البرتغال وتقديم جزية له وتعهد بإعفاء البضائع البرتغالية من الرسوم.

ولكن البوكيرك اضطر إلى العودة إلى الهند بعد أن قمع حركة التمرد التي قام بها الضباط في أسطوله لأن كثيراً من ضباطه كان يرغب في الحصول على الثروة وليس القيام بمغامرات بحرية حول سواحل الجزيرة العربية القاحلة. وكان على نائب ملك البرتغال في الهند فرانسيسكو دا الميدا (١٥٠٥ ـ ١٥٠٩) أن يفصل في النزاع بين ضباط الأسطول البرتغالي ويوحد الجهود لمواجهة الأسطول المملوكي في كجرات. ولكن بعد عودة البوكيرك إلى الهند وقع خلاف بينه وبين نائب الملك دا الميدا ورفع الخلاف إلى ملك البرتغال للنظر فيه والعمل على تسويته[1].

وهكذا قام البوكيرك بترويع الموانئ العربية وأصبحت قلهات ومسقط وصحار وصور وقريات محطات برتغالية لحماية هرمز والدفاع عن تجارتها، وبقي نظام الحكم المحلي في هرمز تحت الحماية البرتغالية، ولكن الكثير من السكان غادروا هرمز إلى الموانئ الأخرى في الخليج العربي، مما أثر على ازدهار هرمز وعمرانها السابق للاحتلال البرتغالي. فقد أحست هرمز بالضائقة الاقتصادية بسبب تحكم البرتغاليين بالطرق التجارية المؤدية إليها تنفيذاً لخطتهم التي استهدفت إغلاق الخليج العربي وعزله عن التجارة الشرقية. وباحتلال الموانئ الساحلية في الخليج العربي وتشييد الحصون القوية فيها سيطر البرتغاليون لأكثر من قرن على منطقة الخليج العربي واحتكروا التجارة ومنعوا السفن العربية من

---

(١) Lockhart, Laurence. Persian Cities. (London 1960). p.172; Danvers, F.C. Op. Cit. p.113.

وانظر أيضاً: عبد الكريم غرايبة: مرجع سبق ذكره، ص ١٣ ـ ١٤ ولوريمر، ج.ج: دليل الخليج (القسم التاريخي) الدوحة ١٩٧٥ ؟ ج ١ ص ١٣.

التجارة دون تصريح منهم[1].

وبعد أن أصبح البوكيرك نائباً لملك البرتغال في الهند في تشرين الثاني ١٥٠٩ قرر العودة إلى الخليج العربي مرة أخرى ولكنه لم يتمكن من تنفيذ قراره إلا بعد عدة سنوات لانشغاله في نقل المركز الرئيسي للبرتغاليين إلى جاوه على ساحل المالبار وفي تنظيم القرصنة البرتغالية ضد السفن العربية والإسلامية بقصد اقتلاع جذور النشاط التجاري العربي من المحيط الهندي. كما تحالف البوكيرك مع الهندوس ضد المسلمين في الهند. كذلك انشغل البوكيرك في الاعداد لحملة بحرية على مالقا لمنع التجار العرب من الوصول إلى الشرق الأقصى. وقد صرفه ذلك كله عن معاودة نشاطه في الخليج العربي حتى شباط ١٥١٥ عندما أبحر من جاوه مع أسطول من أربع عشرة سفينة شراعية تقل حوالي ١٥٠٠ جندي برتغالي و٦٠٠ مالباري و٣٠٠ من العبيد فوصل بالقرب من رأس الحاد في ٢١ آذار ١٥١٥. وفي ٢٥ آذار ١٥١٥ وصل إلى قريات وكان حاكمها آنذاك الرئيس حمد ابن أخ الرئيس نور الدين مستشار ملك هرمز[2].

وبعد أن أخضع البوكيرك هرمز في نيسان ١٥١٥ أصبحت الموانئ التابعة لها على الساحل العماني مثل قلهات ومسقط وصحار وغيرها محطات للوكلاء والتجار البرتغاليين الذين عينوا من قبل حاكم هرمز البرتغالي، وقدمت السلطات البرتغالية لهم الحماية الكافية بواسطة الزيارات الدورية التي كانت تقوم بها السفن البرتغالية في طريقها من الهند إلى الخليج العربي حيث كانت تمر بهذه الموانئ أثناء سيرها إلى هرمز والبحرين[3].

وكان البوكيرك قد عيّن في ٢٠ تشرين الأول ١٥١٥ ابن أخيه بيرو قائداً

---

(١) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧ - ١٧٧٨) ترجمة هاشم كاطع لازم. (بغداد، ١٩٧٧) ص ٩. وانظر أيضاً: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وإمارات الساحل العماني (بغداد، ١٩٧٨) ص ٢٢ - ٢٨.

(٢) صلاح العقاد: مرجع سبق ذكره، ص ١٧. والشاطر بصيلي عبد الجليل، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٦ - ١٣٧. وانظر أيضاً: Miles, S.B. Op. Cit. p.154.

(٣) Miles, S.B. Op.Cit. p.156.

لميناء هرمز وأبحر عائداً إلى الهند وتوفي في الطريق قبل وصوله إلى جاوه، وبعد وفاة البوكيرك في كانون الأول ١٥١٥ خلفه لوبو سواريز نائباً للملك في الهند فتوجه قاصداً عدن ودخل البحر الأحمر ووصل جدّة للبحث عن الأسطول المملوكي. وأحرق البرتغاليون زيلع ولكنهم فشلوا مرة أخرى في احتلال عدن، وحطمت العواصف الأسطول البرتغالي وبعثرته، وبذلك ابتعد الخطر البرتغالي عن البحر الأحمر ولكنه بقي قوياً في الخليج العربي[(١)]. وقد تجددت الاضطرابات في مراكز البرتغاليين في فارس والخليج العربي بعد وفاة البوكيرك؛ فقد أدى تعيين موظفين برتغاليين للمراكز الجمركية في هرمز والبحرين وصحار وقريات إلى إثارة سخط السكان مما أغرى ملك هرمز لتنظيم هجوم بري وبحري في وقت واحد على المواقع البرتغالية في الخليج للتخلص من الاحتلال البرتغالي، ولما كان الهجوم مفاجئاً للبرتغاليين فقد لحقت بهم خسائر جسيمة في الأرواح.

كما أدى استيلاء البوكيرك على هرمز في عام ١٥١٥ إلى استياء الشاه إسماعيل الأول الصفوي لاسيما بعد أن رفض ملك هرمز بناء على طلب البوكيرك الاعتراف بالسيادة الفارسية على هرمز وأرسل البوكيرك رداً قاسياً للشاه مع رسالة من ملك هرمز يرفض فيها إعلان الولاء له، مما أغاظ الشاه ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً من شأنه أن يؤثر في مركز البرتغاليين في هرمز والخليج العربي لانشغاله في حرب مع العثمانيين[(٢)]. وقام البرتغاليون بجباية الأعشار من هرمز وأرسلوها إلى ملك البرتغال، وقد بلغ مقدارها مئة ألف فلورين[(٣)]. ولذلك اضطر الشاه إسماعيل الأول إلى الاتفاق مع البوكيرك على ما يلي:

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠ - ٢١.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣ - ١٥. وانظر أيضاً: Lockhart, Laurence. Op. Cit. pp. 172-173.

(٣) Özbaran, Salih. A Turkish Report On The Read Sea And The Portuguese In The Indian Ocean (1525) pp. 81-88 (Arabian Studies IV. London 1978) p. 83.

- أن تقدم البرتغال بعض سفنها للشاه لتمكينه من غزو البحرين والقطيف.
- أن تقدم البرتغال مساعدتها للشاه لقمع ثورة مكران في مقابل موافقة الشاه على احتلال البرتغال لميناء جوادر على ساحل بلوشستان.
- أن تتحالف البرتغال وفارس ضد الدولة العثمانية.
- يتنازل الشاه عن هرمز ويعترف بالحماية البرتغالية عليها.
- وعد البرتغاليون الشاه بفتح جاوه للتجارة الفارسية ولكن البوكيرك أخبر سفير الشاه في عام ١٥١٥ بأن أي تاجر فارسي يضبط في أي مقاطعة أخرى في الهند باستثناء جاوه سيفقد بضائعه ويخضع لغرامات باهظة[١].

وعلى الرغم من الاتفاق فقد استولى البرتغاليون على البحرين لحسابهم في عام ١٥١٥ وأقاموا قلعة فيها وأخذوا الجزية من سكانها. وبعد فترة وجيزة أدرك البرتغاليون أن عدن وليست سقطرة هي التي تتحكم في مدخل البحر الأحمر الجنوبي وبالاستيلاء على عدن يتمكن البرتغاليون من خنق حركة التجارة في البحر الأحمر حيث ظلت السفن التجارية العربية تتسلل على نطاق واسع للمشاركة في تجارة الهند التي بدأت البرتغال في احتكارها ولذلك توجه الفونسو دي البوكيرك من الخليج العربي نحو البحر الأحمر قاصداً ميناء عدن لاحكام السيطرة عليه وبذلك يمكنه إغلاق البحر الأحمر في وجه التجارة الإسلامية، وكانت عدن آنذاك أكبر مخزن تجاري في مدخل البحر الأحمر.[٢] وبالاستيلاء على عدن يصبح في وسع البوكيرك تأمين طريق رأس الرجاء الصالح وغزو الأماكن الإسلامية المقدسة في الحجاز. ولكن البوكيرك عجز في عام ١٥١٢ عن احتلال عدن على الرغم من أسطوله المؤلف من عشرين

(١) Issawi, Charles. The Decline Of Middle East Trade: 1100-1850. (Islam And The Trade Of Asia. A Colloquium. Edited by D.S. Richards. London 1970). p. 263; Serjeant, R.B. Historical Sketch of The Gulf In The Islamic Era From The Seventh To The Eighteenth Century. (Qatar Archeological Report, Excavations, 1973, Oxford 1978).

(٢) Serjeant, R.B. The Portuguese Off The South Arabian Coast. (Oxford 1963) pp. 15-16; Oliver, Roland And Mathew, Gervase. (Editors) History of East Africa. Vol.1. (Oxford 1963) p. 149.

سفينة عليها ١٧٠٠ برتغالي و٨٠٠ مجند أسيوي حيث تمكن حاكم عدن من صدهم فأحرق البوكيرك السفن العربية في ميناء عدن وقصفها بالمدافع واستولى على بعض السفن العربية. كذلك فشل البرتغاليون في الاستيلاء على جدة فنهبوا قمران وأحرقوا زيلع[١].

وفرض البرتغاليون حصاراً قوياً لمنع السفن القادمة من الهند من دخول البحر الأحمر والوصول إلى الموانئ العربية فيه وبخاصة جدة وسواكن والسويس، ومنع وصول التوابل والسلع الأخرى إليها. وقد أدى الحصار البرتغالي إلى إضعاف النشاط التجاري في البحر الأحمر. وبذلك تحول التجار الأجانب عن موانئ مصر وبلاد الشام إلى أسواق لشبونة في البرتغال[٢].

وعلى الرغم من الاحتكار البرتغالي وإغلاق مداخل الخليج العربي والبحر الأحمر فقد تمكن الملاحون والتجار العرب من الإفلات بمهارة من الحصار البرتغالي على منافذ البحار العربية الداخلية مما خفف من تأثير الحصار على الاقتصاد العربي، لأن الحصار الذي فرضه البرتغاليون لم يكن كاملاً حيث ظل جانب من البضائع الهندية يتسرب إلى التجار العرب فيحملونه في سفنهم الخفيفة إلى البصرة ومنها إلى بغداد وحلب أو إلى السويس ومنها إلى القاهرة والاسكندرية. وفي فترات السلام بين العثمانيين والصفويين كانت القوافل التجارية تمر من وسط آسيا حاملة منتجات الشرق عبر فارس ومنها إلى بغداد لتوزيعها.

غير أن كميات البضائع التي كان العرب يجلبونها خلال الحصار البرتغالي لم تكن كافية لبعث الازدهار الاقتصادي الذي سبق أن حققه العرب من التجارة الشرقية قبل وصول البرتغاليين إلى البحار الشرقية وتنفيذ مخططاتهم العدوانية ضد العرب والمسلمين[٣]. وهكذا فقد أدى اكتشاف البرتغاليين

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره، ص ١٩.

(٢) الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣١.

(٣) أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة، (القاهرة، ؟) ص ١٩٥، ٢٢٧.

للطريق البحري إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح في نهاية القرن الخامس عشر إلى تحول الطرق التجارية الرئيسية التي تربط آسيا بأوربا عن الخليج العربي والبحر الأحمر. وبعد أن جرد البرتغاليون الخليج العربي من هذا الدور التجاري المهم وقع تحت السيطرة البرتغالية وتولت السلطات البرتغالية في الشرق تنظيم الحركة التجارية في البحار الشرقية ومنع السفن غير البرتغالية من الإبحار والتجارة في الخليج العربي إلا بعد الحصول على تصريح منها[1]، وشنت حرباً عنيفة ضد التجارة العربية وعملت على خنق العرب في مياههم الداخلية.

(١) جون، ب. كيلي: بريطانيا والخليج (١٧٩٥ ـ ١٨٧٠) ترجمة محمد أمين عبدالله (القاهرة، ١٩٧٩) ج ١ ص ٨.

الصراع البرتغالي ـ المملوكي

كانت تجارة الأفاويه تدر على الوسطاء العرب والتجار الأوربيين وغيرهم أرباحاً طائلة بوصفها سلعاً يشتد الطلب عليها في أوربا ولم يكن في وسع الأوربيين الحصول عليها إلا بواسطة المسلمين، ولم تكن كل تجارة الأفاويه، والتي كانت عاملاً قوياً لجذب الأوربيين نحو البحار الشرقية، من منتجات الهند ولكنها كانت تنقل من الموانئ الهندية إلى أوربا بواسطة طريق البحر الأحمر والخليج العربي، لأن الهند كانت تشتهر بالفلفل وحب الهال بينما كان القرنفل وجوزة الطيب وأنواع أخرى من الأفاويه تماثلها في أهميتها وزيادة الطلب عليها من منتجات جزر الهند الشرقية[١].

وقد تمكن البنادقة من احتكار التجارة الشرقية كما تمكنوا من مقاومة كل تحد لهم ومن المحافظة على تفوقهم التجاري ومن تكوين نفوذ قوي لهم لدى السلاطين المماليك في القاهرة لما لهم من خصائص تجارية ومهارة ديبلوماسية وحب للمغامرة، وقد خشي البنادقة أن يفقدوا دور الوسيط الذي قاموا به في التجارة الشرقية لذلك حثوا السلطان المملوكي في القاهرة على القيام بجهد مشترك ضد البرتغاليين الذين شكلوا خطراً محققاً على مستقبلهم التجاري كما طلبوا منه أيضاً تخفيض أسعار التوابل في الاسكندرية[٢].

كذلك أدرك الزامورين بعد حروبه السابقة مع البرتغاليين أن سفنه غير

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٣١ ـ ٣٢.
(٢) أحمد عبد الرحيم مصطفى: في أصول التاريخ العثماني. (بيروت، ١٩٨٢) ص ٨٣.

متكافئة مع السفن البرتغالية الثقيلة التسليح وأن حظها ضئيل في الفوز على الأسطول البرتغالي في العمليات الحربية البعيدة عن الساحل، ولذلك طلب مساعدة السلطان المملوكي في القاهرة قانصوه الغوري الذي تربطه به علاقات المودة والصداقة، وكانت قاليقوط مركز التجارة العربية في الهند يغادرها في كل موسم إلى البحر الأحمر حوالي خمس عشرة سفينة محملة بالتوابل وبضائع الهند حيث تعيد الموانئ المصرية والسورية تصديرها إلى أوربا، وكان السلطان المملوكي يتقاضى رسوماً على هذه التجارة تصل إلى ١٠٪. كذلك استنجد حاكم كجرات مظفر شاه بن محمود شاه بالسلطان المملوكي لمساعدته ضد البرتغاليين.

ولما كانت دولة المماليك قد تضررت اقتصادياً نتيجة لاكتشاف البرتغاليين طريق رأس الرجاء الصالح ومنافستهم التجارة المملوكية في مصر وبلاد الشام مما أصاب موانئ السويس والاسكندرية والبصرة وطرابلس في صميم تجارتها ونجم عن ذلك أزمات مالية واقتصادية جعلت من الصعوبة أن يتمكن المماليك من بناء أسطولهم البحري بجهودهم الخاصة لا سيما بعد استيلاء البرتغال على جزيرة سوقطرة وهرمز (١٥٠٧ ـ ١٥٠٨)[1]. وبينما كانت أسواق مصر وبلاد الشام في عام ١٤٩٨ تتكدس فيها التوابل فإن سفن البندقية لم تجد في عام ١٥٠٤ شيئاً فيها فعادت بدون حمولة في الوقت الذي كانت فيه السفن البرتغالية تنقل آلاف الأطنان من البضائع الشرقية وتفرغها في لشبونة لتوزيعها على الأقطار الأوربية. وبذلك تمكن البرتغاليون من حرمان العرب من القسم الأكبر من تجارة التوابل.

وهكذا تدهورت الأوضاع الاقتصادية في مصر وبلاد الشام إلى حد كبير؛ فقد فشل العرب في تهريب كميات كبيرة من التوابل، وخرب ميناء جدة بسبب عبث البرتغاليين في المحيط الهندي ولم تدخل البضائع إليه منذ عام ١٥٠٨، وكذلك خلت مدينة الاسكندرية من أعيان التجار وأصبحت في غاية الخراب

(١) أحمد عبد الرحيم مصطفى: المرجع السابق، ص ٨٢.

وفقد تجار البندقية فيها كل أمل في إعادة إحياء الطريق التجاري عبر البحر الأحمر(١).

ولذلك لم يكن في وسع السلطان المملوكي قانصوه الغوري تجاهل الخطر البرتغالي ولم يكن له بد من تلبية نداء أمراء الهند بتقديم المساعدة العسكرية لهم ضد الخطر البرتغالي المشترك. فبدأ المماليك في مصر في بناء أسطول لحرب البرتغاليين وإعادة السيطرة على التجارة الشرقية. ولكنهم واجهوا صعوبات جمة في بناء الأسطول. فمصر وبلاد الشام والجزيرة العربية لا تنتج من الأخشاب ما يصلح لبناء سفن قوية، ولذلك استنجد السلطان المملوكي قانصوه الغوري بالسلطان العثماني الذي بادر بإرسال الأخشاب والحبال وغيرها من المواد اللازمة لبناء ثلاثين سفينة كما أرسل إليه ٣٠٠ مدفع و٥٠ سارية و٣٠٠٠ مجذاف وعدداً من الخبراء. ولكن فرسان مالطة الذين كانوا ينطلقون من جزيرة رودس للسطو على سفن المسلمين تعرضوا لبعض هذه الشحنات فأرسل السلطان العثماني شحنات غيرها.

ومهما يكن من أمر فقد وصلت كميات من المواد المطلوبة لبناء السفن إلى الموانئ المصرية على البحر المتوسط ثم نقلت على ظهور الجمال إلى السويس. وتمكن الصناع من بذل جهدهم لبناء سفن ملائمة للملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي وأنجزوا بناء تسع عشرة سفينة مسلحة بالمدافع(٢).

وبعد أن فرغ السلطان الغوري من بناء الأسطول أرسله إلى الهند بقيادة الأمير حسين الكردي وفيه ما لا يقل عن ١٥٠٠ جندي وكان هدفه جزيرة ديو لاتخاذها قاعدة له لإقامة الاتصال بواسطتها مع أسطول قاليقوط. وبعد ذلك يقوم الأسطولان المملوكي والهندي بمهاجمة الأسطول البرتغالي. وكان الأسطول المملوكي قد استفاد من انشغال البرتغاليين في الخليج العربي فلم يلق في طريقه عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي صعوبات. كذلك بادر المتحاربون في اليمن إلى تناسي خلافاتهم وعقد الصلح بين عامر صاحب عدن

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: مرجع سبق ذكره ص ٩ ـ ١٤، ص ١٥.
(٢) عبد الكريم محمود غرايبة: المرجع السابق، ص ١٢ ـ ١٥.

ومحمد بن حسين البهال صاحب صعدة وتوجه البهال إلى الهند للاشتراك في حرب البرتغاليين.

وقد فوجئ البرتغاليون وهم في هرمز بأنباء خروج الأسطول المملوكي من البحر الأحمر ووصوله سالماً إلى الهند[1]. وعندما وصل الأمير حسين الكردي إلى جزيرة ديو انضمت إليه سفن الزامورين حاكم قاليقوط، حيث اشتبك الأسطولان في صيف ١٥٠٨ في ميناء تشاول (في منتصف الطريق على الساحل) حيث دارت معركة عنيفة بالمدفعية وفشل البرتغاليون في النزول على ظهر السفن المملوكية، وبعد يومين من الحرب بالمدافع عزم البرتغاليون على الفرار. ومثل هذه الكارثة أثبتت للبرتغاليين أن عدواً يكافئهم في العتاد ويفوقهم في المهارة البحرية قد برز لهم في المياه الهندية. ولكن نائب الملك البرتغالي فرانسيسكو دا الميدا جمع كل ما لديه من سفن وجنود وبلغت ١٨ سفينة و١٢٠٠ رجل واشتبك مع الأمير حسين الكردي في ٣ شباط ١٥٠٩ خارج ديو. غير أن الاشتباك لم يكن حاسماً ولم يستطع أي من الطرفين ادعاء النصر لنفسه وانسحب الأسطول المملوكي من المياه الهندية بسبب خيانة حاكم كجرات[2].

وبرحيل الأمير حسين الكردي والأسطول المملوكي من المياه الهندية في عام ١٥٠٩ ثبت البرتغاليون ادعاءهم بالسيادة في البحار الشرقية وأصبحت لهم السيادة في أعالي البحار والتي لا ينازعهم فيها أحد، وبذلك وضعوا تجارة المحيط الهندي[3] تحت رحمتهم لأكثر من قرن. ورغم النتيجة التي أسفرت عنها معركة ديو البحرية في عام ١٥٠٩ فإن السلطان الغوري عاد فأرسل وحدات بحرية جديدة من السويس وكلف الأمير حسين الكردي مرة أخرى في عام ١٥١٦ بمطاردة الأسطول البرتغالي وإبعاد خطره عن البحر الأحمر. فأبحر

---

(١) عبد الكريم محمود غرايبة: المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣١ - ١٣٣ وانظر بانيكار ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٤٢ - ٤٤.

(٣) Hamilton, C.J. The Trade Relations Between England and India. 1600-1896. (Delhi, 1975) . 5, 10.

الأسطول المملوكي من السويس قاصداً جدة حيث بنى الأمير حسين الكردي حولها سوراً سخر أهل جدة في العمل به مستعملاً معهم وسائل العنف والشدة ثم قصد الأسطول موانئ اليمن حيث انشغل الأمير حسين الكردي في حرب مع أمرائها، فهاجم عدن لرفض حاكمها تقديم المؤن والذخائر لأسطوله وشجعه الإمام الزيدي في جهوده للقضاء على دولة بني عامر الشافعية ودخل الأمير حسين الكردي زبيد في حزيران ١٥١٦ ثم عاد إلى جدة حيث بلغته الأخبار بإعلان الحكم العثماني على مصر والشام والحجاز وألقى شريف مكة القبض عليه وقتله بأمر من السلطان العثماني سليم الأول[١].

ولما كان هدف البوكيرك الأساسي تأسيس قاعدة برتغالية منيعة في بلاد الهند يستطيع من خلالها أن يفرض بالقوة السيادة البرتغالية على المياه الشرقية، فقد قرر أن كوتشين القائمة على جزيرة صغيرة لا تتجاوز مساحتها نصف ميل مربع والوحيدة الخاضعة للسيطرة البرتغالية آنذاك غير صالحة لتحقيق أهدافه فتوجه نحو قاليقوط. ولكن محاولة البوكيرك الاستيلاء عليها منيت بالفشل ولحقت بالبرتغاليين خسائر جسيمة وجرح البوكيرك ونقل إلى سفينته فاقدًا وعيه، وبذلك انتهت أول محاولة برتغالية لتحدي حكام الهند براً بكارثة تركت أثرها على البرتغاليين وغيرهم من القوى الأوروبية التي ستلحق بهم إلى البحار الشرقية حيث لم تحاول دولة أوربية لمدة مئتين وثلاثين عاماً القيام بفتح عسكري أو إخضاع حاكم هندي لسلطانها باستثناء احتلال جاوه في عام ١٥١٠ والتي تحولت إلى قاعدة برتغالية عظيمة بسبب موقعها الاستراتيجي المهم في منتصف الطريق بين مينائي كوتشين وقاليقوط في الجنوب وميناء سورات في الشمال. ولكن ذلك الاحتلال قد تم بمساعدة الحكام الهندوس نكاية بالحكام المسلمين (آل عادل شاه) في نطاق الصراع الدائر بين الجانبين.

وقد استحدث التجار الهنود من غير المسلمين نظاماً للترخيص تمكنوا

(١) عبد الكريم محمود غرايبة، مرجع سبق ذكره، ص ١٤ ـ ١٥، ص ٢٠ ـ ٢١، ص ٣٠. وانظر أيضاً الشاطر بصيلي عبد الجليل: مرجع سبق ذكره، ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

بواسطته من الاستمرار في تجارتهم بعد زوال المنافسة العربية. وبذلك كان قضاء البرتغاليين على الاحتكار الذي تمتع به العرب أمداً طويلاً مصدر ترحيب من الهندوس، لاسيما وأن البرتغاليين بعد الهزيمة التي منوا بها في قاليقوط في بداية عهدهم قد تخلوا عن أطماعهم في امتلاك الأراضي على نطاق واسع في بلاد الهند واكتفوا بالسيطرة على جزيرة ديو وبومباي ومراكز تجارية منتشرة على الساحل الهندي ومنطقة جاوه وقلعة كوتشين. وأقام البرتغاليون صلات تجارية وثيقة مع الحكام الهنود وتبادلوا معهم الهدايا والسفارات والبعثات السياسية[1]. وكان موقف الدول الهندية من البرتغاليين ودياً باستثناء قاليقوط، لأن ادعاء البرتغاليين بالسيادة البحرية لا يتفق ومصالحها ولأن ازدهار قاليقوط قد ارتبط لأكثر من أربعمائة عام بنشاط تجارة التوابل العربية. ولذلك فإن الصراع البحري بين حكام قاليقوط والبرتغاليين قد استمر دون انقطاع حتى عام ١٥٩٩ عندما تم عقد معاهدة بينهم.

أما بالنسبة لحكام الهند الآخرين فإن النشاط البرتغالي لم يؤثر على مصالحهم لأن مهنة النقل التجاري كانت احتكاراً خالصاً للعرب في المحيط الهندي ولأن نزع هذا الاحتكار من العرب لا يلحق الضرر بمصالح الحكام الهنود التجارية والذين لم يجدوا ضيراً في بيع بضائعهم للبرتغاليين بل وجدوا فيهم ميزة على العرب لأن في وسع البرتغاليين بيع الحكام الهنود أسلحة وعتاداً حربياً[2]. وقد جمع العداء المشترك للإسلام بين الحكام الهندوس والبرتغاليين، وساعد أيضاً على قيام علاقات ودية وثيقة فيما بينهم وعلى توطيد النفوذ البرتغالي في جاوه والتي عرض البوكيرك كل العرب فيها على السيف وكان يملأ المساجد بهم ثم يضرم فيها النار[3]. ومهما يكن من أمر فإن البرتغاليين حيثما استطاعت سفنهم أن تحقق لهم الادعاء بالسيادة البحرية كما حصل في سيلان وفي مالقا فإنهم لم يخففوا من معاملتهم القاسية ولم يكتفوا فقط باحتكار الملاحة

---

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٢ ـ ٥٣.
(٢) بانيكار، ك.م: المرجع السابق، ص ٥١ ـ ٥٢.
(٣) بانيكار، ك.م: المرجع السابق، ص ٤٤ ـ ٤٦.

والتجارة في البحار الشرقية، بل احتفظوا لأنفسهم بحق مصادرة جميع البضائع العائدة لكل من يجرؤ على الإبحار في المياه الشرقية دون تصريح منهم، كما أن طريقتهم التجارية قد تطورت وتمثلت بالنزول إلى البر في منطقة مناسبة وبناء حصن واتخاذه منطقة خاصة بهم والقيام بعمليات تجارية من تلك القواعد البحرية ـ التجارية.

ولما كان البوكيرك يطمح إلى تكوين امبراطورية برتغالية في الشرق فقد رأى إمكانية تحقيق ذلك الهدف بتأسيس عدد من القلاع الحصينة في كل من عدن وديو وهرمز وجاوه مع إقامة سلسلة من الوكالات التجارية والقلاع الحربية الصغيرة في كوتشين وكنانور وكويلون، ولم يكن البوكيرك يهدف من ذلك حماية التجارة على الساحل فقط ولكنه أراد أيضاً السيطرة على الحكام المحليين وارغامهم بالقوة على الاعتراف بالتبعية لملك البرتغال.

ورغب البوكيرك في السيطرة على ثلاثة مراكز في البحار الشرقية باعتبارها المفاتيح الرئيسية للسيادة على التجارة الشرقية، وهي مالقا عند مدخل المحيط الهادي وعدن عند مدخل البحر الأحمر وهرمز عند مدخل الخليج العربي. وتعتبر هرمز من وجهة نظر البوكيرك أهم هذه المراكز؛ وإذا تمكن البرتغاليون من السيطرة على هذه المراكز الثلاثة في الشرق فإنهم سيصبحون سادة العالم.

وكانت مالقا في مطلع القرن السادس عشر ميناء تجارياً مزدهراً واستفادت مالقا من موقعها الجغرافي كمفتاح للمحيط الهادي وكمستودع رئيسي لتجارة التوابل والأفاويه التي تنمو في جزر جاوه ومالقا وغيرهما. وكانت السفن تأتي مالقا بانتظام من الصين واليابان شرقاً ومن الهند وفارس والجزيرة العربية ومصر غرباً، ومن أجل ذلك كانت لمالقا أهمية لا بوصفها إحدى المراكز التجارية في الشرق فحسب، بل كمركز اتصال بين الصين وأقطار جنوب شرق آسيا[1].

---

(١) بانيكار، ك.م: المرجع السابق، ص ٧١ ـ ٧٢، ص ٤٧ وانظر أيضاً: William Gibson, Richard Coopar, And William Fall At Ispahan To The Company. Sep. 28,

وقد استولى البرتغاليون على مالقا في عام ١٥١١ بعد قتال عيف. وتم لهم ذلك بعد انسحاب حاكم الملايو وجيشه، وباع البرتغاليون المسلمين الذين نجوا من السيف في المذابح التي نظموها رقيقاً بينما أبقوا على رعايا الصين والهند وبورما. وبعد أن نهبوا مالقا تماماً أرسلوا إلى ملك البرتغال ٢٠٠,٠٠٠ كروسادو نصيبه من الغنائم والأسلاب.

وهكذا وطد احتلال مالقا السيادة البرتغالية في المحيط الهندي وفي جهات المحيط الهادي، أما مدينة مالقا فقد حولها البوكيرك إلى قلعة منيعة وعيّن راي دا فيو حاكماً برتغالياً عليها قبل عودته إلى جاوه. واستفاد البرتغاليون من الصراع المرير بين الحكام المسلمين والحكام الهندوس في جاوه وعملوا ما في وسعهم من تأليب الحكام بعضهم على بعضهم ووسعوا دائرة الخلافات الطائفية فيها.

وبعد أن أتم البوكيرك احتلال مالقا اكتمل بناء وتشييد أركان الامبراطورية البرتغالية في آسيا حيث لم يكن للبرتغال قبل عهد البوكيرك في بلاد الهند سوى محطة تجارية صغيرة في كوتشين ولكن بعد احتلال سوقطرة وهرمز ومالقا تأسس للبرتغاليين نظام للهيمنة ظل ثابتاً ما دامت قوتهم في أوربا قوية وكانت جاوه تقوم بدور مركزي في الامبراطورية البرتغالية في الشرق وقد طورها البرتغاليون لتصبح مدينة كبيرة ضمت جهازاً كاملاً للحكم كان الأساس الذي قامت عليه جميع خطط البوكيرك في الشرق[1].

= 1633. (The English Factories In India Vol.IV. 1630-1633 By William Foster. Oxford 1910). p. 319

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٤٨ - ٥٠.

البرتغاليون في شرق افريقية

وصل البرتغاليون إلى ساحل افريقية الشرقي في نيسان ١٤٩٨ وقد رحب سكان الساحل بهم في البداية، ولكن سرعان ما أدرك السكان أغراض البرتغاليين المتمثلة في الاستيلاء على بلادهم والقضاء على تجارتهم، ولذلك تحول الود إلى عداء عندما حاول البرتغاليون احتلال الساحل وعزله عن الداخل وقد عملوا على إثارة الحروب وتغذية المنازعات بين حكام الساحل الشرقي لافريقية لإضعافهم، وكانت المنافسات بين المدن والموانئ والجزر موجودة ومستمرة قبل وصول البرتغاليين إلى المنطقة لدوافع اقتصادية وسياسية مما أدى إلى فشل الجهود لإبعاد السيطرة البرتغالية.

وقد استهدف البرتغاليون استغلال المنطقة تجارياً واتخاذها قاعدة بحرية في طريقهم من الهند وإليها، والسيطرة أيضاً على تجارة الداخل وموارده من الذهب والعاج والرقيق ولذلك سيطروا على ميناء سفالة لأهمية موقعه بالنسبة لتجارة الذهب القديمة[1] على الساحل الشرقي لإفريقية.

وفي الربع الأخير من القرن السادس عشر تأثر مركز البرتغاليين في شرق إفريقية وعلى نطاق واسع بالأحداث التي تمت في أوربا حيث تمكن ملك اسبانيا فيليب الثاني من ضم التاج البرتغالي إليه في عام ١٥٨٠ وظلت البرتغال تابعة لاسبانيا حتى عام ١٦٤٠ عندما تمكن جون الرابع من تحريرها

(١) Alpers, Edward. A. Ivory And Slaves. (Gt. Brit. 1975) pp. 39-40.

من «الأسر الاسباني»[1] الذي دام ستين عاماً. وفي مطلع القرن السابع عشر كان معظم النشاط البرتغالي في الساحل الافريقي الشرقي يعتمد أساساً على وجود الحامية البرتغالية في قلعة يسوع في ممباسة. وقد بنى البرتغاليون هذه القلعة في عام ١٥٩٣. وساهم في بنائها عمال من مالندي والهند وقامت عند مدخل ميناء ممباسة[2] ونقلوا إليها الحامية البرتغالية من مالندي. وكذلك نقلوا حاكم مالندي المحلي الحسن بن أحمد إليها لتصبح مركزاً لحكمه.

وقد بدأت المقاومة المحلية للحكم البرتغالي في شرق أفريقية في عام ١٦٠٩ بقيام سلسلة من الاضطرابات بين الحكام المحليين وحاكم ممباسة البرتغالي. وبعد أن أصبح الحسن بن أحمد حاكم مالندي السابق وآخر حكام الأسرة الشيرازية فيها سلطاناً على ممباسة نشب نزاع بينه وبين حليفه الحاكم البرتغالي في قلعة يسوع[3] في عام ١٦١٤. ونتيجة لذلك النزاع ذهب الحسن بن أحمد إلى جاوه ليقدم الشكوى إلى السلطات البرتغالية فيها ضد تصرفات حاكم ممباسة البرتغالي. وفي أثناء عودته من جاوه هرب إلى القبائل الداخلية في شرق أفريقية حيث اغتيل على يد أحد أفرادها لرشوة قدمها البرتغاليون، ولكن هذا الادعاء لم يثبت عليهم نتيجة للتحقيق الذي جرى من قبل السلطات البرتغالية في لشبونة[4]. وقام بعد اغتياله كبير الأسرة الشيرازية بالوصاية على العرش في ممباسة.

وأرسل البرتغاليون ولده يوسف البالغ من العمر ـ آنذاك ـ سبع سنوات إلى جاوه في الهند في عام ١٦١٥ حيث تمت تربيته وتعليمه في جاوه وتم تعميده أيضاً. ولكنه على الرغم من تنصيره فقد ظل يمارس الشعائر الإسلامية

---

(١) Gray, John. History of Zanzibar From The Middle Ages To 1856. (London 1962) p. 46.

(٢) جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق أفريقيا (حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس. المجلد العاشر ١٩٦٧ ج ٢٧٧ ـ ٣٤٠ القاهرة، ١٩٦٧) ص ٣٢٧.

(٣) Ingham, Kenneth. A History Of East Africa. (London 1962) p. 15.

(٤) Freeman — Grenville. The Coast 1498-1840 Chapter V. (History Of East Africa, Edited By Roland Oliver and Gervase Mathew. Vol. I Oxford 1963) p.140.

سراً بعد أن أصبح سلطاناً على ممباسة في ٢٣ آب ١٦٣٠ م. وعندما علم يوسف بتهديد الحاكم البرتغالي في ممباسة بترحيله إلى جاوه بسبب عودته إلى الإسلام أخذ معه حوالي ثلاثمئة من أتباعه المخلصين وزار الحاكم في القلعة وقتله بيده كما قام أتباعه بقتل البرتغاليين الآخرين في القلعة وخارجها ما عدا الذين دخلوا في الإسلام واشتعلت الثورة في معظم المدن الإسلامية باستثناء زنجبار وبات. وعندما علم نائب ملك البرتغال في الهند بارتداد يوسف وبمذبحة البرتغاليين في ممباسة أرسل أسطولاً صغيراً بقيادة ابنه لتأديب[١] يوسف. وكانت قد سبقت ثورة يوسف في آب ١٦٣١ اضطرابات جدية وخطيرة في المدن الإسلامية في الساحل الشرقي لإفريقية منذ عام ١٦٢٧. وعلى الرغم من قضاء البرتغال عليها فقد حقق بعضها نصيباً من النجاح إذ ضعضع الحكم البرتغالي في شرق إفريقية. وعندما قام يوسف بثورته في ممباسة شاركته بعض مدن الساحل المجاورة في إشعال الثورة لا سيما ممباسة. ولذلك ضعف النفوذ البرتغالي بسرعة في الساحل الشرقي لإفريقية.

وعلى الرغم من النصر الذي حققه يوسف على البرتغاليين فقد أدرك أنه لا يستطيع الوقوف بنجاح وعلى أرض ثابتة وبقدم راسخة في مواجهة الأسطول البرتغالي، ولذلك وضع خططه العسكرية على هذا الأساس فعندما شعر يوسف بعدم قدرته على مواصلة الحرب النظامية غادر ممباسة مع أتباعه ولجأ إلى اتباع أسلوب الغارات ضد البرتغاليين. ولما علم يوسف بإرسال أسطول برتغالي قوي إلى ممباسة في عام ١٦٣٥ عاد ثانية من الجزيرة العربية واستقر مع العرب في جزيرة مدغشقر[٢] وظل يشن الغارات على الحاميات البرتغالية حتى وفاته في عام ١٦٣٨.

---

(١) Stigand, C.H. The Land Of Zinj. (London 1913) pp. 19-20; Boxer, C.R. and De Azevedo, Carlos. Fort Jesus And The Protuguese In Mombasa 1593-1729. (London 1960) p. 169; Rensch, Richard. History Of East Africa. (New York 1961) pp. 258-261.

(٢) Ingrams, W.H. Zanzibar, Its History And Its People. (Holland 1967). pp. 113-115.

وتمكن البرتغاليون في عام ١٦٣٩ من إعادة بناء قلعة يسوع مرة أخرى واتخذوا منها قاعدة لحكم الساحل الشمالي بينما كانت موزمبيق قاعدة لحكم الساحل الجنوبي وحرّموا على العرب الهجرة إلى الساحل الشرقي لافريقية[١]

ومهما يكن من أمر فإن التأثير البرتغالي في الساحل الشرقي لافريقية كان ضئيلاً في القرن السادس عشر في مجال حكم المقاطعات. فقد بقيت المدن الساحلية مستقلة ذاتياً عن الحكم البرتغالي وتحت سيادة حكوماتها المحلية. ومع ذلك فقد استمر التفوق البرتغالي وتمكنت الحاميات البرتغالية من توطيد مركزها تدريجياً في عدة مراكز على امتداد الساحل. ثم بدأت السلطات البرتغالية تتدخل في شؤون الحكم المحلي وعينت الأمراء المحليين وفق رغباتها وبذلك شهد القرن السابع عشر الانهيار الكامل لزعامة الأسرة الشيرازية [٢] في الساحل الشرقي لافريقية بعد أن كانت مسيطرة على معظم المدن الساحلية في القرن السادس عشر.

وقد حافظت السلطات البرتغالية في شرق أفريقية على خط من القلاع والموانئ التجارية وبعض المناطق المهمة تحت نفوذها. وكان لموزمبيق دور تجاري في شرق أفريقية، واحتكر حاكمها البرتغالي كل التجارة الداخلية فيها وأشرف على منح التصاريح للسفن السواحلية بحرية التجارة في المحيط الهندي بالاشتراك مع حاكم مالندي الذي نقل مركزه إلى ممباسة في عام ١٥٩٣ وكان لهما الحق أيضاً في تحصيل الجمارك في الأماكن التابعة لهما[٣]. وكانت السلطات البرتغالية تعتبر تجارة موزمبيق وممباسة مصدر ثروة كبيرة بالنسبة للمستوطنات البرتغالية في الشرق وأن إيراداتها تكفي لتغطية نفقات إدارة الساحل الهندي. وقد أعطت السلطات البرتغالية الأرباح التي حصلت

---

(١) عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية. (بيروت، ١٩٧٥)، ص ٨٥-٨٧.

(٢) Berg, F.J. The Coast From The Portuguese Invasion. Chapter VI pp. 119-141. (Zamani A Survey of East African History. Edited by Ogot, B.A. and Kieran, J.A. Kenya 1969) pp. 119-123.

(٣) Sutton, J.E.G. The East African Coast. (Nairobi 1970). pp. 21-24.

عليها من شرق أفريقية والتي مصدرها موزمبيق أهمية فائقة [1]. وفي بعض الأحيان تأسست مراكز جمارك صغيرة في بات وفي أماكن أخرى، ولكن بسبب فساد الإدارة البرتغالية الناجمة عن عدم كفاءة الموظفين البرتغاليين لم يكن من السهل الحصول على التصاريح للسماح بالتجارة بواسطة السفن السواحلية. ولذلك كان التهرب من دفع الجمارك يكلف السفن الإسلامية ثمناً باهظاً بين الساحل الشرقي لأفريقية وبين عدن وموانئ البحر الأحمر.

وقد حافظ البرتغاليون على تفوقهم في الساحل الشرقي لأفريقية باستخدام العنف ضد المدن السواحلية بسبب وجود المقاومة المحلية واستمرار الاضطرابات والثورات ضد الحكم البرتغالي الذي أرغم السكان على الاعتراف به. وكان هدف البرتغاليين من توسعهم في الشرق الحصول على الموارد الاقتصادية بالقهر العسكري.

ولكن اجراءات القمع البرتغالية لم تكن فعالة حيث أمكن شراء الاعفاءات من البرتغاليين لبعض الوقت، وكان معدل الإنتاج وتجارة البضائع يختلف قليلاً من عام لآخر، وكان التأثير البرتغالي في الساحل الشرقي لأفريقية سلبياً. فهم لم يقوموا باستغلال المنطقة في شمالي موزمبيق، كما لم يتركوها في عزلة عنهم.

وقد تمكن البرتغاليون من تنفيذ سياستهم في الساحل الشرقي لأفريقية لتفوقهم العسكري على السكان المحليين المنقسمين على أنفسهم والمتنازعين على توسيع سلطتهم في بعض جهات الساحل. وقد استغل البرتغاليون هذه الأوضاع لتحقيق أغراضهم وأطماعهم.

ومن أسباب ضعف البرتغاليين في شرق أفريقية عدم قدرتهم على إخضاع مدن الساحل والسيطرة عليها بصورة قوية ومؤثرة. ومن تلك المدن بارا ومالندي وفازا وقاسمليو ولامو وممباسة وزنجبار؛ ولكن البرتغاليين لم يمارسوا

---

(1) Strandes, Justus. The Portuguese Period In East Africa. Translated From The German By Jean F. Wallwork. (Nairobi 1968) p. 212.

قهرهم العسكري على كيلوه وتومباتو كما هو الحال في المدن السابقة، وربما يعود ذلك إلى أن المصالح البرتغالية الأكثر أهمية لهم تركزت في جنوب ساحل كينيا[١]. كذلك لم يحاول البرتغاليون التغلغل إلى الداخل في القسم الشمالي من شرق أفريقية باستثناء محاولة مبكرة قاموا بها في عام ١٥٢٣ ولكنها منيت بالفشل بعد بضعة أيام من مغادرة البعثة البرتغالية مالندي[٢]. كما واجهت البرتغال في بداية القرن السابع عشر صعوبات جمة تمثلت في الثورات التي انتشرت في مستعمراتها الافريقية والهندية والعربية، فعلى الرغم من ازدياد القوة البرتغالية في البداية على نحو متغطرس، لكنه لم يكن كافياً لفرض السيطرة البرتغالية ذات الموارد البشرية والاقتصادية المحدودة على تلك المناطق الشاسعة في الشرق، لا سيما بعد ظهور المنافسة الانكليزية والهولندية للبرتغاليين في البحار الشرقية والتي تمكنت من تأسيس احتكار تجاري أكثر كفاءة وفعالية من الاحتكار البرتغالي السابق لها[٣]. ورغم هذه المنافسة الشديدة وضعف البرتغال وفقرها بعد انضمامها لاسبانيا في عام ١٥٨٠، فقد ظلت القوة الأوربية الأولى في النصف الغربي من المحيط الهندي خلال الربع الأول من القرن السابع عشر.

---

(١) Sutton, J.E.G Op. Cit. pp. 24-25; Berg, F.J. Op.Cit. pp. 126-127; Reusch, Richard. History of East Africa. (New York 1961) p. 252.

(٢) Strandes, Justus, Op. Cit. p. 274.

(٣) Reusch, Richard. Op Cit. pp. 257-258; Strandes, Justus. Op. Cit. p. 274; Sutton, J.E.G. Op. Cit. p.25; Sir Thomas Roe At Ahmadabad To The Company. Feb. 14, 1618. (The English Factories In India Vol. I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) p.17.

الصراع البرتغالي ـ العثماني في الخليج العربي

اهتم العثمانيون في النصف الأول من القرن السادس عشر بوقف التوسع البرتغالي في المحيط الهندي في الوقت الذي أبدى فيه الصفويون استعدادهم لتموين السفن البرتغالية في مقابل الحصول على المساعدة البرتغالية ضد العثمانيين على الرغم من عدم ترحيب الشاه إسماعيل باحتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية.

وقد بذل السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) جهوده لبناء أسطول قوي في ميناء السويس حيث جدّد الصدر الأعظم إبراهيم باشا المرسى القديم في السويس وأقام قيادة بحرية منفصلة للبحر الأحمر تم الانفاق عليها من إيرادات الجمارك في مصر. ولكن هذا الأسطول لم يستخدم إلا في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦) والذي قام بجهود نشيطة خلال فترة حكمه لتحطيم قوة البرتغاليين البحرية في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي[١]. فقد أدرك السلطان سليمان القانوني فداحة الأضرار الناجمة عن إبعاد العرب عن أسواق التجارة في الشرق. ولاهتمامه بدفع ذلك الخطر، بدأ المفاوضات مع الزامورين حاكم قاليقوط ومع حاكم كامباي المسلم وكانت مصالحهما قد تضررت بالعدوان البرتغالي وتم الاتفاق على القيام بعمل مشترك ضد الأعداء البرتغاليين، وبعد ذلك أصدر السلطان العثماني أمره إلى والي مصر سليمان باشا الخادم لإعداد أسطول كبير في السويس والتوجه به إلى الهند للجهاد ولإزالة راية البرتغاليين من البحر وابعاد خطرهم

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. pp. 164-166.

عن الأماكن الإسلامية المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة[1]. وهكذا نهض العثمانيون لوقف العدوان البرتغالي على البلاد العربية منذ فرغوا من الاستيلاء على مصر في عام ١٥١٧ ولكن جهودهم على قوتها واتساع نطاقها لم تؤد إلى نتائج حاسمة ولكنها نجحت في منع الاعتداء البرتغالي من الامتداد إلى الداخل[2] وحطمت إمكانية قيام جبهة مسيحية برتغالية حبشية ضد القوى العربية والإسلامية في البحر الأحمر وشرق أفريقية بعد أن أصبح الأسطول العثماني يسيطر على البحر الأحمر في القرن السادس عشر مما مكن الدولة العثمانية من استعادة قسط من التجارة الدولية عبر مصر في الوقت الذي كانت تصور فيه البرتغاليين القوة البحرية الكافية لإحكام الحصار على مدخل البحر الأحمر.

وكان التدخل البرتغالي في شئون البصرة قد بدأ لأول مرة في عام ١٥٢٩ في عهد حاكمها راشد بن مغامس والتابع اسميًّا للشاه الصفوي. فقد طلب راشد بن مغامس المساعدة من البرتغاليين في هرمز ضد الزعيم القبلي العربي حاكم منطقة الجزاير لطلبه الجزية من البصرة. وتمكن القائد البرتغالي بلشوار دي سوسا من إنهاء النزاع بين البصرة والجزاير باستعادة البصرة حصنيها من حاكم الجزاير والذي تعهد أيضاً بدفع جزية سنوية إلى البصرة. وفي مقابل هذه المساعدة طلب البرتغاليون من راشد تسليمهم ست سفن صغيرة لكنها كانت مجهزة جيداً ومسلحة بالمدافع. وعندما رفض راشد تسليمها لهم أحرق بلشوار دي سوسا بعض الأماكن المجاورة للبصرة وعاد إلى هرمز[3].

وبعد فترة قصيرة فقد البرتغاليون البحرين مرة أخرى في عام ١٥٣٤ عندما أرسل حكام البحرين والحسا والبصرة مبعوثين عنهم إلى بغداد للترحيب

---

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٠ ـ ٥١.
(٢) أحمد عزت عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤.
(٣) صالح أوزبران: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي. (١٥٣٤ ـ ١٥٨١) ترجمة عبد الجبار ناجي. (بغداد، ؟) ص ٢٣ ـ ٢٥.

بالسلطان سليمان القانوني. ثم دخل العثمانيون في صراع مع البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في عام ١٥٣٨ عندما قام أسطول عثماني كبير من ميناء السويس بقيادة سليمان باشا الخادم بالتوجه نحو المحيط الهندي للرد على محاولات البرتغاليين الإبحار في البحر الأحمر[١]. وكان السلطان سليمان القانوني قد تلقى طلباً للمساعدة البحرية من حاكم كجرات المسلم في غربي الهند ضد البرتغاليين. وتلبية لذلك توجه أسطول عثماني من السويس في حزيران ١٥٣٨ بقيادة سليمان باشا الخادم، وقد تمكن الأسطول العثماني من الاستيلاء على المناطق الساحلية العربية على البحر الأحمر واحتل عدن، ولكن بعد وصول الأسطول إلى كجرات غيّر حاكمها رأيه وبدّل موقفه فاضطر الأسطول العثماني إلى العودة إلى مصر دون أن يلحق أذى بالبرتغاليين. كما أن محاولات البرتغاليين لدخول البحر الأحمر لم تتوقف؛ ففي عام ١٥٤١ غادرت جاوه حملة بحرية كبيرة نحو السويس[٢].

وبعد أن أخضع العثمانيون البصرة لحكمهم المباشر في عام ١٥٤٦ عملوا على توطيد نفوذهم في سواحل الخليج العربي ويبدو أن العثمانيين قد استولوا على الحسا مباشرة بعد استيلائهم على البصرة. وبعد أن استولوا على حصن القطيف ـ بعد تنازل أهل القطيف عنه ـ وضعوا فيه بعض الجنود والمدافع[٣]. كما تمكنوا من إنزال أسطول جديد خاص بهم في الخليج العربي ولكن السويس ـ شأنها في العهد المملوكي ـ ظلت القاعدة الرئيسية لهم في البحار الشرقية واعتمدوا عليها في عملياتهم البحرية التي امتدت حتى ساحل الهند الغربي. أما عدن فلم يطمئن العثمانيون إلى ولاء سكانها حتى بعد احتلالهم لها في عام ١٥٣٤ لا سيما بعد أن تحالف البدو القاطنين بالقرب من الميناء مع البرتغاليين نكاية بالعثمانيين ومكنوهم من احتلال عدن لفترة قصيرة.

(١) Belgrave, J.H.D. History of The Bahrain Islands. (Journal Of The Roal Central Asian Society. Vol. XXXIX. January, 1952. Part 1, pp.57-68). pp.62-63; Hawley, Donald. Op.Cit. p.73.

(٢) Serjeant, R.B. Op.Cit. pp. 19-20.

(٣) Hopwood, Derek. (editor) The Arabian Peninsula, Society and Politics (London 1972) p. 94.

وقد نشب الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين منذ عام ١٥٤٦ بعد أن أرسل العثمانيون أسطولاً لمواجهة الأسطول البرتغالي في مياه الخليج العربي، وكان الهجوم العثماني البحري على ظفار. ثم تقدموا بعد ذلك إلى مسقط حيث قصفوها بقنابل المدافع. ولكن العثمانيين لم يغامروا بالنزول إلى البر فأبحروا بعيداً عن مسقط[1]. ورد البرتغاليون على ذلك الاجراء العثماني في عام ١٥٥٠ واغتنموا فرصة طلب بعض زعماء القبائل في منطقة البصرة مساعدتهم ضد العثمانيين فأرسلوا حملة بحرية ضد أهل القطيف ونجحت الحملة في إرغام الحامية العثمانية في القطيف على الاستسلام ودمرت الحصن أيضاً[2].

وبعد أن فشل العثمانيون في عملياتهم البحرية ضد البرتغاليين في الخليج العربي حاولوا التفاهم معهم انطلاقاً من أهمية التجارة الشرقية عبر الخليج العربي. وكانت هذه المحاولات قد بدأت بعد إخضاع البصرة للحكم العثماني المباشر في عام ١٥٤٦؛ فقد كتب حاكم هرمز البرتغالي إلى نائب ملك البرتغال في الهند بأن والي بغداد إياس باشا يرغب في أن تكون البصرة مركزاً ملائماً للتجارة[3] ولم تسفر تلك الرغبة العثمانية عن نتيجة إيجابية ولكن العثمانيين عادوا فجددوا الاتصال بالبرتغاليين في عام ١٥٦٢ عندما بعث بيكلريك حاكم البصرة مبعوثاً إلى هرمز للتفاوض مع البرتغاليين لإعادة العلاقات التجارية مرة أخرى إلى موانئ الخليج العربي، وأرسل نائب ملك البرتغال في الهند بدوره مبعوثاً إلى السلطان سليمان القانوني الذي بعث رسالة إلى ملك البرتغال تضمنت رغبة الدولة العثمانية في تأمين وحماية الطرق التجارية البرية والبحرية والسماح للرعايا العثمانيين بالتجارة مع الممتلكات البرتغالية[4] في مقابل إقامة علاقات صداقة بين الدولتين، ولكن هذه المحاولة وجدت مصير سابقتها وظلت العلاقات العثمانية ـ البرتغالية تحكمها القوة البحرية للدولتين.

---

(١) Danvers, F.C. Op. Cit. pp. 116-119.

(٢) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٤٠.

(٣) صالح أوزبران: المرجع السابق، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٤) صالح أوزبران: المرجع السابق، ص ٥٥ ـ ٥٦.

وقد شجع وجود الأسطول العثماني في البحر الأحمر على شن الهجوم على الموانئ التي سيطر عليها البرتغاليون على الساحل الأفريقي (سواكن وزيلع ومصوع) لا سيما وأن البرتغاليين قد سعوا بتحالفهم مع الحبشة إلى تعزيز وجودهم العسكري والتجاري في البحر الأحمر وإلى ضمان استمرار التجارة الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح، ولذلك نظم الأمراء المسلمون في دهلك ومصوع وزيلع وسواكن محاولة لغزو الحبشة في عامي ١٥٤٢ - ١٥٤٣ واستعانوا بالأسطول العثماني لطرد البرتغاليين من موانئ البحر الأحمر الأفريقية.

وقد استمر الصراع البرتغالي العثماني في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن السادس عشر، وتمكن العثمانيون من تصفية المواقع البرتغالية على امتداد سواحل البحر الأحمر وبنوا القلاع فيها وأقاموا إيالة الحبش ومركزها جدة. وفي مطلع القرن السابع عشر كانت السفن البرتغالية بانتظار السفن العثمانية التي تغامر بمغادرة البحر الأحمر بدون تصريح من البرتغاليين، وتتحدث التقارير الانكليزية بأن البرتغاليين يرسلون في كل عام ثماني سفن إلى مملكة برستر جون - الحبشة - والتي تزودهم بكثير من البحارة[1] في مجال التعاون البرتغالي - الحبشي ضد العثمانيين. وقد نشطت حركة النقل البحري في المحيط الهندي والخليج العربي، ونقل البرتغاليون اللآلئ والسجاد وغيرها من البضائع الثمينة. كما نشط العثمانيون في بناء السفن الحربية في السويس وطافوا بها الشواطئ البعيدة حتى عدن - والتي كانت في مطلع القرن السابع عشر غنية وقوية - ومالندي على ساحل أفريقية الشرقي[2]. وقد استفاد العثمانيون من قربهم إلى قاعدتهم البحرية في البصرة بالمقارنة مع البرتغاليين. كما كانوا أقل تأثراً بمناخ الخليج العربي والأوبئة فيه، ولم يشتهر العثمانيون بنفس القدر من الفساد والقسوة والرشوة[3] التي ميزت البرتغاليين عن غيرهم في الشرق.

---

(١) Colonial Papers. East Indies Vo.I. 1513-1616. (London, March 10, 1600) p.104.

(٢) Ibid. p. 104.

(٣) Belgrave, C.D. The Portuguese In The Bahrain Islands 1521-1602. Journal Of The Royal Central Asian Society Vol. XXII. Oct. 1935. Part IV. pp. 617-630) p. 627.

وهكذا ظل الخليج العربي مفتوحاً أمام الأساطيل البرتغالية لعدم توفر الموارد البحرية الكافية للعثمانيين لوقف التقدم البرتغالي كما لم يكن باستطاعة العثمانيين خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر المقاومة بسبب الخسائر الجسيمة التي لحقت بأسطولهم في سلسلة من العمليات الحربية[١]، والتي كان معظمها في صالح البرتغاليين، مما أدى إلى ازدياد الاعتداءات البرتغالية على السفن العثمانية. ففي شباط ١٥٦٥ هاجم البرتغاليون سفينة تجارية عثمانية وفي العامين التاليين حاول البرتغاليون اعتراض عدة سفن عثمانية كانت قاصدة البحر الأحمر. وفي عام ١٥٧٣ توجه البرتغاليون إلى البحرين واستولوا على عدة سفن عثمانية[٢]. ومهما يكن من أمر فإن العثمانيين لم ينجحوا في المحيط الهندي والخليج العربي كما نجحوا في البحر الأحمر وربما يعود ذلك إلى بُعْدِ قواعدهم البحرية في المياه الشرقية عن مركز ثقل قوتهم البحرية في البحر المتوسط، ولعدم تمكنهم من حشد القوى الإسلامية ضد البرتغاليين حيث ظل النزاع العثماني ـ السني، والصفوي ـ الشيعي يستنفذ إمكانيات القوى الرئيسية في العالم الإسلامي، ولأسلوب بعض القادة العثمانيين في التعامل مع العرب مثل الأسلوب الغادر الذي استولى به سليمان باشا الخادم على عدن[٣]. كما أدى عجز البحرية العثمانية في الخليج العربي والمحيط الهندي إلى نجاح البرتغاليين في قفل المنافذ البحرية في وجه التجارة العربية واقصاء العرب عن التجارة الدولية.

---

(١) صالح أوزبران: مرجع سبق ذكره، ص ٥١ ـ ٥٢.

(٢) صالح أوزبران: المرجع السابق، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٣) أحمد عزت عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

الصراع البرتغالي ـ العثماني في شرق افريقية

يرتبط النشاط العثماني البحري في الساحل الشرقي لافريقية بالضعف الذي طرأ على البرتغال خلال الفترة (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠) لانضمامها إلى اسبانيا، وبتدهور مركز البرتغال في الشرق وقيام سلسلة من الثورات المحلية ضدها في الساحل الشرقي لإفريقية وقد وجدت هذه الثورات بعض المساعدة من العثمانيين[١] ولما كان ساحل أفريقية الشرقي إحدى الدعامات الرئيسية في قوة البرتغال ومن مصادر ثروتها ومركز اتصال مهم في خطوط مواصلاتها بين الشرق والغرب، لذلك تمسك البرتغاليون به حتى بعد خسارة ممتلكاتهم في الشرق الأقصى على يد الهولنديين.

ولذلك لم يقتصر الصراع بين الأسطولين العثماني والبرتغالي على البحر الأحمر والخليج العربي بل امتد إلى المحيط الهندي وقد بدأ العثمانيون يهتمون بذلك الصراع في الربع الأخير من القرن السادس عشر حيث وصل أحد القادة السابقين للأسطول العثماني في البحر المتوسط ـ علي بك ـ الذي بدأ حياته البحرية مع أسطول خير الدين بربروسا في البحر المتوسط إلى جدّة واتخذها قاعدة لعملياته البحرية في المحيط الهندي. وعندما ظهر أسطوله في خريف ١٥٨٥ أمام ممباسة ليتخذها قاعدة دائمة لطرد البرتغاليين من شرق أفريقية أعلن علي بك أن قواته طليعة أسطول السلطان العثماني مراد الثالث بينما لم يكن في حوزة علي بك سوى سفينتين شراعيتين وثمانين بحاراً. ولما كان السكان قد عانوا كثيراً من وحشية الأساليب البرتغالية فقد رحبوا بالقائد

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٥.

العثماني ووافقت مقديشو وبارا وقاسمليو وفازا وكيلوه وليبا على إعلان ولائها للسلطان العثماني. كما قرر السكان في بمبا الثورة على الحكم البرتغالي وتحرير أنفسهم أسوة بما قام به جيرانهم في ممباسة فقاموا بقتل البرتغاليين في مدينتهم ولكن حاكم بمبا المحلي تمكن من الهرب مع عدد قليل من البرتغاليين إلى مالندي حيث تمكن بمساعدة البرتغاليين فيها من استعادة حكمه في بمبا[1]، وعاد علي بك إلى قاعدته في البحر الأحمر في نيسان ١٥٨٦ ومعه من الغنائم والأسلاب ما يقدر بحوالي ٦٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ومن الأسرى خمسين من البرتغاليين، كما استولى على سفينة برتغالية بالقرب من الساحل الشرقي لأفريقية.

وهكذا شجع علي بك أمراء الموانئ الإسلامية من مقديشو حتى ممباسة على الثورة ضد البرتغاليين بإعلانه أن أسطولاً عثمانياً كبيراً سوف يلحق به وأن السلطان العثماني قد أرسله لتحرير الساحل الأفريقي من الحكم البرتغالي. وهدد بذلك خطوط المواصلات البرتغالية بين شرق أفريقية وجزر الهند الشرقية لفترة قصيرة، ولكن الموانئ الإسلامية على الساحل الأفريقي لم تستطع مواصلة ثورتها ضد الحكم البرتغالي فاضطرت إلى إعلان تبعيتها مرة أخرى للبرتغال. فقد تبع رحيل علي بك وصول أسطول برتغالي كبير من جاوه في الهند بناء على استدعاء حاكم مالندي له، وأخذ في مهاجمة المدن العربية الإسلامية التي رحبت بالعثمانيين وتمكنت البرتغال من استعادة نفوذها في شرق أفريقية[2].

ثم عاد علي بك مرة أخرى إلى الساحل الشرقي لأفريقية في عام ١٥٨٨ ومعه أسطول من خمس سفن، ورحبت به المدن الساحلية باستثناء مالندي التي أطلقت النار على سفنه واستنجدت بالبرتغاليين في جاوه مرة أخرى فوصل أسطول برتغالي من عشرين سفينة وتسعمائة جندي إلى ممباسة واستعد

---

(١) Ingrams, W.H. Op.Cit. p.112.
وانظر أيضاً، السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي (القاهرة، ١٩٦٨). ص ٢٣.

(٢) Ingram, W.H. Op.Cit. p. 102; Alpers, Edward, A. Op.Cit. p.50.

علي بك للمقاومة ولكن قواته الصغيرة لم تتمكن من مواجهة البرتغاليين في الساحل وقبائل الزيمبا الثائرة في الداخل في وقت واحد. ولذلك لم ينج من القوة العثمانية سوى عدد قليل مما سهل على البرتغاليين تفريقها وأسر علي بك وإرساله إلى لشبونة[١].

وقد وضعت نهاية علي بك حداً للمحاولات العثمانية في تحدي السيطرة البرتغالية في شرق أفريقية، لا سيما وأن العثمانيين قد استعملوا سفناً خفيفة وقوات صغيرة في جهات بعيدة عن قواعدهم الرئيسية؛ ولذلك حسمت السفن البرتغالية المتفوقة والقريبة نسبياً من قاعدتها الرئيسية في جاوه الصراع لصالحها، على الرغم من التأييد الذي حظي به العثمانيون في أوساط السكان في شرق أفريقية.

(١) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٣٢٦. وانظر أيضاً أحمد عبد الرحيم مصطفى: مرجع سبق ذكره، ص ١٥٠.

الصراع البرتغالي ـ الانكليزي في الخليج العربي

بعد أن أصبحت البرتغال جزءاً من اسبانيا خلال الفترة (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠) ضعفت الامدادات العسكرية إلى المحطات البرتغالية في الشرق في الوقت الذي اشتدت فيه عداوة الشعوب الشرقية للسياسة البرتغالية بسبب قسوة أساليبها في الحكم والإدارة، كما زاد عداء الشاه عباس الأول للبرتغاليين فأعلن الحرب عليهم في منطقة الخليج العربي. وكانت التجارة الانكليزية مع الشرق قد بدأت في نهاية القرن السادس عشر، ولم يمض وقت طويل حتى بدأ الانكليز يشعرون بأن لديهم القوة الكافية للمخاطرة في بحار الشرق والمغامرة في مياه الخليج العربي كمنافسين للبرتغاليين للفوز بنصيب من التجارة الفارسية[1]. كذلك ظهرت السفن الهولندية لتنهي الاحتكار البرتغالي لتجارة المحيط الهندي. وعملت القوتان الأوربيتان الانكليزية والهولندية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر على إقصاء النفوذ السياسي والتجاري البرتغالي من الخليج العربي على الرغم من اتخاذ البرتغاليين كل الاجراءات للدفاع عن أنفسهم[2] ضد أعدائهم بعد أن أحسوا بخطورة القوى المنافسة لهم.

وقد لجأ البرتغاليون في بداية منافستهم التجارية مع الانكليز إلى إغراق الأسواق الفارسية ـ كما حدث في عام ١٦١٦ ـ بكميات كبيرة ومتنوعة من

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p. 184,

(٢) Wm. Biddulph To The East India Company. Surat. Feb. 28, 1615. (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) p.388; Serjeant, R.B. Op.Cit. p.20.

الأقمشة والبضائع للتأثير على التجارة الانكليزية. ولكن على الرغم من ذلك فقد حقق الانكليز نسبة جيدة من الأرباح تراوحت بين ٧٠٪ - ٨٠٪ [١] بل توقع الانكليز في عام ١٦١٧ الحصول على أرباح جيدة من التجارة الفارسية أكثر من تلك التي حصلوا عليها في الهند، ولكن الشركة الانكليزية في بداية تجارتها مع فارس ظلت تخشى أن يسبقها الاسبان إلى الاتفاق مع الشاه عباس الأول لا سيما بعد أن تأكد لها وصول السفير الاسباني إلى هرمز في ربيع ١٦١٧ قادماً إليها من جاوه في الوقت الذي كان فيه ممثلها كونوك موجوداً في أصفهان للحصول على امتيازات تجارية من الشاه عباس[٢] وذلك خوفاً منها على مصالحها التجارية.

وهكذا كان التنافس الانكليزي - البرتغالي على أشده وكلاهما يحاول أن يسبق الآخر للفوز بالامتيازات التجارية في فارس. وقد استفادت الشركة الانكليزية من تأخر السفير الاسباني في جاوه لمدة عامين احتجاجاً على استيلاء فارس على ميناء جمبرون من البرتغاليين.

ولكن اسبانيا قررت في النهاية استرضاء الشاه عباس فطلبت من سفيرها التوجه إلى أصفهان ومعه الهدايا الثمينة إلى الشاه عباس ليحصل منه بواسطتها على امتيازات تجارية مهمة وبوعده بتزويد الموانئ الفارسية بالبضائع التي تحتاج إليها.

وقد أدرك الانكليز منذ بداية اتصالهم التجاري مع الفرس عبر الخليج العربي صعوبة زحزحة البرتغاليين في هرمز عن مكانتهم بالقوة لأن اللجوء إلى الحرب سيكلفهم ثمناً باهظاً ويؤثر أيضاً على ازدهار التجارة في الخليج العربي

---

(١) Edward Connock And Thomas Barker To The Factors At Surat. Jasquis. Jan. 19, 1617. (Letters Received By The East India Company From Its Servants In the East. Vol.VI. 1617 Edited by William Foster, London 1902) p.63.

(٢) Edw. Connock To G. Pley. Ispahan, April. 10, 1617, (Colonial Papers. Vol II. 1617-21) pp. 24-25; Thos. Barker and Wm. Bell To Edw. Connock Agent at Ispahan. Shiraz. May 8, 1617. p.27.

ويعرضها للخطر. ولذلك حبذ الانكليز اللجوء إلى المفاوضات المباشرة[١] مع البرتغاليين لتمكين الشركة الانكليزية من التجارة مع موانئ الخليج العربي بحرية، ولكن موقف البرتغاليين كان مختلفاً؛ فعندما وصلت الأخبار إلى جاوه في كانون الثاني ١٦١٧ بقرار الشركة الانكليزية إقامة قلعة لها في جاسك صدرت التعليمات إلى الأسطول البرتغالي في الخليج بمنع الانكليز من التجارة مع فارس مما أدى إلى وقوع اشتباك مسلح بين السفن البرتغالية والانكليزية بالقرب من ميناء جاسك وانتهى الاشتباك بهزيمة الأسطول الذي أرسلته السلطات البرتغالية في جاوه لوقف التقدم الانكليزي التجاري في فارس والخليج العربي.

وهكذا بدأت في العقد الثاني من القرن السابع عشر مؤشرات الصراع البرتغالي ـ الانكليزي. فمنذ البداية حاول الانكليز إرهاب البرتغاليين واحباط محاولاتهم الرامية لمنع التجارة الانكليزية من الوصول إلى موانئ الخليج العربي واستفاد الانكليز من كراهية السكان المحليين للبرتغاليين بسبب غدرهم ووحشية أساليبهم فتظاهروا باللطف والكياسة في التعامل التجاري وأظهروا مودتهم إلى السكان[٢]. ولذلك بدأ البرتغاليون يخسرون الأسواق التجارية في منطقة الخليج العربي بسبب المنافسة الانكليزية والهولندية بعد أن سبق لهم تزويدها بالتجارة الشرقية وحققوا من ورائها أرباحاً طائلة في القرن السادس عشر.

ومهما يكن من أمر فقد تمكن الانكليز والهولنديون والفرس في العقد الثاني من القرن السابع عشر من إلحاق الهزيمة بالبرتغاليين في المحيط الهندي

(١) George Pley To Thos. Keridge At Surat. Ispahan, May 15, 1617. (Colonial Papers. Vol. II 1617-21) p.31; Sir Thomas Roe At Ahmadabad To The Company, February 14, 1618. (The English Factories In India Vol. I. 1618-1621 by William Foster. Oxford 1906) p.16.

(٢) Danvers, F.C. Op.Cit. pp. 117-119; Connock and others To Keridge. Agent At Surat. Ispahan. May 16, 1617. Edward Pettus To Robert Middleton — Merchant, London — Ispahan. June 2, 1617. (Colonial Papers Vol.II 1617-21) p. 31-35.

وفي الخليج العربي مما أثر على الشهرة العسكرية التي تمتعوا بها في القرن السادس عشر. كذلك عملت التجارة الانكليزية في الشرق على إضعاف مركزهم التجاري وخفض نسبة أرباحهم (١) لاسيما بعد أن تمكنت شركة الهند الشرقية الانكليزية من إقامة علاقات صداقة مع الفرس وطلبت منهم تأمين وحماية تجارتها في ميناء جمبرون في عام ١٦١٨ من الاعتداءات البرتغالية، فقام الفرس بإبلاغ البرتغاليين بعلاقات الصداقة التي تربطهم بالانكليز.

وبينما كانت الشركة الانكليزية تتقدم بثقة لتوطيد مركزها التجاري في فارس وتحقق نجاحاً تجارياً هدد ازدهار الحركة التجارية البرتغالية في هرمز وترسل سفنها التجارية إلى الموانئ الفارسية مما أثار الذعر والفزع في هرمز(٢)، كان البرتغاليون مشغولين في محاولات لا جدوى منها لاسترضاء الشاه عباس الأول بسبب الشكوك التي ساورتهم في وجود خطة لديه لطردهم من هرمز حيث يوجد للبرتغاليين قلعة فيها ومراكز تجارية أخرى منتشرة في أنحاء الخليج العربي، ولذلك اتخذ البرتغاليون الاستعدادات اللازمة للدفاع عن هرمز. وتجددت الاشتباكات البحرية على نطاق واسع(٣) بين الانكليز والبرتغاليين في الخليج العربي خلال عامي ١٦٢٠ و١٦٢١ وخسر البرتغاليون فيها عدداً من قادتهم ولحقت خسائر جسيمة بأسطولهم بينما خسر الأسطول الانكليزي قائده اندرو شيلنج مع عدد من القتلى والجرحى.

وقد أدت كراهية البرتغاليين لأي تدخل أوربي في مياه الخليج العربي إلى قيام تحالف مشترك بين شركة الهند الشرقية الانكليزية والشاه عباس الأول لطرد البرتغاليين من الخليج وقد تم التوصل إلى هذا التحالف نتيجة لسياسة

---

(١) Sir Thos. Roe To Sec. Winwood. Ajmere. Jan 30, 1616, (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616). p. 457.

(٢) Edward Pettus To The East India Company. Moghistan. Nov. 30, 1618. (Colonial Papers. Vol.II. 1617-21) pp. 214-215; Amin, Abdul Amir, British Interests In The Persian Gulf. (Leiden, 1967) p.141.

(٣) Richard Swan's Account of His Voyage In The Hart To The Coast Of Arabia. (The English Factories In India Vol.I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) pp. 284-286; Miles S.B. Op.Cit. p.209.

مسبقة قام بإعدادها الشاه عباس[1] ووجد الانكليز فيها مصلحة لهم. وبمساعدة السفن الانكليزية تمكن الشاه عباس في عام ١٦٢٢ من استرداد هرمز والتي كانت مركزاً تجارياً مهماً للبرتغاليين وتتوسط مراكزهم التجارية في الشرق. فخسر البرتغاليون أفضل ممتلكاتهم في الشرق، ولذلك فإن الاستيلاء على هرمز كان بداية نهاية التفوق البرتغالي في الخليج العربي مما مهد الطريق أمام الانكليز لتعزيز مركزهم تدريجياً[2] في الشرق بعامة وفي الخليج العربي بخاصة. وبذلك كان طرد البرتغاليين من هرمز أحد المعالم البارزة في تاريخ النفوذ الانكليزي في الشرق. وكانت سبع سفن انكليزية قد ساعدت الفرس في الاستيلاء عليها. وقد أثارت المساعدة التي قدمتها الشركة الانكليزية للفرس مسألة حقها في إعلان الحرب ومسألة خرقها لمعاهدات السلام القائمة بين اسبانيا وانكلترا[3] منذ عام ١٦٠٤ ولكن تلك المعاهدات لم تمنع الرعايا الاسبان والبرتغاليين والانكليز من الاعتداء على بعضهم في المياه الهندية.

وقد جاء رد الفعل البرتغالي على سقوط هرمز بيد الفرس متأخراً وكانت الاستعدادات العسكرية البرتغالية والاسبانية قد بدأت متأخرة في لشبونة حيث تم إعداد أربع سفن بحرية بقيادة نائب الملك الجديد إلى جاوه.كما أرسلت لشبونة أربع سفن أخرى محملة بالجنود مع حاكم جديد إلى هرمز ولكنها جميعها وصلت بعد فوات الأوان. وكانت السلطات البرتغالية في لشبونة تعلم بوقوع نزاع مع شاه فارس بشأن الممتلكات البرتغالية في الخليج، ولكنها ظنت أن الشاه لن يستطيع إلحاق الأذى بهرمز[4] لعدم وجود سفن حربية لدى الفرس.

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.2; Robt. Jefferies To The East India Company, Surat, March 14, 1621. (Colonial Papers Vol. II. 1617-21) pp. 420-421.

(٢) Wright, Arnold. Early English Adventurers In The East. (London 1917). p.254; (Sir Thos. Roe) To Sir Edward Herbert. His Majesty's Resident In France. Constantinople. Aug. 20-30, 1622. (Colonial Papers Vol.III. 1622-24) p.55.

(٣) Sir Henry Wottoh, The English Ambassador, To Sec. Calvert. Venice, Aug. 22, 1622. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-24) p.56.

(٤) Sir Walter Aston, The English Ambassador, To Lord Digby, Madrid, March 23; 1622. (Colonial Papers, Vol.III. 1622-24) p.26; Strandes, Justus. Op.Cit. pp. 195-196.

وحاول البرتغاليون استعادة هرمز في عام ١٦٢٣ ولكنهم فشلوا على الرغم من الامدادات التي وصلتهم من جاوه فقد نجح الفرس بمساعدة السفن الحربية الانكليزية والهولندية في صدهم عنها. ولكن محاولات البرتغاليين لم تتوقف فأرسلت السلطات البرتغالية في نيسان ١٦٢٤ أسطولاً قوياً من مسقط بقيادة راي فرايري[1] الذي عاد إلى مياه الخليج العربي بعد أن تمكن من الهرب من أسر الانكليز وطلب من الفرس إعادة هرمز إلى البرتغاليين أو إعفاء البضائع البرتغالية من الجمارك وأن تكون التجارة البرتغالية حرة في كل موانئ الخليج دونما مضايقة أو إزعاج من الانكليز والهولنديين[2]. وقد أخاف الأسطول البرتغالي في الخليج الفرسَ ولذلك حصّنوا جمبرون وقشم خوفاً عليها من مهاجمة الأسطول البرتغالي. وأدرك الفرس في عام ١٦٢٤ صعوبة الدفاع عن مياه الخليج العربي ضد الخطر البرتغالي بدون وجود سفن بحرية للدفاع عنها ولذلك بذل الفرس عدة محاولات لتدمير مسقط.

ثم وقعت سلسلة من الاشتباكات بين السفن الانكليزية والهولندية من ناحية والسفن البرتغالية من ناحية أخرى في مقابل ساحل جمبرون في ١٤ شباط ١٦٢٥، وخسر الانكليز في هذه الاشتباكات ٢٩ رجلاً وخسر الهولنديون عدداً مماثلاً بينما فقد البرتغاليون حوالى ٤٠ رجلاً؛ وفي رواية أخرى بلغت خسائرهم ثلاثة أمثال خسائر الانكليز[3] ولحقت بالأساطيل المتحاربة إصابات بليغة، واستولت السفن الانكليزية على حمولة سفينة برتغالية من القطن والحبوب خارج مضيق هرمز. وعلى الرغم من ذلك فقد أبدى البرتغاليون استعدادهم في نيسان عام ١٦٢٥ لاستعادة هرمز مرة أخرى. ولكن الفرس

---

(١) Danvers, F.C. Report On The India Office Record Relating To Persia And The Persian Gulf. (London ?) p.12.

(٢) Edward Heynes, William Gibson, And Richard Cooper In Persia To The Company. Feb. 15, 1632. (The English Factories In India Vol. IV. 1630-1633. By William Foster. Oxford 1910). pp. 207-208.

(٣) Thos. Barker, John Purefey, John Benthall, and John Haywarde To The East India Company. Ispahan. May 30, 1624. (Colonial Papers Vol.III. 1622-24) pp.286-288; Vol.IV. 1625-29. p. 20; Notes Of The Fights In The Persian Gulf. (The English Factories In India Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) p.85.

دافعوا عنها وكان راي فرايري قد خرّب قلاعاً كثيرة بين جاسك وجمبرون وأحرق معظم القوارب على طول الساحل الفارسي مما أثر على حركة التجارة في الخليج العربي وأبلغ السلطات الفارسية بأن الشركة الانكليزية لا تملك الجرأة لمنع البرتغاليين من أخذ هرمز[1] بسبب الاتفاق الذي تم بين البرتغال وانكلترا في أوربا. وهكذا ظل الخطر البرتغالي في الخليج العربي قوياً وهدد المصالح الانكليزية والهولندية حيث بلغ مجموع السفن البرتغالية في الخليج ٢٩ سفينة من ذوات ٦٥ مدفعاً فأقل[2] ولكن النتيجة النهائية للصراع لم تكن في صالح البرتغال.

وبعد ثلاث سنوات من الاستيلاء الفارسي على هرمز عقدت فارس اتفاقاً مع البرتغال في عام ١٦٢٥ اعترفت بموجبه البرتغال بانتقال هرمز وقشم إلى الشاه عباس الأول في مقابل حصول البرتغال على نصف العائدات الجمركية التي يتم تحصيلها في ميناء كونغ بالقرب من لنجه[3]. ولكن فارس ظلت تسعى إلى طرد البرتغاليين من مسقط على الرغم من الاتفاق السابق وطلبت من الشركة الانكليزية في عام ١٦٢٧ التعاون معها في هذا الشأن. وقد تردد الانكليز في الوقوف إلى جانب الفرس ضد البرتغاليين ربما بحكم تجربتهم السابقة معهم في هرمز. ولذلك تأجل المشروع حتى عام ١٦٣٠ لانشغال الشاه عباس الأول في الحرب ضد العثمانيين في عامي ١٦٢٨ - ١٦٢٩، وبرّر الانكليز امتناعهم عن تقديم المساعدة بدعوى أن مفاجأة مسقط تحتاج إلى قوة بحرية

---

(١) Consultations Held At Gonbroon, Present. Thos. Kerridge Agent For restlıng or disolving the Company's trade in Persia. Thos. Barker And John Benthall, Factors of long residence in these Parts. Jan.1 to Feb. 10, 1625. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-29) pp.2-3; Vol.IV. p.29, 59, 60. Saldanha, J.A. The Portuguese In The Persian Gulf. (The Journal Of The Bombay Branch Of The Royal Asiatic Society. Vol XXIII. London 1914). p. 40 Court Minutes Of The East India Company Oct. 4-7, 1626.

(٢) Colonial Papers. Vol.IV 1625-29. p.274; Notes Of The Fights In The Persian Gulf (The English Factories In India Vol.III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) p.85.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥١ - ٥٢.

كبيرة[١] لأن الأسطول البرتغالي كان لا يزال قوياً في الخليج آنذاك؛ وتوقع الانكليز الخطر الذي سيلحق بأسطولهم إذا ما جاء إلى الخليج متفرقاً[٢].

وبلغ من عنف الصراع بين البرتغاليين والانكليز في عام ١٦٢٧ أن عامل الجانبان الأسرى معاملة سيئة للغاية ونادى بعض المسؤولين الانكليز بإعدام كبار الضباط البرتغاليين ومعاملة راي فرايري إذا وقع في أسر الانكليز مرة أخرى نفس معاملته الوحشية للأسرى الانكليز. ولكن قرار الشركة الانكليزية قضى بمعاملة الأسرى البرتغاليين بالأشغال في الأسطول بعد تكبيلهم بالقيود حتى تتم مبادلتهم[٣]. وكانت السفن الأوربية والفارسية قد تعرضت على نطاق واسع لانتقام الأسطول البرتغالي بقيادة راي فرايري في العقد الثالث من القرن السابع عشر.

كذلك لم يحترم البرتغاليون الاتفاق السابق (١٦٢٥) فأخذوا يعززون قواتهم في الخليج، فقد غادرت جاوه في عام ١٦٢٨ خمس سفن حربية قاصدة مسقط، وحاولوا في عام ١٦٣٠ القيام بمشروع لاستعادة هرمز. ولتحقيق هذا الهدف أرسلت البرتغال إمدادات بحرية إلى نائب الملك في جاوه ضمت تسع سفن حربية وألفي جندي[٤] ويبدو أن النية لم تتوفر لدى السلطات البرتغالية في الشرق للدخول في حرب مع الآخرين في عام ١٦٣٠ فاكتفت بالحصول على فرمان من الشاه صفي بتجهيز السفن البرتغالية في الخليج العربي بما تحتاجه من مؤن في مقابل تزويد الشاه بكمية قليلة من الذخائر الحربية.

وجرت منافسة حادة بين البرتغاليين والانكليز في عام ١٦٤٥. وفي محاولة

---

(١) Court Minutes Of The East India Company. March 2-5, 1627. (Colonial Papers Vol. IV) pp. 327-329; Vol.IV. 1625-29 Dec. ? 1628. p.597. Vol.V 1630-34 Ispahan. Feb. 27, 1630; William Burt To The East India Company. pp. 6-7.

(٢) Ibid Vol. IV. 1625-29. Dec.? 1628. p.597.

(٣) Colonial Papers Vol.IV. 1625-29; Feb. 28, 1627, p.326.

(٤) Danvers. F.C. Op.Cit. p.20; Boxer, C.R. Anglo-Portuguese Rivalry In The Persian Gulf 1615-1635 pp.46-129. (Chapters In Anglo Portuguese Relations. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971) pp.123-124.

برتغالية لمنع التجار المحليين من عرب وفرس وهنود من نقل بضائعهم في سفن الشركة الانكليزية أعلنت السلطات البرتغالية في الخليج العربي أن حرباً ستقع بين الانكليز والبرتغاليين في عام ١٦٤٦ وأن نائب ملك البرتغال في الهند سيمنع السفن الانكليزية من التجارة مع البصرة(١).

ولكن العلاقات الانكليزية ـ البرتغالية تحسنت نتيجة لاتفاقية الزواج التي وقعت في ٢٣ حزيران ١٦٦١ والتي بموجبها أهدى ملك البرتغال جزيرة بومباي إلى ملك الانكليز شارل الثاني لزواجه من الأميرة البرتغالية انفانتا كاترين في ٣١ أيار ١٦٦٢. وقد استهدفت المعاهدة تأسيس صداقة قوية بين الدولتين، ووفقاً للمادة السرية الملحقة بالمعاهدة السابقة وعد ملك الانكليز بمساعدة البرتغال ضد هولندا واسبانيا وبالتوسط لعقد صلح بين البرتغال وهولندا وتعهد بعدم عقد معاهدة مع اسبانيا ما لم تكن البرتغال طرفاً فيها. ولكن على الرغم من هذه المعاهدة ظل البرتغاليون يحسدون الانكليز ويعادون الهولنديين(٢). كما أرغم البرتغاليون في عام ١٦٧٦ كل السفن التي كانت تدفع الجمارك في السابق في ميناء كونغ بالاستمرار في دفعها في كونغ واعترضوا سفن الشركة الانكليزية وهي في طريقها إلى جمبرون مما أدى إلى استياء الانكليز منهم وإلى النيل من سمعة البرتغاليين الذين رفضوا منح أي تصريح بالمرور لأي من السفن الصغيرة التي ترغب في التوجه إلى ميناء جمبرون(٣) مما أثر على حصة الانكليز من الرسوم الجمركية فيها.

---

(١) Colonial Papers. Vol. V. 1630-34 (Agent William Burt) To (The East India Company) Oct. 6, 1630, p.62; Robert Cranmer, Thomas Cogan And William Weale At Basra To The President And Council At Surat. Oct. 3, 1645. (The English Factories In India Vol.VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913). pp. 294-295.

(٢) David, M.D. History Of Bombay 1661-1708. (Bombay 1973). pp. 29-31, Annales Of The Honorable East-India Company. Vol.I. p.671.

(٣) Gerald Aungier, President and Council at Surat To Thomas Rolt. April 6, 1676. (Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With a Summary of Events 1600-1800) p.30; Sainsbury, Ethel Bruce. A Calendar Of The Court Minutes Etc. of the East India Company 1677-1679. (Oxford 1938) p.14.

وعلى الرغم من وضع الانكليز القوي في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر فإنهم لم ينفردوا في السيطرة على منطقة الخليج العربي بل تقاسموا النفوذ البحري والتجاري مع الهولنديين والبرتغاليين وعرب عمان. أما فارس فلم يكن لديها أسطول، كما لم يكن للأسطول العثماني من نفوذ خارج مياه البصرة.

تغير الأحلاف في الخليج العربي

استلم القائد البرتغالي راي فرايري في عام ١٦٢٤ طلباً للمساعدة من باشا البصرة العثماني الذي كان يواجه حملة فارسية قوية بقيادة إمام قولي خان ـ قائد الحملة الفارسية على هرمز في عام ١٦٢٢ ـ. ولما كانت البصرة قد أصبحت آنذاك مركزاً مهماً للتجارة البرتغالية في الخليج العربي بعد سقوط هرمز في يد الفرس، وحتى يبعد راي فرايري الخطر الفارسي عن مسقط فإنه كان على أتم الاستعداد لتقديم المساعدة إلى باشا البصرة للدفاع عن المدينة، ولذلك أرسل قوة بحرية تتألف من ست سفن حربية (غاليون) بقيادة دوم جون كلود دي سيلفر الذي بقي في البصرة حتى شهر تشرين الثاني ١٦٢٥[١] وأقام البرتغاليون مركزاً تجارياً لهم في البصرة واستقر الرهبان الكرمليون مع بعثتهم الدينية فيها. وقد جاءت المساعدة البحرية البرتغالية للدفاع عن البصرة بعد استيلاء الفرس على بغداد من الدولة العثمانية في عام ١٦٢٣.

وفي المقابل توجه خان شيراز «إمام قولي خان» بطلب ملح وعاجل إلى الانكليز طالباً مساعدتهم البحرية ضد البرتغاليين في البصرة، وعرض على الانكليز دفع كافة النفقات، غير أن قائد الأسطول الانكليزي في الخليج رفض العرض الفارسي بشدة لأن التدخل الانكليزي إلى جانب الفرس سيورط الانكليز في حرب مع العثمانيين كما سيؤدي إلى إلحاق الأذى بالتجارة

---

(١) Boxer, C.R. Op.Cit. pp.88-91.

الانكليزية في الدولة العثمانية(١).

ولما خاب أمل الفرس بالحصول على المساعدة من أصدقائهم الانكليز، فإنهم كانوا في عام ١٦٣١ على استعداد لإعطاء البرتغاليين مستوطنة في كونغ ومنحهم الامتيازات نفسها التي حصل عليها الانكليز في جمبرون «بندر عباس» على أن يتركوا للشاه ممتلكاته في جزيرة كونغ وأن يأخذوا نصف الجمارك فيها(٢). ولعل ذلك يعود إلى حنق الفرس لعدم حصولهم على المساعدة الانكليزية في متابعة الهجوم على مسقط بعد استيلائهم على هرمز في عام ١٦٢٢. وكان الفرس يتوقعون سهولة سقوطها في أيدي القوات الانكليزية ـ الفارسية المشتركة ولكن الفرس لم ييأسوا من رفض الانكليز تقديم المساعدة البحرية ضد مسقط فتقدموا مرات كثيرة بمشاريع مشتركة لطرد البرتغاليين من مسقط، منها ما تم في عام ١٦٣٤ حيث راودت الفرس الآمال بإمكانية الاستيلاء على مسقط من البرتغاليين(٣). ولكن هذه المحاولات الفارسية فشلت لعدم توفر المساعدة الانكليزية أو الهولندية لها لأن شركة الهند الشرقية الانكليزية وجدت أن من الأفضل لها الحصول على الأموال بدلاً من الحصول على الأراضي، وأدرك الفرس أن الانكليز بعد صلحهم مع البرتغاليين في الهند في عام ١٦٣٦ لا يستطيعون معارضة أي محاولة قد يقوم بها البرتغاليون لاستعادة هرمز(٤) كما توقع الانكليز انتهاز الهولنديين الفرصة والوقوف إلى جانب الشاه ضد البرتغاليين.

(١) Ibid, p. 91, 113, 123; Boxer, C.R. (editor) Commentaries Of Ruy Freyre De Andrada (Gt. Brit. 1930) p.Li.

(٢) Hamilton, Alexander. A New Account of The East Indies. (A General Collection Of The Best And Most Interesting Voyages And Travels In All Parts Of the World. Vol. VIII. Digested By John Pinkerton. London 1811). pp 295-296; History of the Late Revolution of Persia. 2 Vols. (London 1740) Vol. I.p. 246.

(٣) Boxer, C.R. Op.Cit. p. 124; Agent Wm. Gibson, Wm. Falle and Philip Dickson To The East India Company. Ispahan. Nov. 27, 1634. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-34) p.597.

(٤) President Wm. Methwold, Nath Mountevey, Wm. Fremlen. Tho. Turnor, and Richard Cooper To The East India Company, Swally Road. Dec. 29, 1634, (Colonial Papers, Vol. V. 1630-34) p.614; The Company To The Agent And =

وهكذا بقي البرتغاليون في الخليج العربي؛ وعلى الرغم من ضعف قوتهم وزوال هيبتهم البحرية فقد حافظوا على وكالتهم التجارية في كونغ والتي أقام فيها وكيل برتغالي مفوض بمنح تصاريح المرور للسفن المحلية وباستلام حصة ملك البرتغال من الرسوم الجمركية[1]، وعلى محطاتهم التجارية في ساحل عمان حتى منتصف القرن السابع عشر. وقد أدت خسارة البرتغاليين مسقط في عام ١٦٥٠ إلى إضعاف النفوذ البرتغالي. ومنذ عام ١٦٣٥ شارك البرتغاليون الفرس في الرسوم الجمركية كما فعل الانكليز في بندر عباس وواجهوا الصعوبات نفسها في تعاملهم مع الفرس شأن الانكليز من قبل[2]. ولذلك لجأ البرتغاليون حوالي عام ١٦٧٥ إلى إرغام السفن للتوجه إلى كونغ بدلاً من جمبرون لخوفهم من مصادرة بضائعهم من قبل الأسطول البرتغالي الذي يزور كونغ سنوياً للحصول على نصف العائدات الجمركية من السلطات الفارسية[3] وكان الانكليز والبرتغاليون قد حاولوا القيام بعمل مشترك ضد الفرس في عام ١٦٤٥ للحصول على نصيبهم من الرسوم الجمركية في جمبرون وكونغ، ولذلك حدث استياء شامل في أوساط الشركة الانكليزية في عام ١٦٧٦ بسبب رفض البرتغاليين منح تصريح بالمرور للسفن المحلية التي ترغب في التوجه إلى جمبرون وقرر الانكليز في حالة إصرار البرتغاليين على موقفهم رفض منح السفن الهندية المتجهة إلى كونغ تصاريح مرور إنكليزية[4]. وفي عام ١٦٧٧ خف التوتر بين الفرس والبرتغاليين بشأن إرغام السفن التجارية على التوجه إلى كونغ بعد أن وعد الفرس البرتغاليين بمعاملة عادلة فيما يتعلق بحصتهم من الرسوم الجمركية في كونغ.

Factors In Persia. May 25, 1636. (The English Factories in India Vol.V. 1634-1636. By William Foster. Oxford 1911) p.260. =

(١) Boxer, C.R. Op.Cit. p.113.

(٢) Boxer, C.R. (Commentaries) Op.Cit. p.XLIII; Amin Abdul Amir. Op.Cit. p.13.

(٣) The Surat Presidency, 1676. (The English Factories In India. New Series. Vol.I. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936). p.273.

(٤) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ١١٥ - ١١٦.

ومنذ عام ١٦٩٥ توقفت زيارات السفن الانكليزية لميناء كونغ بسبب قلة الأرباح فيه وكان لدى البرتغاليين شكوك بأن غارات عرب مسقط على السفن البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي إنما كانت بتشجيع وتحريض من الانكليز. وللثأر من عرب مسقط عرض البرتغاليون على الفرس المساعدة بأسطولهم في نقل الجنود الفرس إلى مسقط بهدف الاستيلاء عليها من العرب في مقابل مبلغ معين من المال[١]. وفي مطلع القرن الثامن عشر استولى العثمانيون على هرمز كما استولى العرب في مسقط على البحرين، وأرسل الشاه الصفوي سفيراً إلى جاوه لطلب المساعدة البرتغالية ضد العرب والعثمانيين فأرسلت السلطات البرتغالية أسطولاً إلى كونغ في عام ١٧١٩.

(١) The Surat Presidency, 1677. (The English Factories In India. Op.Cit.) p.286; William Pitt And Philip Wylde At Gombroon To The Company. May 16, 1645. (The English Factories In India vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913). pp 265-272. History Of The Late Revolution of Persia (Op-.Cit) p.246.

المقاومة العربية للاحتلال البرتغالي

شهدت الفترة (١٥٠٧ - ١٦٥٠) صراعاً عنيفاً بين القوى العربية في الخليج والقوة البحرية البرتغالية وقد استخدم البرتغاليون خلال فترة الصراع أعنف أساليب الإرهاب ومارسوا كل وسائل القسوة لإخضاع العرب لنفوذهم وتحقيق الأهداف البرتغالية في المنطقة العربية من بناء للمحطات التجارية والقلاع العسكرية والكنائس في موانئ هرمز ومسقط والبحرين. ومنذ البداية واجه الاحتلال البرتغالي مقاومة عربية في الساحل العماني.

وبعد طرد البرتغاليين من هرمز في ١٦٢٢ عملوا على توطيد نفوذهم في مسقط فأقاموا فيها مركزاً للجمارك في عام ١٦٢٤ وكنيستين؛ واتخذوا منها مركزاً رئيسياً لهم في الخليج العربي واهتموا بمينائها الذي جذبت شهرته الكثير من أثرياء التجار في هرمز ومنطقة الخليج العربي. ولكن الجهود البرتغالية لم تنجح في جذب الحركة التجارية إلى مسقط والنهوض بها لتحقيق الازدهار التجاري الذي نعمت به هرمز من قبلها[1]. وعلى الرغم من ذلك فقد تمتعت مسقط بمركز جغرافي حاكم ومسيطر وبدفاعات طبيعية منيعة مما جعلها تتفوق على غيرها من موانئ الخليج العربي.

ولم يمض وقت طويل على طرد البرتغاليين من هرمز ١٦٢٢ حتى بايع عرب عمان ناصر بن مرشد إماماً عليهم في عام ١٦٢٤. وبعد أن استقرت

---

(١) Osgood, Joseph. Notes Of Travel of Recollections of Majunga, Zanzibar, Muscat, Aden, Mocha, and other Eastern Parts. (New York 1972). pp.81-82; Miles, S.B. Op.Cit. p.191.

الأوضاع في عمان بدأ الإمام ناصر يعمل على طرد البرتغاليين من الساحل العماني، وكانت جهود البرتغاليين قد انحصرت منذ عام ١٦٣٠ في المحافظة على مراكزهم في ساحل عمان مع محاولات فاشلة لاستعادة جزيرة هرمز. وقد نجح عرب عمان في طرد البرتغاليين من صحار وصور في عام ١٦٤٣[1]. وتمكن الإمام قبل وفاته في نيسان ١٦٤٩ من طرد البرتغاليين بنجاح من كل الموانئ العثمانية باستثناء مسقط. وخلفه قريبه الإمام سلطان بن سيف الذي تمكن من طردهم من مسقط في عام ١٦٥٠ ومن تكوين أسطول قوي أخذ على عاتقه ملاحقة البرتغاليين حتى قواعدهم في الساحل الشرقي لافريقية وفي الهند أيضاً. وفشلت كل المحاولات التي بذلتها السلطات البرتغالية في لشبونة وجاوه لاستعادة مسقط. ففي عام ١٦٥٢ وصلت إلى الخليج أخبار عن الأسطول البرتغالي الذي ضم خمس سفن حربية وحوالي ثلاثين سفينة صغيرة، كما وردت الأخبار عن استيلائه على بعض السفن العربية وعن الخطة التي وضعها قادة الأسطول بالتوجه إلى كونغ للتزود بالمؤن ولتعزيز مركزهم الجمركي فيها وتأمين أعمالهم التجارية ثم التقدم بعد ذلك إلى مسقط لاستعادتها[2]. وفي عام ١٦٥٢ أفادت التقارير بوصول الأسطول البرتغالي الكبير الذي يتألف من حوالي خمسين سفينة إلى ميناء مسقط ولكن دون جدوى؛ وقد أدى استيلاء العرب على مسقط إلى تدهور النفوذ البرتغالي في الخليج العربي كما أدى استيلاء العرب على ممباسة إلى انتقال السيطرة البرتغالية في شرق أفريقية إلى العرب لبعض الوقت.

وكان وضع البرتغاليين حرجاً في كونغ في عام ١٦٦٩، وكانوا يتوقعون أسطولاً من جاوه لتعزيز قوتهم فيها؛ فقد تحركت ست سفن حربية تابعة لأسطول عرب عمان بدعوى إرسالها إلى ميناء مخا في البحر الأحمر ولكنها

---

(١) Danvers, F.C. Op.Cit. p.12; Longrigg, Stephn Hemsley. Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut ?) pp. 105-106.

(٢) Stigand, C.H. Op.Cit. pp. 20-21; Strandes, Justus. Op.Cit. p.199; Messrs. Lewis, Young And Park At Gombroon To The Company. May 15, 1652. (The English Factories In India Vol. IX, 1651-1654 By William Foster. Oxford 1915) pp. 124-126.

توجهت إلى ميناء جمبرون الفارسي وتسبب ظهورها في إحداث قدر كبير من الذعر والفزع في مدينة جمبرون، ولكنها بعد أن تأكدت من عدم وجود سفن برتغالية في ميناء جمبرون غادرته دون أن تلحق به أذى[١]. وهكذا أخذت القاعدة البرتغالية في كونغ تلفظ أنفاسها مع نهاية القرن السابع عشر لازدياد نشاط الأسطول العربي وعجز الأسطول البرتغالي عن تحقيق أي نصر حاسم ولم تقتصر المقاومة العربية للسيطرة البرتغالية على الخليج العربي بل امتدت إلى الساحل الشرقي لأفريقية أيضاً في النصف الثاني من القرن السابع عشر عندما طلب سكان ممباسة مساعدة العرب في عمان. ولبى الإمام سلطان بن سيف النداء وحاصر القلعة البرتغالية «قلعة يسوع» في ممباسة في عام ١٦٦٠؛ وبعد خمس سنوات من حصارها[٢] استولى العرب عليها. ولكن البرتغاليين تمكنوا من استعادة القلعة وعاملوا السكان بوحشية بالغة ولذلك طلب السكان مرة أخرى مساعدة الإمام سيف بن سلطان «قيد الأرض» ضد البرتغاليين حيث تمكن الإمام في عام ١٦٩٨ من الاستيلاء على قلعة ممباسة ومن فرض نفوذه على زنجبار وكيلوه وبمبا ولكنه فشل في الاستيلاء على قلعة موزمبيق. وبتراجع البرتغاليين عن ممباسة خسروا معظم الساحل الشرقي لافريقية بعد سقوط القوة البرتغالية في شمال موزمبيق.

وفي نهاية القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر نظمت لشبونة وجاوه حملات بحرية في ١٦٩٩ و١٧٠٣ و١٧١٠ لاستعادة ممباسة ولكن دون جدوى. ولذلك سجل الربع الأول من القرن الثامن عشر طرد البرتغاليين من شرق أفريقية، باستثناء فترة قصيرة دامت عامين (١٧٢٧ - ١٧٢٩) تمكنت البرتغال خلالها من فرض سيادتها مرة أخرى على الساحل.

---

(١) Sutton, J.E.G. Op.Cit. p.25; Messrs, Spillers, Young, Park, And Joscelyn At Gombroon To The Company Feb. 28, 1653. (The English Factories In India Vol IX. 1651-1654 By William Foster. (Oxford 1915) pp.195-197; The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India Vol. XI. 1665-1667 By Sir William Foster. Oxford 1925) p.211.

(٢) Strandes, Justus, Op.Cit. p.200; Ogot B.A. and Kieran, J.A. Op.Cit. p.122, Eliot, Sir Charles. The East Africa Protectorate. (London 1966). pp.19-20.

الأساليب البرتغالية في الحكم

تميز الحكم البرتغالي في الشرق بالغطرسة والوحشية في معاملته للسكان المحليين، كما تميز أيضاً بالظلم والاستبداد وبالاعدامات الدموية التي قام بها مما تسبب في زيادة نفور الشعوب الشرقية من البرتغاليين وفي كراهيتها المطلقة لنظام الحكم البرتغالي البغيض؛ ولذلك لم يجد البرتغاليون بصورة عامة أصدقاء مخلصين لهم في الشرق يمكنهم الاعتماد على ولائهم في ساعة الخطر[١] باستثناء بعض الحالات القليلة.

وقد قامت السياسة البرتغالية في القرن السادس عشر على الاعتماد على القوة البحرية والاكتفاء بإقامة محطات للتموين والحراسة وعدم اللجوء إلى ممتلكات برية واسعة. ولذلك اكتفى البرتغاليون في الجهات التي وصلوا إليها بالاستيلاء على شريط ساحلي فيها لفشل محاولاتهم السابقة عندما جربوا الاستيلاء على الأراضي الداخلية ولأن امبراطوريتهم كانت ذات أهداف اقتصادية تقوم على احتكار تجارة الأفاويه والتوابل بين الشرق والغرب ومنع البضائع الشرقية من الوصول إلى موانئ البحر الأحمر والخليج العربي عبر طرق التجارة الشرقية القديمة.

ولما كان البرتغاليون قد اهتموا في البداية بالشؤون التجارية البحتة لأسباب تجارية محضة فقد تبنوا سياسة خاصة بهم قامت على تأسيس مراكز

---

(١) Reusch, Richard. Op.Cit. p.257.
وانظر أيضاً: زين الدين: تحفة المجاهدين في بعض أحوال البرتغاليين ص ٤٤ - ٤٧. Edited by David Lopes (Lisboa 1898).

تجارية وقواعد عسكرية في الموانئ التي وصلوا إليها وكان الهدف الأساسي منها تأمين سلامة رسو السفن البرتغالية وتحصيل الرسوم والضرائب وتأمين التصدير، ووجد البرتغاليون أنه ليس في مصلحتهم التدخل في شئون الحكم المحلي طالما بقي السكان محافظين على الهدوء باستثناء استغلالهم كقوة بشرية في العمل أو في تحصيل الضرائب والإيرادات المالية الأخرى[1]. ولكن في حالة قيامهم بثورة أو اضطراب فيتم إخضاعهم بقسوة بالغة وعنف شديد.

وفي الخليج العربي أحكم البرتغاليون سيطرتهم على هرمز منذ عام ١٥١٥ واتخذوا منها قاعدة لحكم المنطقة في القرن السادس عشر، كما أحكم البرتغاليون قبضتهم على المناطق التي استولوا عليها على الرغم من الصعوبات والتحديات التي واجهتهم في مياه الخليج العربي، كذلك سيطرت السفن البرتغالية على مداخل معظم الموانئ في الخليج العربي وتحكمت فيها ونظمت السلطات البرتغالية في هرمز التجارة في المنطقة بواسطة قلعة كبيرة كان البوكيرك قد أقامها في هرمز واستقرت فيها حامية برتغالية قوية تحكمت في مدخل الخليج العربي، وعملت على استمرار التفوق البرتغالي السياسي والتجاري وأشرفت على حكم مدينة هرمز وعلى مركز الجمارك فيها. ومن هرمز أشرفت السلطات البرتغالية على الموانئ الأخرى في الخليج العربي. وقد وفّر هذا الأسلوب في الحكم كل الفوائد التجارية التي رغب البرتغاليون فيها[2].

وقد فرضت السلطات البرتغالية على السفن غير البرتغالية والتي يرفع بعضها العلم المحلي الحصول على تصاريح مرور للإبحار في المياه الشرقية وكان من الصعب الحصول على تلك التصاريح في كثير من الأحيان[3].

(١) Savory, M. "A.D. 600-1800". (Cottrell, Alvin J. — General Editor — The Persian Gulf States, A General Survey, London 1980). p.32.
وانظر أيضاً محمد عبد اللطيف البحراوي: مرجع سبق ذكره ص ٧٦.

(٢) Kelly, J.B. Britain And The Persian Gulf. 1795-1880. (Oxford 1968). p.2; Miles. S.B. Op.Cit. pp.164-166 Danvers, F.C Op.Cit. pp. 10-11.

(٣) Danvers. F.C Op.Cit. p.9, Hawley Donald, Op.Cit. pp.77-79.

وبتطبيق هذه السياسة الاحتكارية سيطر البرتغاليون عملياً على الملاحة والتجارة في المحيط الهندي وتحكموا في الأسواق التجارية فيه أيضاً.

هذا ولم يتدخل البرتغاليون في الشئون المحلية الأخرى مثل الإدارة الداخلية والعادات المحلية والمسائل الدينية فتركوا للشعوب الشرقية قوانينها الخاصة[1]. وتركوا السكان ليحكموا أنفسهم كما يرغبون حتى في الموانئ والمدن التي أقامت فيها حاميات برتغالية طالما كان ذلك لا يؤثر على المصالح البرتغالية وطالما بقي الحكام المحليون لا يعارضون السيادة البرتغالية ولا يتدخلون في شئون التجارة الهندية. بل حاول البرتغاليون الانتفاع من الأنماط التجارية والصناعية التقليدية في الخليج العربي لزيادة منافعهم الاقتصادية.

ولكن الاشراف على كل تجارة المحيط الهندي مهمة تفوق القدرات والامكانيات البرتغالية ذات الموارد المحدودة، ولذلك كان خصوم البرتغال من الأوربيين منذ أواخر القرن السادس عشر على استعداد تام لمهاجمة المركز البرتغالي المتفوق في المياه الشرقية وعلى إنهاء الاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية خلال الربع الأول من القرن السابع عشر.

ولما كان استغلال الثروات الشرقية والاحتكار التجاري لها بالإضافة إلى الأهداف السياسية والدينية الأخرى الطابع المميز لسياسة المؤسسة الحاكمة في البرتغال في القرن السادس عشر فقد أصبحت موانئ قلهات ومسقط وصحار بعد إخضاع هرمز محطات للتجارة البرتغالية، وعينت السلطات البرتغالية الحاكمة في هرمز حكاماً عليها من البرتغاليين إلى جانب حكامها المحليين الذين عينهم ملوك هرمز. كما قدمت السفن البرتغالية وهي في طريقها إلى هرمز والبحرين الحماية الكافية لوكلاء المحطات التجارية البرتغالية فيها[2].

ولم يكن البرتغاليون في البداية بحاجة إلى إقامة حاميات عسكرية برتغالية في المحطات التجارية على الساحل العماني، ولذلك اكتفوا بإقامة

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.166.

(٢) Danvers. F.C. Op.Cit. pp.9-11.

مراكز تجارية في كل من قلهات ومسقط وصحار. وكانت مسقط أفضلها لسهولة الدفاع عنها ولمينائها الآمن من الرياح والعواصف، ولـذلك أصبحت خـلال الربع الثاني من القرن السابع عشر محور العمليات التجارية البرتغاليـة في الساحل العماني والمركز الفعلي للنشاط العسكري البرتغالي في الجزء الغربي من المحيط الهندي. ولكن على الرغم من أهمية مسقط فقـد ظلت هرمـز المركـز الاقليمي(١) للحكم البرتغالي في منطقة الخليج العربي حتى استيلاء الفرس عليها في عام ١٦٢٢. ولكن السياسية البرتغالية السابقة قد تغيرت فيما بعد عندما أسس البرتغاليون قوتهم بإحكام وقاموا بنقل السلطة الفعلية تـدريجياً وبهدوء إلى قبضتهم بعد أن أقاموا حاميات عسكرية لهم في صحار وقلهات ومسقط وغيرها وحصنوا تلك الموانئ جيداً(٢). وهكذا تبنى البرتغاليون في الخليج العربي سياسة تقوم على الاحتفاظ بتفوقهم السياسي والعسكري بتشديد قبضتهم على المحطات التجارية والتي أقاموا فيها القلاع والحصون.

ومهما يكن من أمر، فإن تأثير البرتغاليين في منطقة الخليج العربي كان ثانوياً. فعلى الرغم من تأسيس القلاع والحصون على الساحل، فإنهم لم يفعلوا شيئاً ملموساً لتغيير الأوضاع الداخلية فيه، ولم يقدموا معلومات مهمة عنه باستثناء بعض الإشارات الموجزة التي وردت في مذكرات بعض القادة البرتغاليين الأوائل الذين وصفوا بإيجاز المدن الساحلية(٣)، ونقلوا في مذكراتهم بعض الروايات المتعلقة بالمناطق الداخلية للخليج العربي.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.156; Ozbaran Salih, Op.Cit. pp.45-46.

(٢) Danvers, F.C. Op.Cit. p.9.

(٣) Hogarth, David George. The Penetration Of Arabia. A Record Of The Development Of Western Knowledge Concerning The Arabian Peninsula. (U.S.A. 1904) pp.32-34; Hawley, Donald. Op.Cit. p.77, 79.

إنهاء السيطرة البرتغالية

أخذت السيطرة البرتغالية في التدهور في البحار الشرقية بعد خضوع البرتغال للتاج الاسباني خلال الفترة (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠. فقد أصبحت المصالح البرتغالية خاضعة للمصالح الاسبانية في أوروبا وفيما وراء البحار. وكانت الحكومة الاسبانية حكومة مركزية متحيزة لمصالحها ولذلك عملت على تكديس التوابل والبهارات في مخازنها التجارية[١]. ولذلك بدأت قبضة البرتغال تتراخى تدريجياً في البحار الشرقية وعاد التجار العرب والفرس إلى رحلاتهم التجارية في المحيط الهندي والخليج العربي تدريجياً. وفي النصف الأول من القرن السابع عشر تمكن الفرس والعرب من إغلاق بعض موانئهم في وجه السفن البرتغالية، كما استفاد الفرس من ضعف البرتغاليين في الخليج العربي فنهضوا لاسترداد الأماكن التي سبق للبرتغاليين احتلالها وبنوا فيها القلاع الحصينة فتمكن الشاه عباس الأول من طردهم من البحرين (١٦٠٢)، ومن جمبرون (١٦١٤) ومن هرمز (١٦٢٢) ثم توالت الهزائم على البرتغاليين في الخليج العربي فأرغمهم عرب عمان على الجلاء عن صور وصحار (١٦٤٣) وطردهم العرب من مسقط (١٦٥٠) وفشلت محاولاتهم في استعادة هرمز ومسقط كما فقدوا نفوذهم في البصرة وتحول نشاطهم التجاري والبحري إلى قرصنة ضد السفن العربية والفارسية والانكليزية والهولندية.

وثمة عوامل كثيرة ساهمت في إضعاف القوة البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي نذكر منها:

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٢.

١ ـ الاتحاد الاسباني ـ البرتغالي (١٥٨٠ ـ ١٦٤٠):

أخذت قوة البرتغال في الخليج العربي وفي المحيط الهندي تضعف منذ انضمامها إلى اسبانيا في عام ١٥٨٠؛ وقد ظهر ذلك في محاولات البرتغال غير الناجحة في منع سفن الشركة الانكليزية من دخول ميناء جاسك[١] بعد سيطرة برتغالية على الخليج العربي لأكثر من قرن بدون تحدٍ من قوة أخرى احتكروا خلاله التجارة الشرقية. ولما كانت اسبانيا في العقد الثالث من القرن السابع عشر في حرب في كل مكان تقريباً فقد تأثرت تجارة البرتغال وأصابها الضعف نتيجة لتحمل البرتغال تبعات السياسة الاسبانية الطموحة. ووجدت البرتغال صعوبة في توفير الأموال اللازمة لبناء السفن وصناعة المعدات والذخائر الحربية وحشد الجيوش لإرسالها إلى الشرق في وقت كانت فيه الامبراطورية الاسبانية تتعرض للهجوم من عدة جهات[٢]. كما كانت الدلائل تشير إلى احتمال زوال السيطرة البرتغالية على الخليج العربي خلال فترة وجيزة لحاجة قواعدهم إلى السفن الحربية والجنود. ولكن السلطات البرتغالية في جاوه تمسكت بالسيطرة على قواعدها العسكرية ومحطاتها التجارية، ولذلك عملت على زيادة قوتها البحرية؛ وقام نائب ملك البرتغال في الهند بقيادة الأسطول البرتغالي إلى الخليج العربي في عام ١٦٣٠.

ومهما يكن من أمر فقد كان للاتحاد الاسباني ـ البرتغالي دور مهم في انهيار الحكم البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي. وقد استردت البرتغال استقلالها في عام ١٦٤٠ بفضل جهود يوحنا الرابع ولكنها لم تتمكن من استعادة ممتلكاتها في الشرق والتي استولت عليها القوى الأوربية المنافسة لها. وعلى الرغم من انهيار القوة البرتغالية في الخليج العربي في منتصف القرن

---

(١) Özabaran, Salıh. A Turkısh Report On the Red Sea And The Portuguese In The Indian Ocean. 1525. pp.81-88. (Arabian Studies IV. Edıted By R.B. Serjeant and R.L. Bidwell. p.83; Nyrop, Richard F. Area Handbook For The Persian Gulf States. (?1977) p.22-23.

(٢) De Olıveira Marques, A.H. History Of Portugal. Vol.I. (New York 1972). pp. 337-338; Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970). p.73.

السابع عشر بطردها من مسقط فقد ظلت البرتغال تحتفظ بمصالح تجارية في فارس والعراق وظلت السفن البرتغالية تتردد على موانئ الخليج العربي لا سيما على الوكالة التجارية البرتغالية في كونغ(١). ولكن أهمية البرتغال السياسية قد تلاشت تدريجياً. ومع عام ١٧٢٠ اختفى البرتغاليون نهائياً من الخليج العربي.

٢ ـ المنافسة الانكليزية والهولندية للبرتغاليين في التجارة الشرقية والتي كانت منافسة منظمة قامت بها شركات تجارية مساهمة اعتمدت على قوات عسكرية مدربة ومنضبطة وعلى جهاز إداري تقاضى رواتب جيدة ومنعته التعليمات من التورط أو الانغماس في الأعمال التجارية لحسابه الخاص(٢). كما اعتمدت أيضاً على موارد اقتصادية ساهمت فيها قطاعات واسعة من المجتمع الانكليزي والهولندي، بينما كانت التجارة البرتغالية احتكاراً خاصاً بالبلاط البرتغالي(٣) وتمت إدارتها وتنظيمها كاحتكار ملكي ولم يحفل البرتغاليون كثيراً بها؛ كما أن ملوك البرتغال لم يتركوا مجالاً للبرجوازية البرتغالية النشيطة لممارسة الأعمال التجارية أو تأسيس الشركات التجارية كما هو الحال في هولندا وانكلترا. كذلك كانت موارد البرتغال الزراعية والصناعية ضعيفة، وكانت قوتها البشرية محدودة.

ولذلك أثر النشاط التجاري الانكليزي والهولندي سلبياً على مركز البرتغاليين في الخليج العربي وساهم في القضاء عليه في نهاية القرن السابع عشر بينما كانت العمليات التجارية البرتغالية عاجزة عن الصمود أمام المنافسة التجارية الانكليزية والهولندية(٤) بعد أن ظل البرتغاليون مسيطرين على

---

(١) Colonial Papers Vol.V. 1630-34 Year 1630. p.51,54.
وانظر أيضاً، أحمد مصطفى أبو حاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢) Strandes, Justus, Op.Cit. p.271.

(٣) Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954). p.156.

(٤) Prestage, Edgar. Protuguese Expansion Overseas, Its Causes And Results Chapter VI. pp.171-198. (Chapters In Anglo-Portuguese Relations. Op.Cit. pp186-191; Amin Abdul Amir, Op.Cit. pp.4-5; Wilson, Sir Arnold. Op.Cit. p.155-156; Mukherjee, Ramkrishna. The Rise And Fall Of the East India Company. (Berlin 1958). p.99.

الخليج العربي في القرن السادس عشر وعلى تجارة الحرير الفارسي. وفشلت كل المحاولات التي بذلها العثمانيون للتأثير على مركزهم السياسي والتجاري في الخليج العربي. فقد شهد آخر القرن السادس عشر عدم قدرة القوة البحرية البرتغالية السيطرة على المحيط الهندي والخليج العربي مما أدى إلى مشاركة القوى الأوربية الانكليزية والهولندية المنافسة في تجارة التوابل والأفاويه الشرقية وكانت صناعة السفن قد شهدت تطوراً مهماً في قوتها وحجمها وتسليحها مما سمح لها القيام بدور بارز في التجارة الشرقية[١]. وقد تمكن أسطول الشركة الانكليزية من إلحاق هزيمة بالأسطول البرتغالي في عامي ١٦١٢ و١٦١٥ في مقابل ساحل سورات مما زاد في هيبة الانكليز في العقد الثاني من القرن السابع عشر.

وهكذا أدى ظهور الانكليز والهولنديين في الشرق كمنافسين تجاريين للبرتغال إلى إضعاف الامبراطورية البرتغالية في الشرق والتي لم تتمكن من الصمود طويلاً بعد سلسلة من الاشتباكات والمعارك البحرية في نطاق الصراع البحري غير المتكافئ مع الانكليز والهولنديين[٢]. وفي الوقت الذي زادت فيه الهجمات الانكليزية والهولندية على المراكز البرتغالية في الشرق عجزت السلطات البرتغالية في لشبونة عن تلبية احتياجات قواتها في الشرق بإرسال الإمدادات والنجدات اللازمة[٣] ولتمكينها من الصمود مما تسبب في إلحاق خسائر فادحة بالمصالح البرتغالية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

وفقدت القوة البرتغالية في الخليج العربي أهميتها في الربع الثاني من القرن السابع عشر ولم تعد تسبب أي خوف لمنافسيها الأوربيين بل استولت على البرتغاليين رغبة شديدة في الحصول على سلام مع الانكليز في الهند؛ كما لم يكن في وسعهم منافسة القوة البحرية الهولندية في الخليج العربي التي تأتي

---

(١) Hopwood, Derek (Editor) Op.Cit. p.100; Issawi, Charles. Op Cit. pp.265-266.

(٢) Miles, S.B. Op.Cit. p.184, 191.

وانظر أيضاً. لوريمر: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٨ - ٢٩.

(٣) De Oliverira Marques A.H. Op.Cit. p.337.

سنوياً بعدد من السفن يتراوح بين عشر وأربع عشرة سفينة. وقد أثر ذلك على مركز البرتغاليين الذين لم يتجرأوا على مغادرة الموانئ الخاضعة لحكمهم خوفاً من السطوة الهولندية[1]. كذلك انشغلت البرتغال خلال النصف الأول من القرن السابع في حماية مصالحها التجارية في البرازيل من الهولنديين وغيرهم من الخصوم الأوربيين.

٣ ـ موقف الشاه عباس الأول من السيطرة البرتغالية في الخليج العربي:

أصبح مركز البرتغال على طول الساحل الفارسي للخليج العربي في غاية الحرج ولم تستطع السفن البرتغالية الحصول على تجهيزات أو إمدادات من الموانئ الفارسية. ونفذ الفرس ضد المراكز البرتغالية عدداً من العمليات الحربية الناجحة[2] وأصبح مركز البرتغال العسكري حرجاً في الخليج العربي في عام ١٦٠٢ عندما طرد الشاه عباس الأول البرتغاليين من البحرين مما أثر على سمعتهم العسكرية. وفي عام ١٦٠٤ عجزت السفن البرتغالية عن حمل الامدادات الكافية للحاميات البرتغالية في الخليج نتيجة الغارات الفارسية المتكررة عليها ولوجود مناطق كثيرة في الخليج معادية لهم. كذلك استعاد الشاه عباس قشم في عام ١٦١٤ وفرض الحصار على القلعة البرتغالية في جمبرون[3]، وكان النجاح الوحيد الذي حققه البرتغاليون في الربع الأول من القرن السابع عشر استعادة صحار من الفرس في عام ١٦١٦ وكان ذلك عملاً دفاعياً من الجانب البرتغالي وقد تم بمساعدة بعض الشيوخ العرب. وقد خرّب البرتغاليون صحار لمنعها من منافسة هرمز ومسقط ليحتفظوا بعائداتهم من الضرائب كما أخلّوا بشروط الاستلام فقتلوا حامية صحار وحاكمها

(١) Cap. Rich. Allnutt To The East India Company. Jan. (31) 1634. (Colonial Papers. Vol.V. 1630-34) p.518.

(٢) Danvers. F.C. Report on Portuguese Records p. 58; Amin, Abdul Amir. Op-.Cit. p.2.

(٣) Wilson, Sir Arnold T. Early Spanish And Portuguese Travellers In Persia. (The Asiatic Review. Vol.XXII. Oct. 1926. Jan. 1927). p.141.

(الشيخ محمد) وأخاه[1].

ولما كانت قوة الفرس البحرية غير كافية للاستيلاء على هرمز فقد طلبوا المساعدة من الشركة الانكليزية التي أدى ظهورها في الخليج إلى تبدّل ميزان القوى في الخليج العربي لغير صالح البرتغاليين في الوقت الذي كانت فيه فارس في عهد الشاه عباس في أوج قوتها بينما لم يكن لدى البرتغاليين القوة العسكرية الكافية بسبب الضعف العام الذي أصاب القوة البرتغالية في الشرق.

وقد استفاد الشاه عباس من وقف الحرب مع الدولة العثمانية منذ عام ١٦١٨ فأخضع المناطق المجاورة للخليج العربي، وقرر في عام ١٦٢١ استعادة هرمز من البرتغاليين معتمداً على المساعدة البحرية الانكليزية، فطلب من ملك هرمز دفع الجزية التي كان يدفعها أسلافه إلى خان لار الفارسي قبل السيطرة البرتغالية على الخليج العربي. ولكن البرتغاليين رفضوا دفع أي جزية ولو صغيرة من ملوك هرمز والمدن التجارية التابعة لهم إلى فارس[2]، ونشبت الحرب وخسر البرتغاليون هرمز في عام ١٦٢٢، حيث استولت عليها القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة. وبخسارتها خسر البرتغاليون مركزهم المتفوق في الخليج العربي.

٤ ـ ازدياد قوة ونشاط دولة اليعاربة في عمان:

تمكن عرب عمان من طرد البرتغاليين من صحار في عام ١٦١٦ ومن جلفار «رأس الخيمة» في عام ١٦٢٠. وكانت المقاومة العربية العنيفة من بين العوامل المهمة التي أدت إلى إنهاء الوجود البرتغالي في الخليج العربي. فقد أخذت دولة اليعاربة على عاتقها تحرير الساحل العماني من الحكم البرتغالي

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٨ ـ ٢٩، وانظر أيضاً Hopwood, Derek, (Editor) Op.Cit. p.96.

(٢) Nyrop, R.F. Op. Cit. pp.22-23; Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. pp. 143-144.

وقد تمكنت من تحقيق مهمتها بطردهم من مسقط في عام ١٦٥٠. ولم يكتف عرب عمان بذلك بل هددوا المواصلات البرتغالية في المحيط الهندي. وفي نهاية القرن السابع عشر انشغل البرتغاليون في صراع يائس ضد عرب عمان الذين هاجموا القاعدة البرتغالية في كونغ وألحقوا بها خسائر جسيمة. وفي العقد الثاني من القرن الثامن عشر قضى العرب على القوة السياسية والتجارية البرتغالية في الخليج العربي.

٥ ـ فساد الحكام والمسؤولين البرتغاليين:

انتقلت عدوى فساد جهاز الحكم والإدارة في لشبونة إلى المراكز البرتغالية في الشرق، ويجمع المؤرخون على أن إساءة استعمال السلطة وابتزاز الأموال وانتشار الرشوة والفساد وتفشي أعمال القرصنة[١] أصبحت ظاهرة عامة وصفة مميزة للحكم البرتغالي في الشرق في آخر القرن السادس عشر. وساهمت كلها في إضعاف السيطرة البرتغالية التي اعتمدت على استخدام القوة البحرية، ولذلك لم يكن في وسع البرتغال أن تصمد طويلاً في مواجهة أعداء يملكون إمكانيات هائلة بالمقارنة بموارد البرتغاليين البشرية والاقتصادية[٢]. كما أدى عدم وجود نظام دقيق في البحرية البرتغالية إلى ازدياد حوادث التمرد والخلافات المسلحة بين كبار الضباط وإلى تفشي الحسد وانتشار المنازعات في أوساطهم مما أدى إلى هبوط مستوى النظام في البحرية البرتغالية في الشرق كما سادت الفوضى والفردية في الأسطول البرتغالي والذي كان قادته يحاربون من أجل النهب والسلب والحصول على مكاسب شخصية.

ويبدو أن القوة البرتغالية في الشرق في القرن السادس عشر مبالغ فيها؛ فقد بلغ مجموع السفن البرتغالية التي ذهبت إلى الهند حوالي ثلاثمئة سفينة خلال أكثر الفترات البرتغالية ازدهاراً (١٥٠٠ ـ ١٥٢٨) بمعدل عشر سفن في

---

(١) Amin, Abdul Amir, Op.Cit. p.13; Prestage, Edgar. Op.Cit. p.191.

(٢) Ibid. p.193.

كل عام. وفي الفترة التالية (١٥٢٩ - ١٦١٢) بلغ مجموع السفن البرتغالية التي قامت برحلات تجارية حوالي خمسمئة سفينة بمعدل ست سفن في العام علماً بأن عدداً من هذه السفن التي أرسلت إلى الهند قد تحطمت نتيجة ارتطامها بالصخور أو بسبب العواصف البحرية. وخلال الفترة (١٦١٢ - ١٧٢٥) بلغ مجموعها حوالي أربعمئة وخمس وعشرين سفينة بمعدل أربع سفن في العام عاد منها إلى البرتغال ٢٨٥ سفينة بينما حلت الكارثة بباقي السفن بطريقة أو بأخرى[١].

٦ - تعصب البرتغاليين وقسوتهم وجشعهم:

لم يحاول البرتغاليون الفوز بثقة واحترام السكان والتجار المحليين بل أسرفوا في استخدام القوة من أجل تأسيس تفوقهم في المياه الشرقية. فقد تميز الحكم البرتغالي في الشرق بالوحشية المتناهية في معاملته للسكان وفي محاولة إرغامهم على التنصر؛ وكان حماس البرتغاليين قوياً جداً لإرغام الحكام المسلمين والهنود على التنصر[٢]. وكذلك اتبع البرتغاليون سياسة القهر العسكري واستغلال الشعوب المقهورة في الاستثمارات الاقتصادية وفي تعزيز الحاميات البرتغالية في الخليج العربي كما كان البرتغاليون يتبعون أساليب عنيفة ويسيئون معاملة الشعوب الشرقية التي يقيمون علاقات تجارية معها[٣]، مما أدى إلى زيادة عداء الشعوب الآسيوية والافريقية لهم. كما اتصف حكمهم في الخليج العربي بعدم التسامح والقسوة والجشع مما أدى إلى كراهية السكان الفرس والعرب لهم على حد سواء[٤] ولذلك فإن الأساليب البرتغالية القاسية

(١) Strandes, Justus. Op.Cit. p. 266; Wilson. Arnold T. Op.Cit. p.156.
وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج١ ص ٦٧.

(٢) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 92-93.

(٣) Wilson, Arnold T. Op.Cit. 156.
ويذكر صلاح العقاد أن نصف حامية هرمز البرتغالية كانت من سكان المالبار في الهند، انظر: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ٢١.

(٤) Hopwood, Derek, (Editor) Op.Cit. p.100; Lockhart, Laurence. Persian Cities (London 1960). p. 173.

المتمثلة في حرق السفن العربية وإغراقها وتعذيب بحارتها وحرمانها القوى العربية والإسلامية من الازدهار التجاري الذي نعمت به قبل قدوم البرتغاليين قد زادت في كراهية السكان العرب والمسلمين للبرتغاليين في كل المناطق التي وصلوا إليها. وقد فضل كثير من التجار الاستقرار بعيداً عن السيطرة البرتغالية كلما كان ذلك ممكناً.

ومهما يكن من أمر فقد كان البرتغاليون غير محبوبين من السكان في الخليج العربي لاختلافهم معهم في العقيدة الدينية، ولاحتكارهم التام للتجارة ولأنظمتهم الجائرة ولاستعمالهم الأساليب العنيفة معهم. ولذلك كله فشل البرتغاليون في الحصول على تأييد السكان المحليين مما أدى في النهاية إلى طردهم من الخليج العربي.

٧ ـ الاحتكار البرتغالي:

كانت التجارة البرتغالية على نقيض التجارة الانكليزية والهولندية التي نظمت بنجاح مشاريعها التجارية الخاصة واختارت الجهاز الإداري المناسب لشركاتها وفقاً لأنظمتها الاحتكارية، بينما كان الاحتكار البرتغالي خاصاً بالبلاط الملكي وكانت النشأة الراقية وشرف المحتد والنسب والاتصال بالبلاط من المؤهلات الرئيسية لاشغال المناصب العالية في الدولة[١]. وعندما قرر ملك البرتغال احتكار مجموعة من السلع التجارية أصدر قانون الاحتكار في عام ١٥٢٠، والذي شمل الفلفل والزنجبيل والقرفة والدارصيني والقرنفل وجوز الطيب والحرير. ولم يسمح القانون بالتجارة في هذه الأصناف إلا بتصريح ملكي، ومنع القانون عدداً كبيراً من موظفي الدولة من ممارسة التجارة لحسابهم الخاص،ولكن تم خرق هذا القانون في كثير من الأحيان من قبل البرتغاليين والآسيويين على حد سواء لأن عدداً كبيراً من المستوطنين البرتغاليين في الشرق تقاضوا جزءاً من الراتب على شكل بضائع عينية. وحتى بعد وقف هذا الجزء العيني فإنه لم يكن في وسع التاج البرتغالي منع القادة والضباط من التجارة

(١) Strandes, Justus. Op. Cit. p.271; Miles, S.B Op.Cit. p.191.

لأن مرتباتهم هزيلة وغير كافية لسد نفقاتهم.[1] وفي بعض الأحيان كانت الحكومة البرتغالية غير قادرة على دفعها مما ساعد على انتشار الرشوة والفساد والحسد والمنازعات[2] وإلى ممارسة الموظفين التجارة. كذلك تمكن الآسيويون من تجاهل الاحتكار البرتغالي بالتهريب أو بتقديم الرشوة للسماح لهم بنقل التوابل والبهارات إلى البحر الأحمر والخليج العربي. ولم يكن في وسع القوات البرتغالية في مثل هذه الحالة من الضعف والفساد مراقبة التجارة البحرية جيداً.

وكان للسياسة التي اتبعها البرتغاليون في الخليج العربي من تعسف في التجارة واحتكار للبضائع والنقل وتحكم في أسعار البضائع أثر سيِّئ في أوساط السكان المحليين مما زاد في عدائهم ونفورهم من البرتغاليين. وقد استمرت هذه الأساليب البرتغالية حتى نهاية القرن السابع عشر.

(١) Strandes, Justus. Op.Cit. p 271.
وانظر الشاطر بصيلي عبد الجليل. مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.

(٢) Wilson, Arnold T. Op.Cit. 156; Ricks, Thomas Millet. Politics And Trade In Southern Iran And The Gulf 1745-1765 (Indiana University 1975) p.77.

الفصل الثاني

الانكليز

مقدمة

بدأت محاولات الانكليز للوصول إلى الشرق في النصف الثاني من القرن السادس عشر لرغبتهم الشديدة للمشاركة في التجارة الشرقية، ولكن خوفهم من القوة البرتغالية في البحار الشرقية دفعهم إلى البحث عن طريق أخرى لا يسلكها البرتغاليون، فبدأوا بالمتاجرة مع الشرق عن طريق روسيا وبحر قزوين وأرسلوا لذلك عدة حملات تجارية ولكنها لم تحقق نجاحاً ملحوظاً[١]. وكانت أولى هذه المحاولات الانكليزية قد تمت بثلاث سفن تجارية صغيرة في عام ١٥٥٣ عندما اكتشف الانكليز إمكانية الوصول إلى منطقة الخليج العربي عبر الأراضي الروسية إلى ميناء أركنجل.

ثم تأسست في انكلترا في عام ١٥٥٤ الشركة الموسكوفية «الروسية». وحصلت على براءة من الحكومة الانكليزية للتجارة مع روسيا وأرسلت الشركة الجديدة أربع سفن تجارية في عام ١٥٥٧ كان في إحداها أنطوني جنكنسون الذي عبر الأراضي الروسية وتوجه منها إلى بخارى حيث اكتشف أن معظم التجارة الفارسية تمر عبر الأراضي العثمانية من خلال الموانئ السورية. وتوصل جنكنسون في عام ١٥٥٨ إلى طريق يصله بمصادر إنتاج

(١) Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967) pp. 2-3.

الحرير الخام في فارس من خلال الأراضي الروسية. ولذلك أبحر في عام ١٥٥٩ نحو الجنوب بواسطة نهر الفولجا إلى نيجفورد ثم إلى قازان فاستراخان ومنها عبر بحر قزوين إلى فارس[1]. وعاد جنكنسون من هذه الرحلة إلى انكلترا في عام ١٥٦٠.

وكان جنكنسون قد التقى خلال رحلته إلى فارس بالشاه طهماسب في قزوين وسلمه رسالة من الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣). ويبدو أن الشاه لم يحسن استقباله، ولكنه منح الانكليز حق المتاجرة مع فارس؛ ولذلك فإن رحلة جنكنسون إلى فارس لم تسفر عن نتائج ذات أهمية بالنسبة للتجارة بين فارس وانكلترا[2]. ويبدو أن ذلك يعود إلى اقتناع جنكنسون بأن الوقت لم يحن بعد لبدء التجارة مع فارس بسبب الاضطرابات الداخلية في فارس وحروبها مع الدولة العثمانية وانتشار القراصنة في بحر قزوين، ورغم توزع نشاط جنكنسون واهتمامه بين الدولة العثمانية وفارس فقد حصل في عام ١٥٥٣ على فرمان من السلطان العثماني بحرية التجارة الانكليزية في الدولة العثمانية ولكنه لم يسفر عن نتيجة أيضاً.

ولكن محاولات الشركة المسكوفية «الروسية» للوصول إلى فارس لم تتوقف. ففي عام ١٥٦٣ أرسلت الشركة ثلاثة من وكلائها عبر الأراضي الروسية إلى البلاط الفارسي في قزوين في مهمة تجارية؛ وبعد ثلاث سنوات من بداية هذه الرحلة أرسلت الشركة في عام ١٥٦٦ عدداً آخر من وكلائها ومعهم الثياب الصوفية الانكليزية، والتقى الوكلاء الانكليز في فارس بالتجار البنادقة الذين جاءوا من حلب لمقايضة الحرير الفارسي الخام بالملابس الصوفية من صنع البندقية والتي استخدمها السكان في فارس. وكان البنادقة يسيطرون على تجارة الحرير الفارسي إلى أوربا وظلوا يقومون بدورهم في توزيع التوابل

---

(١) Danvers, F.C. Report On The India Office Records Relating To Persia And The Persian Gulf. (London ?) pp. 12-14.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وإمارات الساحل العماني (بغداد، ١٩٧٨) ص ٤٥.

الشرقية أيضاً[١].

ثم تعزز موقف الشركة الروسية في عام ١٥٦٦ عندما حصلت مرة أخرى من البرلمان الانكليزي على تأكيد لامتيازاتها التي منحتها لها الحكومة الانكليزية في عام ١٥٥٤ ومنها حق المتاجرة مع روسيا وميديا وفارس ومنطقة بحر قزوين، ولكن خلال العامين التاليين بدا وكأن التجارة الفارسية عبر الأراضي الروسية قد أهملت، غير أن محاولات الشركة الروسية تجددت مرة أخرى في عام ١٥٦٨ عندما بدأت بتنفيذ مشروع جديد للتجارة مع الشرق عبر روسيا استمر حتى عام ١٥٧٣ وبرهن على الفائدة التي يمكن للشركة الحصول عليها من تلك التجارة الفارسية إلى أن ظهرت بعض الخلافات بين قيصر موسكو والتجار الانكليز ووكلاء الشركة الروسية[٢].

وكانت الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣) قد أرسلت السير توماس راندولف في عام ١٥٦٨ إلى موسكو لعقد معاهدة تجارية جديدة للشركة الروسية ووافق القيصر على منحها مرة أخرى الاعفاء من كل الجمارك وترك لها حرية نقل بضائعها من فارس وإليها[٣]. كما منح القيصر التجار الانكليز في عام ١٥٦٩ امتيازات جديدة مثل حق التجول في بلاده وحرية المرور إلى قازان واستراخان وفارس[٤]. ومنحهم أيضاً منجماً للصلب والحديد على ضفة نهر الفولجا وأعطاهم قطعة من الأرض في نارفا ليقيموا عليها مركزاً لهم وصرّح لهم بنصب حبل لاستخدامه كجسر على نهر الفولجا.

ثم تطورت العلاقات التجارية الانكليزية - الروسية وازداد اهتمام التجار الانكليز في الحصول على البضائع الفارسية والهندية، فشكلت الملكة اليزابت

---

(١) Thomas Bannister And Geoffry Ducett To Cecil. Aug. 12, 1568. (Calendar Of State Papers. 1568. Edited By Allan James Crosby London 1871). p.518.
(٢) Danvers. F.C. Op.Cit. pp. 14-15.
(٣) Ibid. p.15.
(٤) Comparison Of Privileges Granted to Randolph And To Horsey. (List and Analysis of State Papers. Elizabeth I. Vol.I. 1589. June 1590. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1964). p.432.

بعثة تجارية سافرت إلى روسيا من أجل إرساء التجارة الانكليزية معها على أسس ثابتة ولاستعادة مخزون الشركة الروسية من وكلائها السابقين، ولتأسيس إدارة أفضل من السابقة في مراكز الشركة في الأراضي الروسية[1]. ورحب قيصر روسيا بدوره مرة أخرى بالتجار الانكليز في بلاده فمنحهم تسهيلات في جميع أنحاء روسيا وحق العبور إلى فارس من خلال أراضيه مع حق التجار الانكليز في الحصول على تعويض عن كل المضايقات التي قد تلحق بهم مثل تعرض بضائعهم للخطر أثناء نقلها وذلك وفقاً للامتيازات الممنوحة لهم. وكان التجار الانكليز قد نُهبُوا عندما جاءوا لأول مرة مع جنكنسون، ولم يتجرأ بعضهم على العودة إلى انكلترا بسبب الديون المتراكمة عليهم[2]. ولكن الرحلات الانكليزية عبر الأراضي الروسية لم تنقطع. ففي عام ١٥٧٩ ذهب كريستوفر فريبورغ إلى فارس وعاد منها إلى بلاده في عام ١٥٨١.

وفي العقد الأخير من القرن السادس عشر أبدى قيصر روسيا عطفاً لم يسبق له مثيل على التجار الانكليز في بلاده؛ فقد عمّم في عام ١٥٩١/١٥٩٢ الامتيازات التي سبق له وأن منحها لهم لتشمل قازان واستراخان وما وراء بحر قزوين وبخارى مع إعفائهم من دفع رسوم الجمارك في كل الموانئ والمراكز الروسية. وبذلك كان الانكليز أول من حصل على مثل هذه الامتيازات الشاملة[3] في روسيا. وعلى الرغم من وصول الانكليز إلى مياه الخليج العربي واتصالهم بالشاه الفارسي عبر رأس الرجاء الصالح فقد استمرت الرحلات الانكليزية عبر الأراضي الروسية، ففي عام ١٦٢٠ قام هوبز أحد وكلاء الشركة الروسية برحلة من موسكو إلى أصفهان عن طريق استراخان ووصف تجارة الحرير الفارسي الخام المزدهرة في مختلف موانئ بحر قزوين وأشار في

(١) Thomas Bannister And Geoffry Duckett To The Privy Council June 25, 1569. (Calendar Of State Papers. 1569-71. Elizabeth. Edited By Allan James Crosby. London 1874) p.90.

(٢) Humfrey Lock To Cecil. July 1, 1568. (Calendar Of State Papers, 1568. Edited By Allan James Crosby. London 1871) p.493.

(٣) Danvers, F.C. Op.Cit. p.15; The Russia Company's Privileges Confirmed. (Lists And Analysis Of State Papers. Elizabeth I. Vol.III. Edited By Richard Bruce Wernham. London 1980). p.485.

رسالة له من أصفهان إلى أن الشركة الروسية يمكنها نقل الحرير الفارسي إلى انكلترا عبر الأراضي الروسية[1].

وكان لانتشار البروتستنتية في أوربا نتائج بالغة الأهمية في العلاقات بين الشرق والغرب في القرن السادس عشر، فقد رفضت الشعوب الأوربية البروتستنتية الاعتراف بمنحة البابا[2] للبرتغال باحتكار التجارة الشرقية في عام ١٤٥٤. وتمكنت انكلترا في عهد الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ - ١٦٠٣) من تحدي الأسطول الاسباني في أعالي البحار، وبعد هزيمة الأرمادا الاسبانية في عام ١٥٨٨ أصبح في وسع الانكليز والهولنديين الوصول إلى المياه الشرقية ومنافسة البرتغال واسبانيا في الأسواق الشرقية في العقد الأخير من القرن السادس عشر.

وتعود المحاولة الانكليزية الأولى للوصول إلى الهند إلى عام ١٥٨٣ عندما غادرت جماعة من التجار المغامرين الانكليز لندن تقودها الرغبة في الوصول إلى بلاد الشرق، وضمت التاجر رالف فيتش والتاجر جون نيوبري والصائغ وليم ديدز والرسام جيمس ستوري. وبعد أن وصلوا طرابلس الشام توجهوا إلى الفلوجة وبغداد عن طريق الفرات ومنها إلى البصرة وهرمز[3] حيث ألقي القبض عليهم بتهمة التجسس. وبعد أن وضعوا فترة في السجن أرسلوا إلى جاوه- المركز الرئيس للبرتغال في الشرق - وكان هدف رالف فيتش تطوير التجارة الانكليزية مع الشرق. وبعد عودته إلى انكلترا في عام ١٥٩١ -

---

(١) Danvers, F.C. Op.Cit. p.17.

(٢) كان الباب نيقولا الخامس قد أصدر هذه المنحة في عام ١٤٥٤ وأكدها البابا كاليكستوس الثالث في ١٣ آذار ١٤٥٦ وبعد ذلك تم الاتفاق بين اسبانيا والبرتغال في معاهدة ترودیسیلهاس في ٩ حزيران ١٤٩٤ بتحديد خط يقع إلى الغرب من جزر رأس ڤردي بنحو ٣٧٠ فرسخاً كحد فاصل بين ممتلكات ومكتشفات البرتغال واسبانيا ثم أكد البابا الكسندر السادس هذه الاتفاقية وبذلك أصبح الخط المذكور حداً للتقسيم النهائي. انظر بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٢٧ - ٢٩.

(٣) Tweedy Maureen. Bahrain And The Persian Gulf. (England.?), p 14.

بعد ثمانية أعوام من التجوال في الأقطار الشرقية زار خلالها بلاط المغول في أجرا - قامت جمعية هاكلويت الانكليزية في لندن بنشر رحلته التي ضمت التقارير المشجعة عن الامكانيات التجارية في المياه الشرقية. كذلك قامت جمعية هاكلويت بنشر رحلة جون نيوبري في عام ١٥٩٨.

وكانت أطماع الانكليز في التجارة الشرقية قد زادت بعد وقوع إحدى السفن البرتغالية في أسر القراصنة الانكليز في عام ١٥٨٧ وعندئذ تحقق الانكليز من الثراء الفاحش الذي يحصل البرتغاليون عليه من التجارة الشرقية مما زاد في تصميم الانكلبيز على المشاركة في تلك الثروة. ولذلك قامت ثلاث سفن شراعية انكليزية بمحاولة الوصول إلى الهند في عام ١٥٩١ بقيادة القبطان جيمس لنكستر بعد أن مكثت في زنجبار ثلاثة أشهر في انتظار تغير هبوب الرياح الموسمية لمتابعة رحلتها إلى الهند. ثم عادت إلى انكلترا في عام ١٥٩٤. وقد كشفت تلك الرحلة للانكليز عن خطورة الطريق البحري الطويل إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح بمقارنته مع طريق البحر المتوسط ولكنها كشفت أيضاً عن فرص الثروة غير المحدودة[١] التي تنتظر الانكليز من تجارتهم المباشرة مع الشرق عبر رأس الرجاء الصالح بعد انتظارهم الطويل للحصول عليها وتأمين نصيبهم من الأسواق الشرقية مباشرة.

وأخذ الانكليز في خلال الفترة (١٥٩٥ - ١٥٩٧) يقومون برحلات تجارية خاصة. ولكن البرتغاليين اعترضوا طريق السفن التجارية الانكليزية في البحار الشرقية وعملوا على عرقلة تجارتهم واشتبكوا معهم في حروب بحرية قاسية[٢]، بدأت قرب ساحل الهند في عام ١٦١٢ وتلتها معركة سورات ١٦١٥ وخاض الانكليز صراعاً مريراً لمدة قرنين تقريباً في الخليج العربي، تشبث الانكليز خلالها بعناد حتى تمكنوا من إحراز التفوق على منافسيهم من

(١) السيد رجب حراز: أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) Fraser, Lovat. Some Problems Of The Persian Gulf. (Proceeding Of The Central Asian Society. pp.1-23. January 8, 1908). p.5.

الأوربيين في النهاية[1]،كما تعلم الانكليز دروساً في القوة والتجارة، وباشروا في إنشاء مراكز تجارية لهم في وجه معارضة شديدة من البرتغاليين واستفادوا من رغبة السكان المحليين في التخلص من الحكم البرتغالي، وكذلك من عداء الفرس والعرب والهنود للبرتغاليين[2] وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم في منطقة الخليج العربي.

---

(١) Selections From State Papers. Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With a Summary of Events. 1600-1800. Period IX (1698-1708) p.VIII.

(٢) De Oliveira Marques, A.H. History Of Portugal. Vol.I (New York 1972) p. 337.

سفارة الأخوين شيرلي

نجح الانكليز في إقامة علاقة مباشرة مع الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) في عام ١٥٩٩ من خلال الجهود التي بذلها بعض المغامرين الانكليز بزعامة أنطوني شيرلي الذي قام مع أخيه روبرت شيرلي بالإضافة إلى خمسة وعشرين فارساً انكليزياً بزيارة إلى بلاط الشاه عباس الأول بهدف إقناعه بالتحالف مع القوى الأوربية ضد الدولة العثمانية وإقامة علاقات تجارية بين انكلترا وفارس وتأسيس التجارة الانكليزية على قواعد راسخة في الشرق، وكانت التجارة الفارسية عبر الأراضي العثمانية والروسية بواسطة القوافل التجارية وعبر الخليج العربي بواسطة السفن البرتغالية[١] قد جذبت إليها أنطوني وروبرت شيرلي اللذين دخلا في خدمة الشاه عباس.

ويذكر أنطوني وروبرت شيرلي بأنهما قدما هدية إلى الشاه عباس فقبلها واستقبلهما في قزوين وكان في نية أنطوني شيرلي أن يقترح على الشاه عباس وقف إرسال البضائع الفارسية إلى بغداد ودمشق عن طريق البصرة. وإذا ما أوقف الشاه تجارة بلاده عبر الأراضي العثمانية فسوف يلحق بالدولة العثمانية خسارة محققة بمنعها من الاستفادة من رسوم المرور والجمارك كما أن في وسع الشاه أن يلحق الخسارة بالبرتغاليين أيضاً[٢].

وكما يبدو فقد استجاب الشاه عباس الأول لاقتراح أنطوني شيرلي فأعلن

(١) Amin, Abdul Amir, Op.Cit. pp.2-3; Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970) p.74.

(٢) Sherley, Sir Antony. His Relation Of His Travels Into Persia. (London 1613) p.104.

عن فتح بلاده أمام التجارة الأوربية بحيث يتمكن التجار المسيحيون من التنقل في أرجائها دون إزعاج أو مضايقة مع إعفائهم من الرسوم الجمركية[1]، ومن الاجراءات القضائية مع ضمان المحافظة على ممتلكاتهم، كما منحهم امتيازات واسعة واضعاً بذلك الأساس للامتيازات الأجنبية في فارس[2]، ونتيجة لمساعي أنطوني شيرلي صرف الشاه عباس السفير العثماني الذي جاء للتفاوض معه لإقرار الصلح بين فارس والدولة العثمانية.

وقضى أفراد البعثة الانكليزية ستة أشهر في ضيافة الشاه عباس الأول استفاد منهم خلالها في تدريب الجيش الفارسي وإعادة تنظيمه وفق الأساليب الأوربية وبخاصة تنظيم المشاة والمدفعية وفي إقامة مصانع للأسلحة في أصفهان زودت الجيش الفارسي بالمدافع والبنادق[3] والتي استفاد منها في حروبه ضد الدولة العثمانية وفي تحقيق بعض الانتصارات العسكرية على أعدائه الأوزبك في الشرق والعثمانيين في الغرب.

وعاد السير أنطوني شيرلي يرافقه حسين علي بك بيات إلى أوربا مكلفاً بمهمة من الشاه عباس إلى حكامها في عام ١٥٩٩ لإقامة علاقات ودية معهم ولاقتراح نوع من التعاون والتحالف العسكري والاقتصادي ضد العثمانيين[4] ولإبلاغهم بمنحة الشاه عباس للتجار المسيحيين. وزار من أجل هذه المهمة

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: فتح العثمانيين عدن وانتقال التوازن الدولي من البر إلى البحر. (القاهرة ١٩٧٩) ص ١١٥.

(٢) محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ - ١٧٦٠ (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد العدد الثالث لعام ١٩٦١ ص ٢٦١ - ٢٧٨) ص ٢٣٩ - ٢٤٠. وانظر، أحمد قاسم البوريني: الامارات السبع على الساحل الأخضر. (؟ ١٩٥٧) ص ١١٢ - ١١٣.

(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم ج ١ ص ٤٠٤ - ٤٠٥. وانظر لوريمر، ج.ج: دليل الخليج (القسم التاريخي) الدوحة ١٩٧٦. ج ١ ص ٢٣ - ٢٤. وانظر أيضاً: Davies, D.W. A Primer Of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade. (? 1961) p.96.

(٤) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاطع لازم (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٢.

روسيا وألمانيا وإيطاليا واسبانيا لكنه لم يزر انكلترا ولم تسفر مهمته عن نتيجة ذات أهمية. وهكذا فإن الجهود التي بذلها أنطوني شيرلي لتحويل تجارة الحرير الفارسي من حلب إلى هرمز لم تسفر عن نتيجة إيجابية، وفي روما حدث خلاف بين حسين علي بك بيات وأنطوني شيرلي ربما بسبب سرقة بعض رسائل الشاه عباس إلى ملوك أوربا أو بسبب بيع أنطوني شيرلي جزءاً من الهدايا التي أرسلها الشاه إلى ملوك أوربا لبعض التجار الانكليز. وعاد حسين علي بك بيات إلى فارس حيث أمر الشاه بإعدامه، ثم استقر أنطوني شيرلي في اسبانيا حتى وفاته فيها عام ١٦٣٠[1]، وكانت علاقاته بفارس قد انقطعت بعد خلافه مع حسين علي بيك بيات في روما، مما أثر على مركز أخيه روبرت شيرلي لدى الشاه عباس ولكن روبرت شيرلي استرد ثقة الشاه عباس الأول به بعد قيامه بتدريب الجيش الفارسي والاشتراك في معاركه ضد العثمانيين في عامي ١٦٠٥/١٦٠٦ م[2].

ثم استخدم الشاه عباس روبرت شيرلي بناء على طلبه في عام ١٦٠٨ في مهمة دبلوماسية إلى حكام أوربا لتوطيد العلاقات بين فارس والدول الأوربية وإضعاف موقف العثمانيين في مجال العلاقات الدولية[3]، ولإبلاغ حكام أوربا عن عزم الشاه على مواصلة الحرب ضد العثمانيين وتوسيع حدود بلاده على حسابهم لتتصل بالحدود الأوربية، وبعد أن زار روبرت شيرلي بولندا وألمانيا في عام ١٦٠٩ وإيطاليا في عام ١٦١٠ توجه إلى اسبانيا ليشرح إلى الملك الاسباني خطة الشاه عباس الأول بشأن تحويل تجارة الحرير الفارسي عن طريق البر والذي تستفيد منه الدولة العثمانية إلى طريق البحر بواسطة ميناء هرمز أو أي ميناء آخر قريب منه على ساحل الخليج العربي، وطلب من

---

(١) "The Commandment Of Shah Abbas. Great Sophy Of Persia". (Colonial Papers — East Indies Vol.I. 1513-1616) Year 1599? p.103; Thos. Bays To Salisbury. June 10, 1609. (Colonial Papers. Op.Cit.) pp.185-186.

وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٤.

(٢) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٣) محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٠.

اسبانيا التعاون مع فارس لتحقيق هذه الخطة. وكان الشاه عباس الأول يرغب أساساً في تنظيم قوة بحرية في الخليج العربي تستطيع أن تشحن الحرير الفارسي من الموانئ الفارسية على الخليج إلى أوربا[١] ليحرم الدولة العثمانية من الاستفادة من الأرباح التي تحققها من الرسوم التي تحصلها من تجارة الحرير، ولكن اقتراح روبرت شيرلي لم يحظ بالاهتمام الكافي في البلاط الاسباني. ولذلك توجه روبرت شيرلي إلى انكلترا في محاولة منه لإغراء شركة الهند الشرقية الانكليزية لبدء التجارة مع فارس[٢] وحظي بمقابلة الملك جيمس الأول في ١٢ تشرين الأول ١٦١٢ وعرض عليه المهمة التي جاء من أجلها وقدم له رسالة من الشاه عباس يبدي فيها محبته وإخلاصه ورغبته الصادقة في اقامة علاقات ودية مع ملك انكلترا ويعرض عليه حرية التجارة لكل الرعايا الانكليز في جميع انحاء فارس[٣] ويقترح اقامة تحالف بين فارس وانكلترا ويضع ثقته في روبرت شيرلي.

وخلال إقامة روبرت شيرلي في لندن لفت إليه أنظار المسؤولين الانكليز بظهوره بالزي الفارسي مع زوجته التي ارتدت الملابس الشرقية أيضاً. ولكنه وجد صعوبة في التعامل معهم بسبب الشكوك التي ساورتهم حول الصفة الرسمية ومدى الصلاحيات التي يتمتع بها روبرت شيرلي[٤] للتحدث باسم الشاه عباس الأول، كما أن المسؤولين الانكليز في شركة الهند الشرقية عارضوا المشروع الذي تقدم به روبرت شيرلي خوفاً من أن يؤدي إلى اضطراب التجارة الانكليزية «الليفانت» مع الدولة العثمانية، وإلى إغضاب المسؤولين العثمانيين الذين سيخسرون العائدات التي يحصلون عليها من مرور التجارة

(١) Davies, D.W. Op.Cit. p.96. (٧)

(٢) Selections From State Papers, Bombay. Op.Cit. p.111. (٨)

(٣) رسالة مؤرخة في شهر رمضان ١٠١٩ هـ/١٦٠٧ وقدمها روبرت شيرلي في الأول من اكتوبر ١٦١١ م أنظر Colonial Papers. Vol.I. Op.Cit. p.164. وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٥. وأيضاً بديع جمعة وأحمد الخولي؛ مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠٧.

(٤) Wright, Arnold, Early English Adventurers In The East. (London 1917). p.243.

الفارسية والشرقية عبر البصرة وبغداد إلى الموانئ السورية ومنها إلى أوربا وهو أقصر طريق مع الشرق، كما اتهم السير توماس رو ـ سفير انكلترا لدى بلاط المغول في الهند ـ روبرت شيرلي بالخيانة لبلاده والعمل لحساب السلطات الفارسية[١].

ومهما يكن من أمر فقد غادر روبرت شيرلي انكلترا في كانون الثاني ١٦١٣ عائداً إلى فارس حاملاً معه رسالة مجاملة من الملك جيمس الأول إلى الشاه عباس الأول فوصل الهند في أيلول ١٦١٣ وعاد منها براً إلى أصفهان[٢]، حيث وجد وكلاء الشركة الانكليزية في أصفهان ولكنه تجاهلهم بسبب موقف المسؤولين في الشركة منه أثناء زيارته لندن. ولكن موقف روبرت شيرلي لم يمنع الشاه من منح الشركة الانكليزية الكثير من التسهيلات[٣].

وبعد فترة قصيرة من عودة روبرت شيرلي من رحلته إلى انكلترا غادر أصفهان في تشرين الأول ١٦١٥ إلى أوربا في مهمة أخرى في وقت كان فيه الشاه عباس الأول مشغولاً بالاستعداد لمتابعة احتلال جمبرون وطرد البرتغاليين منها. وحتى يتمكن فيما بعد من طردهم من هرمز فهو بحاجة إلى توفير السفن الحربية؛ كما كان على استعداد لإعادة النظر في تصدير الحرير الفارسي عبر الخليج ومنع تصديره عبر الأراضي العثمانية ومنح امتياز تصديره بواسطة الموانئ الفارسية على الخليج العربي لقوة أوربية[٤]، وابتدأ روبرت شيرلي بزيارة اسبانيا وبقي فيها حتى عام ١٦٢٢ وقد خشيت الشركة الانكليزية أن تؤدي زيارة روبرت شيرلي إلى اسبانيا إلى الاتفاق معها على احتكار تجارة الحرير الفارسية والتي كانت تعتبرها تجارة غنية مما سيؤدي إلى إلحاق الضرر بتجارتها في فارس والشرق ولذلك اقترحت الشركة الانكليزية على المسؤولين الانكليز

---

(١) محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٢٦.

(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤١٣.

(٤) Stevens, Sir Roger. Robert Sherley: The Unanswered Questions. (IRAN. Vol XVII Journal Of The British Institute Of Persian Studies. pp. 115-125. 1979) p.119.

توضيح الضرر الذي قد يلحق بها إذا حصل الاسبان على موطئ قدم لهم على الساحل الفارسي[1]. ووصل روبرت شيرلي إلى انكلترا في عام ١٦٢٤ وتمكن من مقابلة الملك جيمس الأول وعرض عليه مشاريع ذات اهتمام مشترك لكل من انكلترا وفارس.

وقد سبّب ظهور روبرت شيرلي في لندن مرة أخرى الفزع في أوساط المسؤولين عن شركة الهند الشرقية الانكليزية والتي تمكنت من إقامة علاقات جيدة مع فارس منذ عام ١٦١٦[2]. وقدمت مبالغ إلى مزارعي الحرير الفرس وإعانة إلى الشاه عباس على حساب محصول الحرير الفارسي مقدماً. ولذلك التمست من البلاط الانكليزي الأخذ بوجهة نظرها عند البحث في اقتراحات روبرت شيرلي[3] ويعود موقف الشركة الانكليزية العدائي من روبرت شيرلي لاتهامه بالعمل ضد مصالحها في فارس، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن روبرت شيرلي من مقابلة ملك انكلترا مرتين الأولى في ٢٨ كانون الثاني ١٦٢٤ والثانية في ١٣ نيسان ١٦٢٥.

وفي آب ١٦٢٤ تقدم روبرت شيرلي بمشروعه إلى ملك انكلترا باسم شاه فارس وبصفته سفيراً له، وقد تضمن المشروع ما يلي:

١ ـ رغبة الشاه عباس الأول في تقديم مساعدة عسكرية إلى ملك انكلترا في الشرق حوالي ٢٠,٠٠٠ ـ ٢٥,٠٠٠ جندي لاستخدامهم بالطريقة التي يراها مناسبة وللقيام بأي مغامرة عسكرية في المنطقة التي يرغب الانكليز الاشتباك فيها ضد الأعداء[4]، ويدفع الشاه لهم من حسابه نفقات ثلاثة أشهر ويضعهم في خدمة ملك انكلترا للاستفادة منهم في حروبه في الشرق

---

(١) Edward Connock To The East India Company. Ispahan. April 2, 1617. (Colonial Papers. Vol.II. 1617-21) p.23.

(٢) Stevens, Sir Roger. Op.Cit. p.115.

(٣) Court Minutes Of The East India Company. Dec. 6-8, 1626. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-29). p.278.

(٤) Stevens, Sir Roger, Op.Cit. p.118, 120; Court Minutes Of The East India Company Aug. 18-20, 1624. (Colonial Papers, Vol.III 1622-1624) p.365.

ولاخضاع أمراء الهند، ويكونون حلفاء لملك الانكليز في كل الأوقات[١].
ولكن عرض الشاه بتقديم ٢٠,٠٠٠ - ٢٥,٠٠٠ جندي مسلح ربما يهم دولة انكلترا أكثر مما يهم الشركة الانكليزية.

وفي نيسان ١٦٢٦ كرر الشاه عباس الأول بواسطة سفيره في لندن رغبته في التحالف مع الانكليز وذكّر بأنه قد عمل الكثير من أجل تحقيق هذه الرغبة[٢].

٢ - نية الشاه عباس الأول لإرسال جميع الحرير الفارسي إلى انكلترا وعلى سفن انكليزية، ولكن الشركة الانكليزية وجدت أن من الخطأ بناء الآمال الكثيرة على تجارة الحرير الفارسي لأن الكمية التي يمكن نقلها سنوياً إلى أوربا لا تتجاوز ٧٥٠٠ بالة من الحرير[٣] وقيمتها حوالى ٦٥,٠٠٠ جنيه انكليزي. ولذلك وصفت الشركة الانكليزية اقتراحات شيرلي بأنها ضعيفة وليست مقنعة وتساءلت أيضاً عن الضمان الذي يمكن أن يقدمه الشاه في مقابل المبالغ اللازمة للإنفاق على السفن الانكليزية التي ستبقى في الخليج أو تلك التي تقضي الضرورة بإبقائها، مما سيلحق الخسارة بالشركة الانكليزية لتجميد مبالغ كبيرة من الأموال[٤]، ولكن ملك انكلترا أعرب عن رغبته في الاشتراك في التجارة الفارسية وذلك بإحضار كل تجارة الحرير الفارسي بعد شحنها من الموانئ الفارسية إلى انكلترا بواسطة اتفاقية تعقد بين ملك نكلترا وشاه فارس[٥]، بناء على رغبة الشاه عباس في وقف التجارة الفارسية عبر

---

(١) Propositions made by Sir Robert Sherley to the King in the name of the King of Persia. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.243.
(٢) Answer to the Propositions of Sir Robert Sherley. Aug.? 1624. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.370; Court Minutes Of The East India Company. March 8-22, 1626. (Colonial Papers, Vol.IV. 1625-1629). pp.171-172.
(٣) Court Minutes Of The East India Company. Aug. 18-20, 1624. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.365, 370.
(٤) Answer To The Propositions Of Sir Robert Sherley. (Colonial Papers. Vol III. 1622-1624) p.370.
(٥) Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624. p.460.

الأراضي العثمانية وتحويلها إلى مكان آخر. ولكن ليس في وسع الانكليز استيعاب جميع التجارة الفارسية بسبب سياستهم الاقتصادية التي تهدف إلى الحد من تصدير كميات كبيرة من السبائك الذهبية.

وفي نيسان ١٦٢٦ أعرب الشاه عباس بواسطة سفيره في لندن عن رغبته في أن يحتكر التجار الانكليز الحرير الفارسي، وأبدى استعداده وقف الطريق البري للحرير الفارسي إلى القسطنطينية وعبر الأراضي العثمانية الأخرى؛ كما طلب الشاه إقامة وكالة تجارية للانكليز في أصفهان ليرسلوا إليها بضائعهم وقدّر الأرباح التي سيحققها الانكليز بنسبة ٣٠٠٪ - ٤٠٠٪ من التبادل التجاري مع فارس[١].

وكان روبرت شيرلي قد عرض على ملك انكلترا ورعاياه في عام ١٦٢٤ شراء الحرير الفارسي وتعهد بتسليمه في ميناء جمبرون خالياً من كل الرسوم بسعر ربع ريال لكل رطل انكليزي كبير[٢]. وبذلك تكون قيمة ٥,٠٠٠ بالة من الحرير الفارسي تساوي مليون جنيه استرليني بينما تبلغ قيمتها في انكلترا وأوربا ضعف هذا المبلغ ولكن مجلس اللوردات وجد أن كل حرير فارس الذي يرسل إلى الدول الأوربية تبلغ قيمته مليون جنيه استرليني وليس كما يزعم شيرلي[٣].

وردت الشركة الانكليزية على تأكيدات روبرت شيرلي بإمكانية تسويق ٣٠,٠٠٠ ثوب صوف انكليزي في العام وبذلك يمكن الحصول على الحرير الفارسي بدون تصدير أموال نقدية إلى خارج انكلترا بمعرفتها إمكانية تسويق الأقمشة الصوفية في فارس على نحو أفضل مما يعرفه شيرلي، ومهما يكن من أمر فإن رغبة الملك الانكليزي ومجلس اللوردات كانت مع استمرار التجارة الانكليزية وعلى نطاق واسع في فارس. وترك للشركة الانكليزية تنفيذ هذه

---

(١) Stevens, Roger, Op. Cit. p.118, Court Minutes Of The East India Company. April 10, 1626; (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.184.

(٢) الرطل العادي = ١٦ أونصة والرطل الكبير = ٢٤ أونصة.

(٣) William Burt To Messrs. Heynes And Gibson (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol..V. 1630-1634 p.39).

الرغبة وفقاً لتجربتها[١].

ولذلك التمس روبرت شيرلي من ملك انكلترا في تشرين الثاني ١٦٢٥ أن يبعث معه أحد رجاله إلى فارس ورسالة إلى الشاه عباس ليحصل على موافقته الرسمية بنقل الحرير الفارسي إلى انكلترا. وقد شجع هذا العرض التجار الانكليز لإرسال خمس سفن في رحلة إلى فارس لشراء الحرير منها[٢] حيث توقعوا ربحاً قد يصل إلى ١٥٠٪ كما أن ملك انكلترا قرر إرسال أربعة قوارب خاصة به إلى شاه فارس. وكان لدى المسؤولين الانكليز القناعة الكافية بفوائد التجارة الفارسية وعدم تمكين العثمانيين العدو المشترك لفارس وأوربا منها[٣]. كما أعرب الشاه عباس عن رغبته في شحن حرير بلاده بالسفن الانكليزية لبيعه في انكلترا.

٣ ـ اقتراح الشاه عباس بأن تقوم السفن الانكليزية بنقل مجموعة من السفن الشراعية الانكليزية المفككة والتي يمكن إعادة تجميعها في الموانئ الفارسية لاستخدامها في الخليج العربي[٤]. كذلك اقترح روبرت شيرلي تبادل الحرير الفارسي بالسفن الانكليزية الصغيرة على أن يُنقل الحرير الفارسي إلى انكلترا بالسفن التابعة للشركة الانكليزية. وقدّر روبرت شيرلي تكاليف تجهيز أربع سفن انكليزية صغيرة بمبلغ ٦,٠٠٠ جنية انكليزي وتكاليف أجور وسفر الثمانين رجلاً الذين سيرافقونها بحوالي ٣,٠٠٠ جنيه انكليزي في حين أن قيمة الحرير الذي سيتم تصديره إلى انكلترا ستبلغ ٣٦,٠٠٠ جنيه

---

(١) Court Minutes Of The East India Company July 16, 1624, (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.323.

(٢) Colonial Papers. Vol.IV. 1625-1629 p.17; Sir Robert Sherley To The King. Nov. 25? 1625. (Colonial Papers. Vol. IV) p.119.

(٣) توقع الانكليز شراء الحرير بمعدل شلنين للرطل الواحد ومعدل كلفة حمولة السفينة (١٨٠,٠٠٠) جنيه انكليزي. وبذلك ستحقق السفينة الواحدة ربحاً قدره (٢٧٠,٠٠٠) جنيه انكليزي. انظر: Court Minutes Of The East India Company May 30, 1625, (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) pp.71-72.

(٤) Stevens, Roger. Op. Cit. p.118.

انكليـزي[1]. وسوف تمكن هـذه السفن الشاه عبـاس من تـأمـين السفن التجارية الانكليزية في الخليج بقواته الخاصة وعلى حسابه الخاص أيضاً. وفي مقابل ذلك فإن الشاه عباس مستعد للقيام بأي مشاريع تجاريـة أخرى[2] يقترحها الانكليز عليه.

وقد أرسل ملك انكلترا شارل الأول دود موركتن سفيراً له إلى بلاط الشاه عباس الأول لمعرفـة ما إذا كان روبرت شيرلي سفيراً للشاه إلى البلاط الانكليزي وعما إذا كان مفوضاً بالبحث في مسألة السفن الشراعية الحربية[3] والتي طلبها الشاه من الانكليز لإدخالها في خدمته في مياه الخليج العربي.

ولكن المسؤولين عن الشركة الانكليزية أبدوا مرة أخرى شكوكهم في حقيقة الصفة الدبلوماسية لروبرت شيرلي وعما إذا كان سفير الشاه عباس أم لا. وكان لدى المسؤولين الانكليز أيضاً قدر ضئيل من الثقة بأن روبرت شيرلي مخول من الشاه عباس الأول للتفاوض مع الحكومة الانكليزية كسفير له[4]، ولذلك لا يمكن أخذ اقتراحات روبرت شيرلي بأن تكون التجارة الفـارسية للانكليز وحدهم بجدية. كذلك حاول روبرت شيرلي إغراء الانكليز بالادعاء بـأن السفير الفـرنسي قد عـرض عليه مبلغ مليـوني جنيه انكليـزي سنويـاً للمساهمة في إحضار الحرير الفارسي إلى مرسيليا، ولكنه لم يقبل بهذا العرض لاقتناعه بأفضلية وأهمية الانكليز في مجال تجارة الحرير الفارسي[5].

---

(١) Report To (The Duke Of Buckingham) On The Offer of The King of Persia's Ambassador To Sell "all the Silk that will be vented in these parts of Europe". (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) pp.370-371.

(٢) Propositions made by Sir Robert Sherley. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624) pp. 243-244.

(٣) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan. Oct 22, 1628. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. 562-563.

(٤) Court Minutes Of The East India Company. August. 13, 1624. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p. 360.

(٥) Court Minutes Of The East India Company, May 30, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV 1625-1629) p.71.

ولكن وجهة نظر الشركة الانكليزية كانت مختلفة تماماً ولذلك ردت على اقتراحاته بما يلي:

أ ـ ان الشركة الانكليزية ليست بحاجة لمساعدة روبرت شيرلي.

ب ـ ليس لدى الشركة الرغبة في التعاون معه في المستقبل.

جـ ـ ان السفن الحربية الصغيرة التي يريدها الشاه عباس لا تستطيع الدفاع عن السفن الانكليزية في الخليج العربي، بل ربما استخدمها الشاه ضدها في المستقبل.

د ـ ان الشاه لن يتمكن من بيع الانكليز أكثر من كميات الحرير الموجودة في بلاده[1] وهي أقل بكثير من تقديرات روبرت شيرلي لها.

ولما كان ما سبق يوضح موقف الشركة الانكليزية من روبرت شيرلي فقد أبدت تذمرها في نيسان ١٦٢٦ عندما طلبت الحكومة الانكليزية منها نقله إلى فارس بواسطة سفن الشركة.

ولما كانت الشركة الانكليزية على خلاف مع روبرت شيرلي فقد فندت مرة أخرى في حزيران ١٦٢٦ ادعاء شيرلي بأنه سفير الشاه عباس إلى ملك انكلترا، مستندة في ذلك إلى أن الشاه عباس لم يبحث مطلقاً مع وكلاء الشركة الانكليزية في أصفهان سفارة روبرت شيرلي. ولذلك نصحت الشركة ملك انكلترا أن من الأفضل لمصالحها إبقاءه في أوربا. أما فيما يتعلق بمشاريع روبرت شيرلي المقترحة فإنها من وجهة نظر مسئولي الشركة الانكليزية تافهة ولا طائل من ورائها ولذلك لم ترحب بها لأن إرسال عشرين فرقاطة وقارباً حربياً إلى الشاه لإرهاب البرتغاليين والاستفادة منها في الدفاع عن هرمز والموانئ الفارسية الأخرى لا يحقق فائدة ملموسة للشركة الانكليزية. كما أن استخدام السفن الانكليزية في نقل التجارة الفارسية إلى انكلترا لن يحقق ربحاً لعدم وجود تجار مسلمين ـ آنذاك ـ يقبلون السفر على السفن الانكليزية في رحلات بحرية طويلة[2].

---

(١) Ibid. p.71.

(٢) Memorandum Concerning The East India Company And The Persian Trade. =

وعلى الرغم من موقف الشركة الانكليزية من روبرت شيرلي فقد عرض على المسؤولين الانكليز استعداده للاستمرار في خدمة المصالح الانكليزية في فارس وبذل كل جهوده للتأثير على الشاه عباس لما فيه مصلحة الشركة الانكليزية والتي كانت ترغب في استمرار الامتيازات الممنوحة لها وفي إرسال الحرير الفارسي إلى شيراز لما في ذلك من مصلحة مشتركة للشاه والشركة. كما حصل روبرت شيرلي على قائمة بلجان الشركة الانكليزية وعلى هدية فضية منها[١]. وكرر شيرلي الوعد بإمكانية إرسال الحرير الفارسي إلى ميناء جمبرون وبمساعدة الشركة الانكليزية في استرداد العائدات الجمركية المستحقة لها بأمر من الشاه عباس أو من خان شيراز، وبدفع حصتهم بانتظام في المستقبل، كما أبدى شيرلي رغبته في التوسط لدى الشاه عباس بمنح الانكليز قلعة هرمز لتكون مركزاً لإصلاح سفنهم في كل الحالات والمناسبات[٢].

٤ ـ أعرب الشاه عباس عن رغبته منذ البداية في إرسال سفينتين حربيتين انكليزيتين ليتمكن بهما من الدفاع عن موانئ بلاده وعن السفن التجارية الانكليزية في الخليج ضد هجمات البرتغاليين[٣] ولكن الشركة الانكليزية لم ترحب بذلك باعتباره لا يحقق فائدة لها ولا يخدم مصالحها على نحو أفضل مما هو موجود آنذاك.

٥ ـ رغبة الشاه عباس في تحويل التجارة الفارسية عن ممتلكات الدولة العثمانية إلى مكان آخر يحقق فائدة أكثر له بسبب الاضطرابات في الدولة العثمانية مما يعرّض التجار والبضائع الفارسية للخطر في الطريق البري الذي يسلكونه عبر بغداد إلى الموانئ السورية على البحر المتوسط. كما رغب الشاه عباس أيضاً في مقايضة ـ مبادلة ـ البضائع الفارسية بالبضائع الانكليزية بسبب

= April ? 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.185, pp. 212-213.

(١) Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629. p.325.

(٢) Court Minutes Of The East India Company. March 9. 1627. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.330.

(٣) Court Minutes Of The East India Company. May 30, 1625. (Colonial Papers. Vol. IV 1625-1629) p.71. and June 14, 1626. p.212.

القيود التي تفرضها الحكومة الانكليزية على إخراج السبائك الذهبية[1]. ولكن الشركة الانكليزية وجدت أن الفائدة التي يمكن تحقيقها من تجارة الحرير الفارسي الذي سيباع لها لا تتجاوز ٥٠٪ بينما تحقق تجارة الحرير بواسطة طريق بغداد ـ حلب ربحاً قدره ٧٠٪ ـ ٨٠٪ ولذلك أعرب السفير الفارسي عن رغبة الشاه في قطع تجارة الحرير عبر الأراضي العثمانية، كما أعرب الشاه عباس عن رغبته في الحصول على حلفاء دائمين وأصدقاء مخلصين لإضعاف العدو العثماني المشترك بكافة الوسائل، ولذلك عرض إمكانية نقل بضائع التجار الفرس على السفن الانكليزية[2] على أن يدفعوا الرسوم الجمركية في الموانئ الانكليزية كتلك التي يدفعها التجار الانكليز.

وأخيراً ترك روبرت شيرلي للملك الانكليز أن يأخذ من هذه الاقتراحات ما يرغب فيه ويرضى به. ولكن جيمس الأول توفي قبل التوقيع على المعاهدة التي اقترحها الشاه عباس الأول وتولى الحكم في انكلترا شارل الأول الذي ماطل في توقيعها[3] متذرعاً بالخلاف الذي وقع بين روبرت شيرلي مندوب الشاه عباس والسفير الفارسي نجدي علي بك. وبتأثير من الشركة الانكليزية أوقف شارل الأول المفاوضات وأرسل دود موركتن إلى فارس للاطلاع على وجهة نظر الشاه عباس في النزاع الدبلوماسي بين السفيرين الفارسيين روبرت شيرلي ونجدي علي بك ولدراسة إمكانية التوسع في العلاقات التجارية بين فارس وانكلترا[4]. وفي طريق العودة انتحر نجدي علي بك بالقرب من سورات.

---

(١) Propositions made by Sir Robert Sherley. Op.Cit. p.244.

(٢) Ibid. p.244; Colonial Papers. Vol. IV Year 1627. p.325.

(٣) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤٠٩. وانظر أيضاً: William Bell, Thomas Barker, John Purefey, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. Jan 9. 1623 (Colonial Papers., Vol. III. 1622-1624) pp. 161-163.

(٤) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٥٦ ـ ٥٨. وانظر أيضاً، محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٨.

وكان نجدي علي بك قد وصل إلى لندن في شباط ١٦٢٦ موفداً من الشاه عباس لمساعدة روبرت شيرلي في مهمته الدبلوماسية في انكلترا ومعه رسالة من الشاه عباس الأول إلى الملك جيمس الأول أعرب له فيها عن صداقته للانكليز ووعْد الشاه بمنح التجار الانكليز حرية البيع والشراء دون دفع شيء من الأموال[1] وعين ملك انكلترا في آذار ١٦٢٦ لجنة للتباحث مع السفير الفارسي والاطلاع على التعليمات الخاصة التي يحملها من الشاه والمتعلقة بالتجارة مع فارس.

لكن مسؤولي الشركة الانكليزية حرضوا نجدي علي بك على الطعن في صحة الرسائل التي يحملها روبرت شيرلي ووقفت الشركة الانكليزية إلى جانب نجدي علي بك في خلافه مع روبرت شيرلي[2]. وكانت أوضاع روبرت شيرلي المالية أثناء إقامته في لندن سيئة ويعتمد في بعض نفقاته على الشركة الانكليزية.

وبعد أن قرر شارل الأول وقف المفاوضات بسبب الخلاف بين السفيرين وإرسال السير دود موركتن إلى فارس، غادر روبرت شيرلي ونجدي علي بك لندن ومعهما السير موركتن قاصدين فارس بواسطة سفن الشركة الانكليزية، وبعد انتحار نجدي علي بك في سورات وصلت البعثة الانكليزية إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» في ١٠ كانون الثاني ١٦٢٨ ثم تابعت رحلتها عبر لار إلى شيراز. وفي ١٠ نيسان ١٦٢٨ دخلت البعثة الانكليزية أصفهان، وفي ٢١ أيار ١٦٢٨ توجهت لمقابلة الشاه عباس في إقليم مازندران[3] حيث قدم السير موركتن التهنئة له لانتصاره على العدو العثماني المشترك وشكر جهوده لتنشيط التجارة بين الدولتين وأكد على قيام رابطة صداقة قوية بين فارس وانكلترا. وفي المقابل وعد الشاه بتسليم الانكليز عشرة الاف بالة حرير في بندر

(١) Shah Abbas, King of Persia, To King James, March, 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.170.

(٢) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠٩، وانظر أيضاً: Colonial Papers. Vol. IV. (May 10, 1626). p.197 and June 14, 1626) p.212.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٦ - ٥٨.

عباس في مقابل الأقمشة الصوفية الانكليزية.

أما نهاية روبرت شيرلي فكانت في فارس حيث نجح خصومه في بلاط الشاه من تشويه سمعته، فأصدر الشاه عباس الأول أمراً بإخراجه من فارس ولكنه ما لبث أن مرض وتوفي في قزوين في عام ١٦٢٨، ثم لحق به بعد شهر السير دود موركتن ودفن في قزوين أيضاً. ويبدو أن الشاه عباس قد تخلى عن روبرت شيرلي بعد أن استنفد منه أغراضه لإثارة حكام أوربا ضد الدولة العثمانية والتي لم تسفر عن نتيجة ملموسة. كما أن علاقة الشاه عباس الوثيقة بالشركة الانكليزية والتي عملت على إفشال سفارة روبرت شيرلي لدى البلاط الانكليزي كانت وراء قرار الشاه عباس في التخلي عنه والاستغناء عن خدماته[١].

وبعد وفاته بفترة قصيرة التمس الكابتن توماس شيرلي من ملك انكلترا إعادة الاعتبار لروبرت شيرلي للخدمات التي قدمها لبلاده، ومنها سعيه لمنح الانكليز تجارة الحرير الفارسي بواسطة الموانئ الفارسية ووقف التجارة الفارسية مع الدولة العثمانية وتكريس كل جهوده لخدمة المصالح الانكليزية على الرغم من افتراءات بعض التجار الانكليز عليه[٢].

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤١٠ - ٤١١.

(٢) Petition of Capt. Thomas Sherley To The King. Year 1628? (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.593.

العلاقات الانكليزية الفارسية

كان الشاه عباس الأول يرحب بالتعاون مع الانكليز رغبة منه في الحصول على مساعداتهم لطرد البرتغاليين من هرمز ومنطقة الخليج العربي، ولذلك منح شركة الهند الشرقية الانكليزية الامتيازات والتسهيلات التجارية في ميناء جاسك لتوريطها بالاشتراك معه في حرب ضد البرتغاليين في الخليج العربي. ولعل الشاه عباس كان يهدف أيضاً من تعاونه مع الانكليز الاستفادة منهم في محاربة الدولة العثمانية اقتصادياً بتحويل التجارة الفارسية من الأراضي العثمانية إلى الموانئ الفارسية على الخليج العربي، وكذلك رغبة الشاه في الحصول على أسعار أعلى لمنتجات بلاده ولا سيما الحرير منها.

ومهما كانت حقيقة دوافع الشاه عباس فقد حقق أهدافه من خلال الامتيازات التي منحها للانكليز ومنها فرمان آب ١٦١٧ الذي منح الشاه عباس الأول الشركة الانكليزية(١) بموجبه الامتيازات التالية:

- حماية التجارة الانكليزية وإعفاء نسبة كبيرة منها من الرسوم.
- حق الرعايا الانكليز في حمل السلاح في فارس وحرية ممارسة شعائرهم الدينية.
- خضوع الرعايا الانكليز لقانونهم عند حل مشكلاتهم.

ولذلك أخذت السلطات البرتغالية في هرمز وجاوه حذرها عندما وجدت

---

(١) Sir Thomas Roe To William Robbins At Ispahan Aug. 2, 1617, (Letters Received by the East India Company From Its Servants In The East. Vol. VI, 1617 Edited by William Foster. London 1902) p.76.

سفن الشركة الانكليزية قد أخذت تقترب من منطقة الخليج العربي[1]. وكانت السفينة الانكليزية «جيمس» قد وصلت مع بضائعها إلى جاسك في كانون الثاني ١٦١٦ وصدرت التعليمات إلى وكيل الشركة الانكليزية في فارس للاتفاق مع الشاه عباس لإرغام البرتغاليين في الخليج العربي على القبول بحرية التجارة[2].

وكانت الشركة الانكليزية قد أرسلت بعثة إلى أصفهان ضمت باركر ومونوكس اللذين تمكنا بصعوبة من الحصول على منحة أفضل من تلك التي حصل عليها كونوك في آب ١٦١٨. وقد استفسر الشاه عباس الأول منهما عن إمكانية القيام بحملة فارسية ـ انكليزية ـ مشتركة لطرد البرتغاليين من هرمز[3]. ولكن الشركة الانكليزية كانت قد رسمت أهدافها في فارس على نحو يكفل لها الحصول على الحرير الفارسي ثم نقله بحراً إلى انكلترا للاستفادة من فرق أسعار الحرير الفارسي في حلب وأسعاره في موانئ فارس. ولذلك رغبت الشركة الانكليزية في أن يقوم الشاه عباس الأول بالمحافظة على قلعة جاسك على نفقته الخاصة بينما تأخذ على مسؤوليتها تأمين سلامة سفنها من مضايقات البرتغاليين وخدعهم الحربية. ورأت أن أفضل وسيلة لضمان الهدوء للتجارة الانكليزية في فارس تقديم رسالة من ملك انكلترا إلى الشاه الفارسي[4] يعرض فيها مودته وصداقته ورغبته في التعاون بين الانكليز والفرس؛ وبذلك أشرفت الشركة الانكليزية على العلاقات الانكليزية ـ الفارسية من خلال وكالتها في أصفهان.

---

(١) Wright, Arnold. Early English Adventures in The East. (London 1917). p.246.

(٢) Sir Thos. Roe's Instructions To The Chief Factors, Thos. Barker, And Edw. Monox In Perisa. Ahmedabad, Feb. 4, 1618. (Colonial Papers. Vol.II. 1617-1621). p.116.

(٣) Selections From State Papers, Bombay, Op, Cit. p. IV.

(٤) Thos. Barker To Sir Thos. Roe. April? 1618. (Colonial Papers. Vol. II. 1617-1621) pp. 155-158, Minutes of Consultation held at Jark, Moghistan, Lar, Shiraz, and Ispahan between 13 Dec. 1618 and 24 Sep. 1619. (Colonial Papers. Vol.II) pp.306-308.

صمم الشاه عباس الأول على استعادة هرمز بعد الانتصارات العسكرية التي أحرزها على الدولة العثمانية في عام ١٦١٨. وبعد تأمين حدوده الشمالية الشرقية والشمالية الغربية طلب في عام ١٦٢٠ من تابعه خان شيراز أن يحصل الجزية[١] من ملك هرمز كما جرت العادة قبل الاحتلال البرتغالي لجزيرة هرمز. وأبلغ الشاه عباس الشركة الانكليزية سراً بقراره الاستيلاء على هرمز لطرد البرتغاليين منها وتسليمها للانكليز. وتم الاتفاق بين الشركة والشاه على تقديم المساعدة العسكرية للفرس لمحاصرة قشم بحراً وتدريب القوات الفارسية وتنظيمها في مقابل حصول الانكليز على الحرير[٢] والسماح لهم بالانتقال من جاسك إلى جمبرون وهي أقرب إلى أصفهان من جاسك مسافة ثمانية أيام.

وكتب الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٢ رسالة إلى الملك جيمس الأول أكد له فيها على علاقات المودة والصداقة، وعلى منحه الحرية للرعايا الانكليز في بلاده، ووضح له هجمات البرتغاليين على السفن الانكليزية في مضيق هرمز ووقوف فارس إلى جانب الانكليز ضد البرتغاليين بتقديم المساعدة العسكرية الفارسية لهم وحرمان البرتغاليين من التزود بالماء العذب من جزيرة قشم القريبة من جزيرة هرمز[٣]. كما طلب الشاه المساعدة من الشركة الانكليزية التي قدمت مساعدتها البحرية بعد تردد. وبناء على الاتفاق قامت قوات مشتركة فارسية ـ انكليزية بمحاصرة قلعة هرمز في ١٠ شباط. وفي ٢٣ نيسان ١٦٢٢ استسلمت الحامية البرتغالية في قلعة هرمز إلى الانكليز[٤]، مما أدى

(١) Hawley, Donald. Op.Cit. p.74.

(٢) Francks Pinder At Gombroon To The President At Surat. Feb. 7, 1622. (The English Factories In ındia. Vol. II. 1622-1623 by William Foster. Oxford 1908) p.37.

(٣) Abbas Mirza, Shah of Persia To King James I. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-34) pp.633-634; Thos. Barker, Edward. Monox, Wm. Bell. and Thos. Barker, Jun. To The East India Company. Ispahan. Oct. 16, 1619 (Colonial Papers. Vol.II. 1622-1623) pp. 303-304.

(٤) Danvers, F.C. Reports on Portuguese Records (London 1892) pp. 119-121.

إلى إزالة التفوق البرتغالي في الخليج العربي عن مكانته التي تمتع بها لأكثر من قرن ومهد الطريق أمام الانكليز والهولنديين لتأسيس نفوذهم كقوى تجارية منافسة للبرتغاليين.

كذلك استفاد الفرس من الهزيمة التي لحقت بالبرتغاليين في هرمز فاحتلوا صحار وخورفكان على ساحل عمان؛ ولكن القائد البرتغالي راي فرايري الذي تمكن من الهرب من أسر الانكليز تمكن من استردادها مرة أخرى بسبب حجب المساعدة البحرية الانكليزية عن الفرس الذين انتقم البرتغاليون منهم بتدمير موانئهم على طول الساحل من جاسك جنوباً وحتى جمبرون شمالاً ومهاجمة سفنهم وقطع الامدادات عن هرمز[١].

وبعد طرد البرتغاليين من هرمز أقام الانكليز وكالة لهم في جمبرون وأصبح لهم دور مؤثر وفعال في التجارة الفارسية وفي مياه الخليج العربي لبعض الوقت. ورغب الفرس في متابعة الهجوم على مسقط بعد الاستيلاء على هرمز للاستفادة من وضع البرتغاليين الحرج في الخليج؛ ولكن الانكليز رفضوا الاستجابة لطلب الفرس بالمساعدة العسكرية بعد تجربتهم أثناء الاستيلاء على هرمز[٢]. وكان الفرس قد قاموا في كانون الأول ١٦٢٣ بإغراء الشركة الانكليزية بكميات كثيرة من الحرير الفارسي وبوعود كثيرة بتقديم تسهيلات تجارية لها في فارس، ولكن عندما استفسر الفرس من قائد الأسطول الانكليزي في الخليج عن استعداده للمشاركة في عمل عسكري ضد مسقط اكتفى بالإجابة بعدم وجود تعليمات لديه بهذا الشأن من ملك انكلترا[٣]،

---

(١) Selections From State Papers, Bombay, Op.Cit p.IV; Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954). p.150.

(٢) Bennett, Thomas Jewell. The Past And Present Connection Of England With the Persian Gulf. (Journal Of The Society of Arts. Vol. L. June 13, 1902. pp. 634-652) pp. 637-639; Boxer, C.R. Anglo-Portuguese Rivalry In The Persian Gulf. 1615-1635. (Chapters In Anglo Portuguese Relations. Edited by Edgar Prestage. U.S.A. 1971) pp.88-89.

(٣) Captain John Hall (At Swally) To The Company. Dec. 16, 1623. (The English Factories In India. Vol.II. 1622-1623 By William Foster. Oxford 1908) p.339.

فضاعت الفرصة لطرد البرتغاليين من مسقط الموقع البرتغالي الحصين بعد هرمز لعدم استطاعة الفرس الاستيلاء عليها بدون المساعدة الانكليزية البحرية.

وهكذا تبع سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ فتور في العلاقات الفارسية ـ الانكليزية ورفض الشاه عباس الاستجابة لرغبة الانكليز في بناء حصن لهم في هرمز. ولذلك كان الأمل باحتلال مسقط ضئيلاً في عام ١٦٢٨ بسبب فقرها من ناحية ولعدم ثقة الانكليز بالفرس من ناحية أخرى. وعلى الرغم من ذلك كان هناك مخطط انكليزي لاحتلال مسقط بالاشتراك مع الفرس وفق شروط مسبقة، منها السماح للانكليز وحدهم بامتلاك قلعة مسقط وترك المدينة للفرس ولكن مثل هذه المحاولات كانت تنطوي على مخاطر عسكرية بالغة فيما يتعلق بتدمير السفن البرتغالية في ميناء مسقط. ولما كانت الشركة الانكليزية لا ترغب في أن يأخذ الهولنديون زمام المبادرة[1] منها فقد كانت على استعداد للمساهمة في احتلال مسقط لا سيما بعد أن قاست كثيراً من تدخل الهولنديين والمنافسين التجاريين الآخرين لها في منطقة الخليج العربي.

ثم قام الانكليز بتنظيم مهم لتجارتهم مع فارس في عام ١٦٣١ مما أدى إلى زيادة اهتمامهم بالمشاريع الفارسية ضد البرتغاليين في الخليج العربي. وكانت السلطات الفارسية دائمة الإلحاح على الانكليز والهولنديين لتنفيذ مشروعها للاستيلاء على مسقط ولكنهم تهربوا من التورط في حرب جديدة ضد البرتغاليين بإجابات ووعود غامضة بالمساعدة العسكرية خوفاً من أن يكون كل طرف قد أبدى رغبته في تقديم المساعدة قبل الآخر ودون علمه. ولذلك تركت الشركة الانكليزية لوكلائها في فارس ولقادة أسطولها في الخليج العربي اتخاذ القرار المناسب وفق إمكانيات الأسطول الانكليزي. وكان الفرس على

(١) President Kerridge And Council At Surat To The Factors In Persia. Dec. 7. 1626, (The English Factories In India Vol. II 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908) pp. 163-164; President Kerridge, Richard Wylde, John Skibbow, Joseph Hopkinson, William Martin, and George. Poge At Surat To The Company. Jan. 4, 1628. (The English Factories. Vol. II.) pp. 191-214; Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.150.

استعداد للاتفاق مع الانكليز على شروط مناسبة للطرفين[1] فرحبوا بالانكليز وعملوا على كسب صداقتهم في النصف الأول من القرن السابع عشر. ولكن الشركة الانكليزية واجهت في منطقة الخليج العربي قوة هولندية بحرية وتجارية متفوقة استغلت ظروف الحرب الأهلية في انكلترا لتوجه ضربة قوية ضد النفوذ الانكليزي[2]. وخاضت الشركتان الانكليزية والهولندية صراعاً عنيفاً للسيطرة على التجارة الشرقية واحتكارها.

ولم تتوقف المحاولات الفارسية ضد مسقط حتى بعد طرد البرتغاليين منها في عام ١٦٥٠ على يد عرب عمان. ففي عام ١٦٥٧ طلبت السلطات الفارسية من الأسطول الانكليزي في الخليج العربي المساعدة بنقل الجنود الفرس لمهاجمة مسقط مقابل مبلغ نقدي يتفق عليه[3]. ويمكن القول إن طلبات الفرس المتكررة للمساعدة الانكليزية ضد البرتغاليين ثم ضد العرب في مسقط كانت من بين أهم أسباب الاحتكاك بين الجانبين، لا سيما بعد أن نكث الانكليز بتعهدهم تطهير ممرات الخليج العربي من السفن المعادية لفارس على أن تقوم بدفع نصف التكاليف المستحقة.

ومهما يكن من أمر فإن الشركة الانكليزية لجأت في منتصف القرن السابع عشر إلى التماس عطف الفرس فطلبت من وكلائها في فارس الإعراب للسلطات الفارسية عن سرورهم لعطف الشاه على المصالح الانكليزية في بلاده وابداء رغبتهم في الحصول على معاملة أفضل من أعدائهم الهولنديين الذين يسيئون إلى الشاه، وسوف يستمرون في سلوكهم المعادي لفارس إذا لم يخافوا من الانكليز[4].

(١) Selections from State Papers, Bombay, Op.Cit. p.IV; John Lewis, Thomas Codrington, And Thomas Best At Gombroon To The Company. May 22, 1649. (The English Factories In India. Vol VIII. 1646-1650. p.263. Consultation Held At Surat By President Hopkinson And Council And Captains Weddell And Slade. Dec.6, 1632 (The English Factories In India Vol. IV. 1630-1633. By William Foster Oxford 1910) p.247.

(٢) Selection From State Papers, Bombay. Op Cit. p IV (٨)

(٣) Persia And Basra, 1657 (The English Factories In India. Vol. X. 1655-1660. By William Foster. (Oxford 1921). p.128.

(٤) The President And Council At Surat To The Factors At Gombroon. March 22, 1651. (The English Factories In India Vol. IX, 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.54.

ولكن نظرة الفرس للانكليز تغيرت منذ عام ١٦٥٤ بعد أن ضعف أسطولهم التجاري في الخليج العربي، ولذلك تدهورت العلاقات الانكليزية - الفارسية في الربع الثالث من القرن السابع عشر، واقترحت الشركة الانكليزية في سورات في عام ١٦٥٩ اتباع سياسة عنيفة ومتشددة مع السلطات الفارسية بإقامة قاعدة عسكرية في مسقط، فبدأت المفاوضات مع إمام عمان ولكنها لم تسفر عن نتيجة. كما قرر مجلس إدارة الشركة الانكليزية في لندن محاصرة ميناء جمبرون «بندر عباس» أو الساحل الفارسي.

ولكن الحصار المقترح كان يقضي بتوفير ما لا يقل عن ثماني سفن حربية بينما لم يكن في مياه الخليج العربي سوى سفينتين غير مجهزتين تماماً، ويتطلب أيضاً إقامة قواعد ثابتة مع توفير الامدادات الكافية فيها. ولما لم تتمكن الشركة الانكليزية من تنفيذ سياسة استخدام القوة اتبعت سياسة تقليص وجودها التجاري في فارس إلى الحد الأدنى، فأوصى مجلس إدارة الشركة الانكليزية في لندن في عام ١٦٦٣ إبقاء عدد محدود من الموظفين من ذوي الأمانة والكفاءة لمتابعة تجارة الشركة ورعاية مصالحها وتحصيل نصيبها من العوائد الجمركية المستحقة لها في مقابل حصولهم على عمولة قدرها ٥٪. وفي وقت لاحق صدرت توصية أخرى تقضي بانسحاب الوكالة الانكليزية [١] من جمبرون «بندر عباس» وإرسال أحد موظفي الشركة في كل عام لتحصيل نصيبها من الرسوم الجمركية في جمبرون. ولكن وكالة الشركة في سورات قررت في عام ١٦٦٤ ترك موظفين فقط في جمبرون «بندر عباس» ووقف المفاوضات مع الفرس في أصفهان.

ولم تستطع الشركة الانكليزية تسوية خلافها المالي مع السلطات الفارسية التي طلبت تأخير دفع الديون المستحقة للشركة الانكليزية في عام ١٦٦٣ لعدم وجود تجارة أجنبية في ميناء «بندر عباس» وأدركت الشركة أن عليها الاحتفاظ بأسطولها وقواتها في الخليج العربي إذا كانت مهتمة في وقف

(١) Messrs. Spiller And Young At Ispahan To The Company. Sepr 8, 1654. (The English Factories In India Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.288.

التفوق الهولندي[١]. وما لبثت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية أن تدهورت مرة أخرى حتى فكرت الشركة الانكليزية بإعلان الحرب على فارس بسبب الصعوبات التي زعمت الشركة أن السلطات الفارسية قد وضعتها في طريقها بدون مبرر من وقت لآخر. ولذلك اقترحت إرسال قوة انكليزية كافية لاستعادة حقوقها في الرسوم الجمركية في جمبرون بعد أن تحملت أذى ومماطلة السلطات الفارسية عدة سنوات[٢].

وظنت الشركة الانكليزية أن اللجوء إلى استخدام القوة العسكرية سيرغم الفرس على توقيع معاهدة جديدة معها تكون شروطها في مصلحتها وتمكنها من فرض نفوذها في منطقة الخليج العربي[٣]. ولكنها أجلت تنفيذ خطتها السابقة باستخدام القوة، وقررت في عام ١٦٦٨ أن يقيم وكيلها في جمبرون «بندر عباس» وأرسلت بعثة إلى أصفهان لتتولى الاشراف على شئونها التجارية فيها، ولتقوم بتحصيل نصيبها من العوائد الجمركية كرها، وكان الاقتصاد الفارسي قد شهد بعض الانتعاش في عام ١٦٦٩ ثم عاودت وكالة الشركة الانكليزية في سورات البحث في إمكانية استخدام الاجراءات الانتقامية ضد الفرس ولكنها وجدت أن الحرب مع الفرس لن تكون مأمونة العواقب ولا بد لها من ضمان حياد الهولنديين والفرنسيين الذين أرسلوا سفنهم في عام ١٦٦٩ إلى جمبرون «بندر عباس» وأن أي نزاع مع الفرس سيكون في مصلحة الفرنسيين[٤].

ولما فشلت بعثة الشركة الانكليزية إلى بلاط الشاه في عام ١٦٧١ خابت آمالها في حل الخلاف عن طريق المفاوضات، ورأت أن القوة هي الوسيلة

---

(١) Selections From State Papers, Bombay Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf. With A Summary Of Events 1600-1800. p.22, 24.

(٢) The Surat Presidency, 1668. (The English Factories In India 1668-1669 By Sir William Foster. Oxford 1927). p.30.

(٣) Ibid. p.30.

(٤) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories 1668-1669) p.200; Selections From State Papers. Op.Cit. p.IV.

الوحيدة لحسم خلافها مع السلطات الفارسية والتي ستلحق الهزيمة بها. ومن وجهة نظر الشركة الانكليزية يجب أن يعرف الشاه الفارسي مدى مساهمتها في تقدم بلاده[1].

ولذلك أعربت الشركة الانكليزية عن استيائها في عام ١٦٧٢ من موقف السلطات الفارسية منها لرفضها الموافقة على طلب خان شيراز باستعمال إحدى سفنها لنقل الجنود والمدافع، وطلبت منه تفريغ سفنها وشحنها بالبضائع[2] وفقاً لمعاهدة ١٦٢٢ بين الفرس والانكليز؛ وكذلك كتب الملك شارل الثاني إلى الشاه سليمان في آذار ١٦٧٢ مهنئاً بارتقائه عرش فارس ومذكراً بمساهمة الشركة الانكليزية في الاستيلاء على قشم وهرمز قبل نصف قرن في مقابل نصف العوائد والرسوم الجمركية في ميناء جمبرون «بندر عباس»[3].

وأخيراً نفذت الشركة الانكليزية قرارها باستخدام القوة العسكرية في عام ١٦٧٥ والذي يقضي بتسليح سفن الشركة التجارية في منطقة الخليج العربي. وأرسلت في عام ١٦٧٦ سفينتين مسلحتين محملتين بالأقمشة والقصدير لحماية التجارة وتحصيل حصة الشركة من الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس». كذلك أوضحت الشركة الانكليزية إلى الشاه سليمان أن نصيبها في الجمارك يعود إلى الخدمات والمساعدة العسكرية التي قدمتها للشاه عباس الأول لتمكينه من الاستيلاء على هرمز في عام ١٦٢٢. وطلبت من السلطات الفارسية دفع نصف نفقات السفن الانكليزية المسلحة التي أرسلتها لضمان الأمن في منطقة الخليج العربي[4].

---

(١) Selections From State Papers. Op.Cit. p.25.

(٢) Gerald Aungier, President and Council At Surat. To Thomas Rolt, etc. Agent and Council In Persia (Selections From State Papers. Op.Cit.) pp.26-27.

(٣) The King To Shah Sulaiman, King of Persia. March 6, 1672. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1671-1673. By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1932) p.113.

(٤) Extract From a Despatch, dated Aug. 10, 1663. From The Court of Directors To The President and Council at Surat. (Selections From State Papers. Op-.Cit.) pp. 22-23.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٩٨ - ٩٩.

وتمشياً مع هذه السياسة الجديدة أرسلت الشركة الانكليزية بضائعها إلى جمبرون «بندر عباس» في عام ١٦٧٦ مع أوامر مشددة لمنع التلاعب في البضائع الهندية لإعفائها من الرسوم الجمركية. وذلك بوضعها تحت إشراف الوكيل الانكليزي لبيعها بمعرفته.

كما اشتد طلبها على صوف كرمان الفارسي فأصدرت تعليماتها إلى وكلائها بتصدير أكبر كمية ممكنة منه[١]. وعندما رغبت الشركة الانكليزية في اتخاذ موقف متشدد أكثر بفرض حصار بحري على الساحل الفارسي عادت فاستدركت وعبّرت عن خوفها من أن يقوم البرتغاليون أو الهولنديون باستغلال أي حرب قد تنشب بين الفرس والانكليز للحصول على احتكار التجارة الفارسية في جمبرون «بندر عباس» فتراجعت عن إجراءاتها العسكرية وفضلت عليها اللجوء إلى المفاوضات لتسوية المسائل المختلف عليها مع السلطات الفارسية ولكن دون جدوى. وعندئذ قررت الشركة انتهاج سياسة أكثر حزماً فأرسلت احتجاجاً للشاه وقامت بمناورات بحرية أمام الساحل الفارسي وجهزت إحدى سفنها «شارل الثاني» وأمرت قبطانها «توماس جرانهام» بالتوجه إلى جمبرون «بندر عباس» وبذل جهوده لتحصيل الرسوم الجمركية المتأخرة وإرساء التجارة الانكليزية في فارس على أسس ثابتة[٢].

ولكن القبطان الانكليزي وجد في طريقه أسطولاً هولندياً كبيراً، كما وجد قوات فارسية كبيرة مستعدة للدفاع عن جمبرون «بندر عباس» فعاد أدراجه إلى بومباي. وهكذا أخفقت الشركة الانكليزية في تنفيذ قرارها باستخدام القوة المسلحة، واضطرت إلى العودة للمفاوضات مع السلطات الفارسية لا سيما بعد أن وجدت صعوبة في تسويق بضائعها من الأقمشة الصوفية والقصدير

---

(١) The Surat Presidency, 1676, p.273: The Surat Presidency, 1677, p.286. (The English Factories In India. Vol.I. New Series 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936).

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) Selections From State Papers, Bombay, Op.Cit. p.IV.

وغيرها في فارس في عام ١٦٨٤ على الرغم من بيعها بخسارة في أصفهان(١). ولذلك أعربت عن استعدادها للتعاون مع الفرس والسماح لهم باستخدام السفن الانكليزية بإشراف الوكيل الانكليزي في جمبرون «بندر عباس» في مقابل الحصول على فرمان من الشاه باحتكار نقل البضائع الفارسية على سفنها؛ كما أبدت استعدادها لتوفير عدد من السفن الجيدة باستمرار وتزويد الموانئ الفارسية بامدادات كافية من مختلف أنواع البضائع(٢).

ومهما يكن من أمر فقد تحسنت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية في عام ١٦٨٦ عندما حصلت الشركة الانكليزية على تأكيد امتيازاتها السابقة في فارس على الرغم من مكائد الشركة الهولندية. ثم حققت الشركة الانكليزية نجاحاً آخر في بلاط الشاه حسين عندما نجحت في ١٨ حزيران ١٦٩٧ في الحصول على فرمان تعهد الشاه فيه بدفع حصتها من الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس» بانتظام على أن يدفع جزءاً من الديون المتأخرة والمستحقة نقداً والباقي حريراً(٣) على الرغم من معارضة وكلاء الشركة الهولندية الذين عرضوا على المسؤولين الفرس مبلغاً من المال لمنع تأكيد الامتيازات الانكليزية. واتخذت الشركة الانكليزية خطوة أخرى في عام ١٦٩٧ لتوطيد مركزها في فارس عندما قررت أن تكون أصفهان مقراً رئيسياً لنشاطها التجاري والسياسي في فارس ومنطقة الخليج العربي وأن تكون وكالتها في جمبرون «بندر عباس» تابعة لها. وبذلك أرست تجارتها الفارسية على أسس ثابتة أكثر من أي وقت مضى(٤). كما اتخذت اجراءات نشيطة للحصول على عطف الشاه والمسؤولين الفرس لمنع الهولنديين من الكيد لها في البلاط الفارسي.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٠٠ ـ ١٠١. وانظر أيضاً: Surat 1684. (The English Factories In India. New Series. Vol.IV. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1955). p.357

(٢) Selections From State Papers, Bombay. Op.Cit. p.35.

(٣) Danvers, F.C. Report on the India Office p.29; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.11.

(٤) Selections From State Papers, Bombay. Op. Cit. P.V; Hall, Lesley A. Factory Records. Persia and Persian Gulf. (1620-1822) pp.3-4; Danvers F.C. Op.Cit. pp. 28-29.

وشهدت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية بداية جديدة في نهاية القرن السابع عشر عندما قام الشاه حسين في ٢٤ تموز ١٦٩٩ بزيارة شخصية إلى مقر الوكالة الانكليزية في أصفهان. وعلى الرغم من إنفاق الشركة الانكليزية مبلغ ١٢٠٠ جنيه استرليني ثمناً للهدايا التي قدمتها للشاه فقد اعتبرت الزيارة شرفاً كبيراً لها لا سيما بعد أن فشلت جهود منافستها الشركة الهولندية في حمل الشاه حسين على القيام بزيارة مماثلة للوكالة الهولندية. وفي مقابل الامتيازات التي حصلت عليها الشركة الانكليزية في فارس فقد قرر مجلس إدارتها في عام ١٧٠٠ إرسال هدية ثمينة للشاه حسين اعترافاً بفضله[1] على المصالح الانكليزية. وفي مطلع القرن الثامن عشر أخذت السفن التجارية الانكليزية تجوب مياه الخليج العربي وتتجول بين موانئه على نطاق واسع.

---

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp. 12-13; Selections From State Papers Bombay. Op.Cit. p.IV; Danvers. F.C. op.Cit. p.29.

العلاقات الانكليزية ـ العثمانية

حصل أنطوني جنكنسون على فرمان من السلطان سليمان القانوني في عام ١٥٥٣ أثناء وجوده في حلب منح فيه الرعايا الانكليز حرية التجارة في الدولة العثمانية على قدم المساواة مع فرنسا والبندقية على أن يدفعوا الرسوم المعتادة. ولكن لم يحدث تطور مهم في العلاقات التجارية الانكليزية ـ العثمانية حتى عام ١٥٧٨ عندما قام وليم هاربورن خفية برحلة إلى الآستانة فوصلها في تشرين الثاني ١٥٧٨ وحصل من السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٥) على رسالة إلى الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) في ١٥ آذار ١٥٧٩ ورد فيها «أن الدولة العثمانية ستقدم كل المساعدة والعون للانكليز وستبقى موانئها وأراضيها مفتوحة دائماً للتجارة الانكليزية»[١].

وبادرت الملكة اليزابت إلى الرد على رسالة السلطان مراد الثالث وطلبت منه منح تسهيلات تجارية للرعايا الانكليز وأعربت عن استعدادها منح امتيازات مماثلة في بلادها للتجار العثمانيين. ولذلك أصدر السلطان مراد الثالث فرماناً في عام ١٥٨٠ منح فيه الانكليز امتيازات شاملة في بلاده، وبذلك تم تنظيم العلاقات التجارية بين العثمانيين والانكليز وفق معاهدة ١٥٨٠ وحصل الانكليز بموجبها على امتيازات تجارية في الدولة العثمانية[٢]. مماثلة للامتيازات التي حصل الفرنسيون عليها في عام ١٥٣٥. وتأسست في

---

(١) زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني. (القاهرة، ١٩٦٦) ص ١٢ ـ ١٤.

(٢) Saleh, Zaki. Mesopotamia (Iraq) 1600-1914 (Baghdad 1957) p.25.

لندن شركة «الليفانت» في عام ١٥٨١ لتصدير الحرير الفارسي عن طريق البصرة ـ بغداد ومنها إلى حلب ثم إلى موانئ البحر المتوسط.

ورغبة من السلطان العثماني في إقامة حلف مع انكلترا ضد النمسا واسبانيا فقد جدد الامتيازات الانكليزية وتم تأكيدها مرة أخرى في عام ١٥٨٣ وأصبحت بذلك الأساس للامتيازات الانكليزية في القرون التالية. واستقر هاربورن سفيراً لانكلترا في الآستانة على الرغم من معارضة السفراء الآخرين وكيدهم له. وتمتع هاربورن بالسلطة على جميع التجار الانكليز في الدولة العثمانية وبتعيين القناصل وتنظيم شؤون التجارة الانكليزية[١]. كما كان هربورن أول مندوب لشركة الليفانت حيث تقاضى منها رواتبه وظلت شركة الليفانت ترشح السفراء الانكليز إلى الآستانة وتدفع رواتبهم حتى مطلع القرن التاسع عشر.

وقد ازدهرت تجارة الليفانت في الربع الأخير من القرن السادس عشر وكانت حلب سوقاً رائجة للتجارة الشرقية التي تأتي إليها من الهند وفارس عبر الخليج العربي أو عبر العراق وتشتمل على التوابل والعطور والسجاد والأقمشة الهندية والفارسية وكان للحرير الفارسي شهرة واسعة في الأسواق الأوربية حيث اعتمدت عليه صناعة الأقمشة الحريرية الانكليزية في القرن السابع عشر؛ وكانت حلب مركزاً مهماً لتصديره لا سيما بعد أن قلت كميات البضائع الشرقية التي كانت تحملها السفن البرتغالية بعد اندماج البرتغال في اسبانيا في عام ١٥٨٠ وعودة الانتعاش الاقتصادي إلى الطريق البري عبر البصرة والفرات وحلب[٢].

وبعد أن حققت انكلترا انتصارها على اسبانيا في عام ١٥٨٨ توسعت في السنوات التالية بالتجارة مع الموانئ العثمانية على البحر المتوسط وكانت

---

(١) Wood, Alfred C. A History Of The Levant Company (London 1964) p.15; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp.2-3.

(٢) أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة (القاهرة، ؟) ص ٢٠٧.

الرحلات التجارية الانكليزية التي تتم بـدون تصريح من الـدول البحريـة الأخـرى في البحر المتـوسط خـلال القـرن السـادس عشر مغـامـرة خـطيرة للغاية[١]، ولذلك اضطرت شركة الليفانت إلى دفع أتاوات باهظة ولحقت بها بعض الخسائر. ولما كانت الحرب بين اسبانيا وانكلترا شبه مستمرة في الربع الأخير من القرن السادس عشر فقد اضطرت شركة الليفانت في عام ١٥٨٧ إلى تعليق أعمالها مؤقتاً بسبب خطورة الرحلات التجارية في البحر المتوسط. كما شجب أسقف لندن التجارة الانكليزيـة في البحر المتـوسط لأنها تعرض الرعايا الانكليز للأسر والاسترقاق على يد قراصنة الشمال الافريقي ودعا إلى وقفها[٢].

ثم حصلت انكلترا من الدولة العثمانية في عام ١٦٠٤ على تأكيد حق سفنها بالتجارة في الموانئ العثمانية تحت أعلامها الانكليزية بينما كانت السفن الأجنبية الأخرى ـ باستثناء سفن البندقية ـ مضطرة لرفع العلم الفرنسي[٣]. وقام السفير الانكليـزي هاربـورن خلال السنـوات الأولى لتجارة الليفـانت (١٥٨٣ ـ ١٦٠٥) بـدور فعـال في نشـاطهـا حيث منحتـه الملكـة اليـزابت صلاحيات واسعة، فعين قنصلاً لانكلترا في القاهرة والاسكندريـة والجهات المجاورة لها في عام ١٥٨٣، ولكن شركة الليفانت تخلت عن السوق المصرية في منتصف القرن السابع عشر وتركت التجار الانكليز يمارسون أعمالهم التجارية على مسؤوليتهم الخاصة. كما عين قنصلاً آخر في طرابلس الشام وأشرف منها على التجارة الانكليزية في جهات حلب ودمشق وعمان والقدس وغيرها من المدن والموانئ الأخرى في الولايات السورية[٤].

وكان القناصل الانكليز في الـدولة العثـمانية يمثلون مصـالح الشركـة

---

(١) Rawlinson, H.G. Early Trade Between England and the Levant. (Journal Of Indian History. Vol.II. 1922-1923. pp. 107-116).p.109, 112.

(٢) Wood,. Alfred C.Op.Cit. pp.16-17.

(٣) Saleh, Zaki. Op.Cit. p.25.

(٤) Wood, Alfred C. Op.Cit. p.15.

التجارية ويرأسون الجاليات الانكليزية ويديرون شئونها ويتبعون بدورهم لشركة الليفانت التي تعينهم في مناصبهم وتعزلهم منها وتدفع لهم رواتبهم.

ولكن التجارة الانكليزية في حلب تضررت في الربع الأول من القرن السابع عشر نتيجة لاستمرار الصراع العثماني - الصفوي في عهد الشاه عباس الأول الذي كان حريصاً على تحويل التجارة الفارسية لا سيما تجارة الحرير عبر أراضي الدولة العثمانية وموانئها، فبحث عن طرق تجارية أخرى عبر الأراضي الروسية والخليج العربي بواسطة شركة الهند الشرقية الانكليزية. ولكن شركة الليفانت قاومت تحويل الطريق التجاري التقليدي ونجحت لبعض الوقت في إحباطه لأن الأراضي العثمانية كانت خارج نطاق احتكار شركة الهند الشرقية، ولأن شركة الليفانت كانت تحتكر التجارة الشرقية عبر الأراضي العثمانية وتقوم بإحضارها من الموانئ العثمانية إلى انكلترا[1]، مما زاد في كراهية الرعايا الانكليز لها حتى عام ١٦٠٠م لا سيما بعد أن قامت بإضافة مبلغ من المال على البضائع التي يأتي بها التجار الآخرون من الانكليز والأجانب على السواء[2].

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر حصلت انكلترا على امتيازات جديدة من الدولة العثمانية تمكن الانكليز بواسطتها من توطيد نفوذهم في الدولة العثمانية. فقد اشتملت معاهدة كانون الثاني ١٦٦١ على ٦٧ مادة نذكر منها:

- يتم البحث في كل التهم مهما كان نوعها والموجهة ضد أي من الرعايا الانكليز في الدولة العثمانية بحضور السفير أو القنصل الانكليزي.
- جميع الامتيازات الخاصة التي منحتها الدولة العثمانية إلى الفرنسيين وغيرهم

(١) Wilbur, Marguerite Eyer. The East India Company And The British Empire In The Far East. (New York 1965). p.201.

وانظر أيضاً: أحمد عزت عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٩.

(٢) Epstein, M. The Early History Of The Levant Company. (London 1908?) p.42.

يجب أن تمنح للانكليز أيضاً بالإضافة إلى الامتيازات التي سبق منحها لهم. وبذلك عاملت الدولة العثمانية انكلترا معاملة الدولة الأكثر رعاية.

- لا يجوز أن يخضع أي قنصل انكليزي مقيم في الدولة العثمانية للسجن مهما كانت الأسباب والظروف.
- لا تخضع البضائع العائدة للانكليز في الدولة العثمانية لرسوم أو ضرائب أكثر من ٣٪[١].

ثم أكدت انكلترا معاهدة ١٦٦١ مرة أخرى وحصلت على امتيازات جديدة عندما عقدت معاهدة مع الدولة العثمانية في أيلول ١٦٧٥ تضمنت ما يلي[٢]:

- تحديد قيمة الرسوم الجمركية على البضائع الانكليزية بـ٣٪ من قيمة الصادرات والواردات.
- للسفن الانكليزية الحق في إحضار بضائعها إلى الموانئ العثمانية وللانكليز الحق في البيع والشراء وفق القوانين والأنظمة العثمانية.
- إذا دفع الانكليز الرسوم الجمركية أو غيرها مرة واحدة في أحد الموانئ أو المراكز العثمانية فلا تُحصَّل منهم مرة أخرى.
- إذا أفرغت السفن الانكليزية حمولتها من البضائع في أحد الموانئ العثمانية ودفعت الرسوم المقررة ثم لم تستطع تسويقها فلها الحق في إعادة شحنها إلى أي ميناء عثماني آخر لتسويقها دون أن تدفع عنها رسوماً جديدة.

---

(١) Precis Containing Information Regard To The First Conncection Of The Hon'ble East India Company With Turkish Arabia. (Calcutta, 1874). p.187.

(٢) عبد العزيز سليمان نوار: المصالح البريطانية في أنهار العراق ١٦٠٠ - ١٩١٤ (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٢٥ - ٢٦.

العلاقات الانكليزية ـ العربية

بدأت علاقات شركة الهند الشرقية مع العرب في عمان مع بداية حكم اليعاربة (١٦٢٤ـ ١٧٤٩). وقد تم الاتصال الأول بين الجانبين في عام ١٦٤٥ بناء على طلب الإمام ناصر بن مرشد (١٦٢٤ ـ ١٦٤٩) واستجابت الشركة الانكليزية لطلب الإمام وأرسلت أحد مستخدميها في سورات فيليب وايلد إلى صحار للتفاوض بهدف عقد معاهدة تعاون مع دولة اليعاربة. وتوصل الجانبان، إلى اتفاق في شباط ١٦٤٦ تضمن منح الانكليز امتيازات شملت حرية الاستيراد والتصدير والاعفاء الجمركي وتوفير الأمن والحماية والحرية في ممارسة الشعائر الدينية.

ولكن الانكليز لم يتحمسوا لتنفيذ الاتفاق لانكماش حجم التجارة الانكليزية في نقطة الخليج العربي في منتصف القرن السابع عشر بمقارنتها بالتجارة الهولندية[١]، والتي تأثرت بدورها بالركود الاقتصادي الذي أصاب الأسواق الفارسية في منتصف القرن السابع عشر عندما كسدت البضائع الأجنبية في أسواق فارس مما دفع بالهولنديين إلى البحث عن أسواق أخرى، وحاولوا إقامة علاقات تجارية مع مسقط واتخاذها مركزاً لرعاية شئونهم التجارية في منطقة الخليج العربي[٢]. ومهما يكن من أمر فقد توثقت

(١) انظر الفصل الرابع: (الهولنديون).

(٢) The Factors At Ispahan To The President And Council At Surat. Sept. 27, 1653. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915). p.202.

العلاقات بين الشركة الانكليزية ودولـة اليعاربة. ويبدو أن الانكليـز قدمـوا مساعدتهم سـراً لليعاربـة ضد الـبرتغاليـين فرحب اليعـاربة بسفن الشركـة الانكليزية في ميناء مسقط.

وفي عهد الإمام سلطان بن سيف أدرك الانكليز أهمية مـوقع مسقط الاستراتيجي في الخليج العربي، ولذلك وضعت وكالة الشركة الانكليـزية في سورات خطة في عام ١٦٥٩ لتأمين استيلائها على ميناء مسقط وإقامة قاعدة آمنة لسفنها فيه لتمكينها من زيادة أرباحها التجارية في الساحل الغربي للهند من ناحية ولتقوية مركزها في الخليج العربي من ناحية أخرى بعد أن أحرزت منافستها الشركة الهولندية نصيباً أفضل منها في مجال التجارة والنفوذ في منطقة الخليج العربي. كما رغبت الشركة الانكليزية أيضاً في ممارسـة الضغط على الحكومة الفارسية من مركز قوة لتحصل على نصيبها كاملاً في جمارك جمبرون «بندر عباس»[1]. ولذلك أجرى «الكولونيل رينسفورد» ـ أحد ضباط الشركة الانكليزية ـ في عام ١٦٥٩ مفاوضات مع دولة اليعاربة في مسقط أراد منها حصول الانكليز على إحدى القـلاع في مسقط والاحتفاظ بحـامية من مئـة جندي فيها وأن يكون للانكليز من المفاوضات إقامة قاعدة بحرية وتجاريـة قوية لإرهاب السلطات الفارسية، وممارسـة الضغط عليها لإعـادة النظر في جمارك جمبرون «بندر عباس» وتسوية الخلاف الجمركي الانكليزي الفارسي، والوقوف بحزم في وجه تفـوق القوة والتجـارة الهولنـدية في منـطقة الخليـج العربي.

ولكن إمـام اليعاربـة لم يتحمس للمشروع الانكليزي ربمـا لتحريض الشركة الهولندية التي كان نفوذها قوياً واحتكرت التجارة في الخليج العربي ـ آنذاك ـ وربما أيضاً لحرص اليعاربة على عدم السماح بقيام أي نشاط أوربي عسكري على أراضيهم بحكم التجـربة المرة والطويلة التي خـاضوهـا ضد

---

(١) Lockhart, Laurence. The Menace Of Muscat And Its Consequences In The Late Seventeenth And Early Eighteenth Centuries. (The Asiatic Review, October, 1946. London. Vol. XLIII. No. 152. pp 363-369) p.363.

الاحتلال البرتغالي للساحل العماني ولذلك فشلت محاولة الانكليز في إقامة وكالة تجارية لهم في مسقط[1]. وعلى الرغم من رفض اليعاربة عقد معاهدة مع الانكليز تقيد حريتهم وتفرط في سيادتهم على أراضيهم فقد حرصوا على عدم الدخول في صراع مع الانكليز حيث ظلت السفن الانكليزية تقوم بزيارات دورية لميناء مسقط بهدف التبادل التجاري مما أدى إلى استمرار التعاون العسكري بين الانكليز واليعاربة ضد البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي، ولكن دون دخول الانكليز في صراع مباشر مع البرتغاليين. وقد وجه البرتغاليون في عام ١٦٩٧ اتهامات للانكليز بتقديم الأسلحة والذخائر وإرسالها من بمباي لدولة اليعاربة، وأن بعض السفن العربية كانت بقيادة ضباط من الانكليز.

وحرص اليعاربة على عدم التعرض للسفن الانكليزية والهولندية في الخليج العربي لا سيما أثناء صراعهم مع الفرس حتى لا تقوم إحدى الشركتين الانكليزية أو الهولندية بتقديم مساعدتها لأعدائهم[2]. ولكن حرص اليعاربة على انتهاج هذه السياسة لم يمنع حدوث اشتباكات في بعض الأحيان بين السفن العربية والانكليزية، وقيام الأسطول العربي بالاستيلاء على بعض السفن الانكليزية وارغام بحارتها على الاشتراك معه في بعض العمليات البحرية ضد البرتغاليين وكذلك استيلاء الانكليز على بعض السفن العربية ورد اليعاربة على ذلك بالاستيلاء على سفينة انكليزية أخرى.

ولذلك نظر الانكليز بحذر إلى تعاظم القوة البحرية لليعاربة لا سيما بعد قيامها بالإغارة على ميناء كونغ البرتغالي وتهديد ميناء بندر عباس الفارسي، كما قام الأسطول العربي في عام ١٧٠٤ بإعاقة التجارة الانكليزية في

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٣٢، وانظر أيضاً: صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠ (بغداد، ١٩٧٩)، ص ٦٠.

(٢) عائشة علي السيار: دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقية (بيروت، ١٩٧٥)، ص ١٦٩ - ١٧٣.

الخليج العربي مما أثر على حصة الشركة الانكليزية في عائدات جمارك جمبرون «بندر عباس» ولكن الضعف الشديد الذي أصاب دولة اليعاربة بعد عام ١٧١٩ وما رافقه من حرب أهلية واضطراب واحتلال فارسي للساحل العماني قد أدى إلى توقف العلاقات بين الانكليز واليعاربة إلى أن تمكن أحمد بن سعيد من تأسيس عهد جديد بقيام دولة البو سعيد في عمان في عام ١٧٤٩.

الصراع الانكليزي ـ البرتغالي

كانت مياه الخليج العربي والمحيط الهندي مسرحاً للصراع بين القوى الأوربية الرئيسية (البرتغاليون والانكليز والهولنديون والفرنسيون) المتنافسة على التجارة الشرقية في القرن السابع عشر[1]، وكان البرتغاليون قد بدأوا في أخذ الحيطة والحذر من الانكليز الذين بدأوا في إقامة علاقات تجارية مع فارس هددت الاحتكار البرتغالي للتجارة في منطقة الخليج العربي بعد أن ظل احتكارهم التجاري لأكثر من قرن.

وكان الانكليز قد أحكموا سيطرتهم على سورات، وفشل البرتغاليون في اعتراض السفن الانكليزية في طريقها إلى جاسك على الساحل الفارسي مما برهن على عجزهم في الوقوف بحزم في وجه المنافسة الانكليزية في المياه الشرقية[2] لا سيما بعد أن انتصرت السفن الانكلبزية على السفن البرتغالية في عام ١٦١٣ وفي عام ١٦١٥ بالقرب من الساحل الغربي للهند.

وفي مطلع عام ١٦١٧ وصلت السفينة الانكليزية «جيمس» إلى ميناء جاسك على الساحل الفارسي بعد أن فشلت المحاولة التي قام بها البرتغاليون لاعتراضها. وقد أثبت أول اتصال تجاري للشركة الانكليزية مع فارس عن إمكانيات تجارية جيدة.

---

(١) Mukherjee, Ramkrishna. The Rise And Fall of The East India Company. (Berlin 1958). p. 91.

وانظر، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٢٧.

(٢) Wright, Arnold. Early English Adventures In The East. (London 1917) p.246.

وهكذا بدأت الشركة الانكليزية في محاولاتها الأولى لكسر الاحتكار البرتغالي والوصول مباشرة إلى الأسواق الفارسية التي اكتشفها ريتشارد ستيل لتسويق الأقمشة الصوفية الانكليزية الكاسدة في الهند. [1] وكان حاكم جاسك الفارسي قد أخبر الانكليز باستعدادات البرتغاليين العسكرية في هرمز لمهاجمة السفن الانكليزية. فقرر الانكليز الاحتفاظ بالبضائع التي أفرغوها في قلعة جاسك خوفاً عليها من البرتغاليين تمهيداً لبيعها في الأسواق الفارسية[2] وتوجيه ضربة قوية للمصالح البرتغالية في الخليج العربي والبقاء سنة أخرى في ميناء جاسك ليتمكنوا بعدها من الوصول إلى ميناء جمبرون ـ أفضل ميناء على الساحل الفارسي آنذاك ـ والذي لا يبعد عن هرمز كثيراً.

وفي حزيران ١٦١٧ وصل أسطول انكليزي من سورات إلى جاسك بعد أن قطع المسافة في غضون ٣٦ يوماً في الوقت الذي أخذ فيه البرتغاليون يتحركون بنشاط ضد التجارة الانكليزية في المحيط الهندي أكثر من أي وقت مضى[3]، وعندما قرر البرتغاليون منع الأسطول الانكليزي من دخول ميناء جاسك تلقى أسطولهم هزيمة مريرة في ٢٨ كانون الأول ١٦٢٠، ولحقت بهم خسائر جسيمة بلغت ١٦٠ من القتلى و٢٠٠ من الجرحى. ولكن الأسطول الانكليزي خسر قائده أندرو شيلنج الذي توفي متأثراً بجراحه في ٦ كانون الثاني ١٦٢١ بالإضافة إلى ثمانية من القتلى[4] وتحالف الانكليز مع الفرس في عام ١٦٢٢ للاستيلاء على جزيرة هرمز ولطرد البرتغاليين منها.

---

(١) Savory, Roger. Iran Under The Safavids (Gt. Brit. 1980) p.113.
وانظر أيضاً: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ٥٠ ـ ٥١.

(٢) Sir Thomas Roe To Thomas Kerridge, And Thomas Rastell At Surat. Jan. 5, 1617 (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) p.326.

(٣) Edward Connock, George Pley, Edward Pettus, And William Tracy To The East India Company. Ispahan June 2, 8, 1617 (Letters Received Vol. V 1617) pp. 278-280, 302; Consultation Of Connock And Council Dec. 17, 1616, Edward Connock To Capt. Alex. Childe. Dec. 26, 1616. (Colonial Papers. Vol. I. 1513-1616) pp. 484-485.

(٤) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p.185.
وانظر أيضاً: لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٤١.

وفي عام ١٦٢٥ جرى قتال بين الأسطولين الانكليزي والهولندي من جهة والأسطول البرتغالي من جهة أخرى ولحقت الهزيمة بالبرتغاليين وأرغموا على الانسحاب من المعركة مما ألحق الضرر بسمعتهم العسكرية في منطقة الخليج العربي، ولكنهم ثأروا لأنفسهم في العام التالي وألحقوا بالأسطول الانكليزي خسائر جسيمة بعد أن تهرب الهولنديون من الاشتراك في القتال إلى جانب الانكليز[1] الذين كان عليهم تأمين حماية سفنهم التجارية في الخليج العربي من خطر الأسطول البرتغالي الذي اتخذ من مسقط قاعدة رئيسية له بعد طرده من جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢. ولذلك كان على الانكليز العمل بكل قوتهم ضد البرتغاليين في الوقت الذي لم تكن فيه سفنهم تجرؤ على الاقتراب من الساحل العربي للخليج[2] خوفاً من وقوعها في شرك الأسطول البرتغالي المتحفز دائماً لمواجهتها والإغارة عليها.

ومهما يكن من أمر فقد تحسنت العلاقات الانكليزية ـ البرتغالية بعد عقد الصلح بين الانكليز والبرتغاليين في عام ١٦٣٥. وقد تمت المحافظة على السلام بين الدولتين في البحار الشرقية ثم استخدمت بعض السفن الانكليزية ميناء كونغ البرتغالي في الخليج العربي في عام ١٦٤٠ في طريقها إلى البصرة لإصلاحها أو للحصول على بعض الملاحين[3] مما يدل على استمرار تحسن العلاقات الانكليزية ـ البرتغالية. وقد ظلت السفن والمنتجات البرتغالية تصل إلى موانئ الخليج العربي حتى عام ١٧٢١، وكذلك ظلت الوكالة البرتغالية في كونغ تستقبل السفن التجارية القادمة من الهند.

---

(١) Captain John Weddell To East India Company, Cape Comorin. April 27, 1625, and Henry Hawley, President, Rich. Bix, and Geo. Muschampe To Harris. (At Jambi). Batavia. June 10, 1626. (Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624) p.61, 202.

(٢) Thos. Barker, John Purifey, Robt. Loftus, and Geo, Smith To The East India Company. (Colonial Papers. Vol.III). pp.211-212.

(٣) Sykes, P.M. A History Of Persia. Vol. II (London 1915) p. 280, Agent Merry And Other Factors At Ispahan To The Company. June 5, 1640. (The English Factories In India Vol. VI. 1637-1641. By William Foster. Oxford 1912) pp. 243-244.

الصراع الانكليزي ـ الهولندي

بدأ الانكليز تجارتهم المباشرة مع الشرق الأقصى بالاتفاق مع الهولنديين الذين سمحوا لهم بالوصول إلى جنوب الصين، ثم عقدت شركة الهند الشرقية الانكليزية وشركة الهند الشرقية الهولندية معاهدة في عام ١٦١٩ تضمنت إرغام السفن التجارية الصينية على قصر معاملاتها التجارية على الشركتين الانكليزية والهولندية وتشكيل قوة عسكرية مشتركة لاحتكار التجارة مع الصين. ولكن الهولنديين لم يتقيدوا بالمعاهدة وسعوا لاحتكار التجارة الشرقية لوحدهم، فقرر الانكليز التفاهم مع البرتغاليين وحصلوا على موافقتهم بالاتصال مع الصين[1].

أما في منطقة الخليج العربي فقد تميز ظهور الهولنديين فيها بتقديم المساعدة العسكرية للانكليز والفرس ضد البرتغاليين. وكانت بداية وصول السفن الهولندية إلى مياه الخليج العربي في عام ١٦٢٣ عندما وصلت إلى هرمز سفينتان هولنديتان محملتان بالبضائع الشرقية والأوربية وحملت أيضاً كمية كبيرة من الأموال النقدية لشراء الحرير الفارسي. وقد أصاب الهولنديون منذ البداية حظاً وافراً من تجارة الحرير الغنية[2].

وبعد استيلاء القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة على هرمز في عام ١٦٢٢ استقر ممثلو الشركة الانكليزية في جمبرون «بندر عباس» لتحويل الشاه

---

(١) بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٢) Postscript. Jan. 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624) p.165.

عباس الأول تجارة هرمز إليها. وكان الشاه عباس قد سمح لوكلاء الشركة الانكليزية بالإقامة في بيتين في جمبرون. ولكن الانكليز سرعان ما اكتشفوا بعد النجاح الذي حققوه ضد البرتغاليين أن عليهم أن يتغلبوا على الهولنديين كمنافس تجاري جديد لهم في منطقة الخليج العربي[1]. ولشدة المنافسة بين الشركتين الهولندية والانكليزية فقد طلبت الأخيرة من ملك انكلترا تقديم المساعدة العسكرية لها للمحافظة على ممتلكاتها وثرواتها في الشرق والتي قدرتها بـ ٢٤ سفينة وبضائع قدرت قيمتها بـ ٨٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني ولتمكينها من الوقوف في وجه منافسة الشركة الهولندية الشديدة التي خططت للاستيلاء على سفنها وبضائعها في جزر الهند الشرقية[2].

وعلى الرغم من ذلك حرصت الشركة الانكليزية في البداية على إقامة علاقات حسنة مع الشركة الهولندية. فعندما ترك حوالي خمسة عشر بحاراً هولندياً سفنهم في عام ١٦٢٨ والتجأوا إلى السفن الانكليزية وجدت الشركة أن مصلحتها تقضي بإعادتهم إلى الأسطول الهولندي حتى لا يتمكنوا من الالتحاق بالبرتغاليين[3] - عدوهم المشترك - من ناحية وحتى لا تزيد في تدهور العلاقات مع الهولنديين من ناحية أخرى. ولكن المنافسة الهولندية ضد الانكليز ازدادت شدتها في عام ١٦٣٠ عندما رفض الهولنديون دفع الرسوم الجمركية عن بضائعهم في جمبرون - وكان الشاه عباس قد منح الشركة الانكليزية في عام ١٦٢٥ نصف العائدات الجمركية في جمبرون بدلاً من نفس الحقوق التي كانت لها في هرمز - وفي المقابل تمسك الانكليز بما يرونه حقاً لهم ورفضوا التخلي عنه.

ورد الهولنديون على ذلك باتباع سياسة تجارية منافسة ألحقت الضرر بالمصالح التجارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي. فقد تعامل الهولنديون

---

(١) Hawley, Donald. Op.Cit. p.75; Saleh, Zaki. Op. Cit. p.39.

(٢) Petition Of The East India Company To The King. July 10, 1624. (Colonial Papers. Vol. III) p.302.

(٣) President Kerridge, Richard Wylde, John Skibbow And Others At Surat To The Company. Jan. 4, 1628. (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629, By William Foster. Oxford 1909) p.191,

مع الشاه الفارسي مباشرة وعرضوا عليه أسعاراً أعلى للحرير الفارسي من الأسعار التي تقدم بها الانكليز، وقد رحب الشاه بالمنافسة الانكليزية ـ الهولندية وحقق أرباحاً جيدة من بيع حرير بلاده للشركة الهولندية[١] (١٦٤٣ ـ ١٦٤٤) ولم يكتف الهولنديون بذلك بل سعوا لاحتكار التجارة الشرقية لأنفسهم فألقوا القبض على عدد من السفن الانكليزية وأزعجوا الانكليز في مختلف المراكز التجارية في الشرق مما أضعف التجارة الانكليزية في فارس واضطرها إلى ترك فارس والتوجه إلى ميناء البصرة العثماني، ولكن الهولنديين سرعان ما لحقوا بالانكليز ونجحوا في تجريدهم من تجارتهم فيها في غضون عامين[٢]. واضطرت الشركة الانكليزية مرة أخرى لاصدار تعليماتها إلى وكيلها في البصرة للانتقال إلى مكان أكثر أمناً.

ولما كان الخليج العربي قد وقع في قبضة الشركة الهولندية فقد اقترحت الشركة الانكليزية على وكلائها في فارس إرسال الحرير الفارسي الذي يشترونه إلى أوربا عن طريق أصفهان ومنها إلى حلب لأن السيطرة الهولندية كانت طاغية ولا يمكن للانكليز منافستها إلا باستخدام الأساليب الهولندية المتمثلة في حشد الأساطيل التجارية والحربية وشحنات البضائع الكبيرة[٣] في موانئ الخليج العربي، وهذا ما لا يقوى الانكليز عليه في منتصف القرن السابع عشر لا سيما بعد أن نجح الهولنديون في إبرام العقود التجارية مع الشاه لشراء الحرير الفارسي في عام ١٦٥١. وكان الانكليز يرغبون في المساواة مع الهولنديين ليس في مجالات الفوائد والمنافع الاقتصادية فحسب بل للمحافظة على سمعتهم وكرامتهم في منطقة الخليج العربي، ولأن استمرار المنافسة الهولندية الشديدة سيؤثر على حصتهم في العائدات الجمركية، ولأن السلطات

(١) Cosultations held While Captain Weddell's fleet Was At Gombroon. Jan.1 — Feb. 10, 1625. (The English Factories In India. Vol. III.) p. 42; President Breton, Thomas Merry And Richard Fitch At Swally Marine To The Company. Nov. 28, 1644. (The English Factories In India Vol. VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913) p.199, Selections From State Papers, Bombay,. Op. Cit. p.7

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٧٨.

(٣) Danvers, F.C. Op.Cit. p.24; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.8.

الفارسية لا تدفع شيئاً من نصيب الشركة الانكليزية إلا بدافع من الخوف في بعض الأحيان[1]. ومهما يكن من أمر فقد ظل الهولنديون في وضع قوي يمكنهم من شراء الكميات التي يريدونها من الحرير الفارسي لاتباعهم أسلوب المضاربة التجارية واستعدادهم لدفع أسعار أعلى بمعدل عشرة تومانات للحمل الواحد من الحرير ـ رغم عدم جودته ـ زيادة عن السعر الدارج.

وقد لحقت بالشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي خسائر جسيمة نتيجة للحروب الانكليزية ـ الهولندية في أوربا والمياه الشرقية والتي نشبت في عام ١٦٥٢. وقد استمرت الحرب الأولى من ١٦٥٢ إلى ١٦٥٤ وتمكن الأسطول الهولندي من الاستيلاء على عدة سفن انكليزية في الخليج العربي حيث فقدت الشركة الانكليزية خلال الحروب الانكليزية ـ الهولندية أكثر من ست سفن أخذت أو أغرقت أثناء رحلاتها من فارس إلى سورات[2]. وعلى الرغم من بعض الانتصارات التي حققها الأسطول الانكليزي في البحار الشرقية فقد استمر التفوق الهولندي في مجال القوة والتجارة في منطقة الخليج العربي، مما مكّن الهولنديين من التحكم والسيطرة على الأسواق الفارسية. وتوقفت التجارة الانكليزية عملياً، فقد نقص عدد الوكلاء الانكليز في فارس إلى الحد الأدنى لتأمين الاستمرار في إرسال الحرير الفارسي الخام إلى انكلترا.

ولكن بعد أن تم عقد الصلح بعد الحرب الأولى في عام ١٦٥٤ خف العداء مؤقتاً بين الجانبين ولفترة قصيرة. فقد اندلعت الحرب الثانية (١٦٥٥ ـ ١٦٥٧) والتي أعقبها صلح استمر نافذاً حتى عام ١٦٧٢ وتمكنت الشركتان الانكليزية والهولندية من الاتفاق في عام ١٦٦٨ على حرية التجارة مع جزر

---

(١) John Lewis And Robert Wychoeley At Ispahan To The Company. Dec. 25, 1651. (The English Factories In India. Vol. XI.1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) pp. 78-79.

وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٧٨.

(٢) Messrs. Spiller And Young At Ispahan To The Company Sept. 8, 1654. (The English Factories In India Vol. XI 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915). p.288; Cotton, Sir Evan. East Indiamen. Edited by Sir Charles Fawcett. London ?) pp.150-151.

الهند الشرقية غير المحتلة من قبلهما والامتناع عن تقديم أي مساعدة عسكرية لطرف ثالث يكون في حالة حرب مع أي منهما[1]، كما حاولت الشركة الانكليزية مواصلة علاقاتها التجارية مع فارس، فقدمت في عام ١٦٦٨ أيضاً هدايا إلى الشاه تضمنت أقمشة صوفية فائقة الجودة أمل الانكليز منها منافسة البضائع الهولندية المماثلة لها.

وهكذا أدت الحروب الانكليزية ـ الهولندية إلى إضعاف التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي لمدة ثلاثين عاماً[2] وحتى عام ١٦٨٢. ثم تحسن مركز الشركة الانكليزية في الخليج العربي في العقد الأخير من القرن السابع عشر بسبب الأحداث التي جرت في أوربا وما نتج عنها من تحالف هولندي ـ انكليزي ضد فرنسا ولكن على حساب المصالح الهولندية في المياه الشرقية. وبينما فقد الهولنديون سيطرتهم على منطقة الخليج العربي رغم استمرارهم في مواصلة دورهم التجاري فيه تمكن الانكليز من توطيد مركزهم التجاري بالتعاون مع السلطات الفارسية.

(١) Hamilton, C.J. The Trade Relations Between England And India. 1600-1896 (Delhi 1975) p.30; Proposals For The Amendment Of The Treaty Marine. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1668-1670. By Ethel Bruce Sainsbury Oxford 1929) pp. 136-137. Danvers. F.C. Op.Cit. pp.23-24.

(٢) Ferrier, R. The Armenians And The East India Company In Persia In The Seventeeth And Early Eighteenth Centuries. (The Economic History Review pp. 38-70. Second Series. Vol. XXVI. No. 1. February 1973) p.48.

الفصل الثالث

شركة الهند الشرقية الانكليزية

مقدمة

كان لقرار الهولنديين في عام ١٥٩٩ رفع سعر الفلفل من ثلاثة شلنات للرطل الواحد (١٢ أونصة) إلى ثمانية شلنات والذي أثار الذعر في الأوساط التجارية الانكليزية، ونَشْرِ رحلة رالف فيتش في عام ١٥٩٨ تأثير مباشر[1] في قيام تجار لندن بتأسيس شركة الهند الشرقية في ٢٢ أيلول ١٥٩٩ باسم «اتحاد التجار المغامرين للتجارة مع الشرق» برأسمال قدره ٣٠,٠٠٠ جنيه استرليني. وتألفت لجنة إدارة الشركة من أربعة وعشرين عضواً. وفي ٣١ كانون الأول ١٦٠٠ م أصدرت الملكة اليزابت الأولى (١٥٥٨ ـ ١٦٠٣) مرسوماً بمنح الشركة حرية التجارة والاحتكار في الهند والمناطق المجاورة لها لمدة خمسة عشر عاماً تخضع بعدها لتقدير التاج الانكليزي. وكانت منطقة الخليج العربي واقعة في دائرة احتكارها، كما حظر المرسوم منح الامتيازات للآخرين في الشرق إلا بموافقة الشركة الانكليزية مع إعفاء إيراداتها من الجمارك عن رحلاتها الأربع الأولى إلى الشرق والتصريح لها بإخراج مبلغ ثلاثين ألف جنيه نقداً أو بضائع من انكلترا في كل عام[2] لتغطية نفقات مشترياتها من السلع الشرقية.

(١) Fraser, Lovat. Some Problems Of The Persian Gulf. (Preceeding of The Central Asian Society. January 8, 1908. pp. 1-23) p.5; Hawley, Donald. The Trucial States (London 1970) pp. 73-74.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وامارات الساحل العماني (بغداد ١٩٧٨) ص ٤٧ ـ ٤٨.

وكان هدف الشركة الانكليزية الأساسي الحصول على جزء من ثروات الشرق وتوفير التوابل والحرير والمنسوجات الشرقية للأسواق الانكليزية من البضائع الشرقية مباشرة[1]. وخلال العقد الأول من تأسيسها أرسلت إلى جزر الهند الشرقية عن طريق رأس الرجاء الصالح مجموعة من السفن التجارية في كل عام ونجحت في إقامة محطة تجارية لها في سورات على ساحل الهند الغربي في عام ١٦٠٨.

وقد بدأت الرحلة البحرية الأولى للشركة الانكليزية بأربع سفن تجارية إلى الهند عبر رأس الرجاء الصالح في ٢٤ كانون الثاني ١٦٠١. وتمكنت من بيع الأقمشة الصوفية الانكليزية لحكام المغول في الهند ووصلت سومطرة وعادت إلى انكلترا بعد عامين ونصف في نيسان ١٦٠٣ ومعها كمية كبيرة من التوابل بلغت ١,٠٣٠,٠٠٠ رطل من الفلفل وحققت الشركة الانكليزية ربحاً صافياً بلغ ٩٥٪. وكان هدف الشركة الانكليزية من تجارتها الشرقية الحصول على أعلى الأسعار للتوابل التي تبيعها[2].

ولكن الأقمشة الصوفية لم تجد رواجاً في الهند لارتفاع الحرارة فيها وفقر سكانها وارتفاع ثمن الأقمشة الصوفية الانكليزية بمقارنتها مع الأقمشة الأخرى. ولما كانت الشركة الانكليزية حريصة على الاحتفاظ بالتجارة الشرقية فقد عملت على استمالة الرأي العام الانكليزي بمختلف الوسائل الممكنة، فعملت منذ البداية على زيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية على الرغم من صعوبة تسويقها على نطاق واسع في الأقطار الشرقية، وكانت صناعة الأقمشة الصوفية الانكليزية تحتل مكانة رفيعة في الصناعة الانكليزية منذ القرن الخامس عشر حيث ارتبطت بها قطاعات واسعة من المجتمع الانكليزي شملت المشتغلين بتربية الماشية والعاملين في صناعة الغزل والنسيج

---

(١) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الهند خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وأثرها في الخليج العربي. (مجلة الخليج العربي، العدد ٨ سنة ١٩٧٧) ص ١٧ ـ ١٨.

(٢) Roelofs Z, Meilink. The Earliest Relations Between Persia And Netherlands. (Persica No.VI. 1972-1974. pp. 1-50) p.44.

والصباغة[١]. ولذلك اهتمت الشركة الانكليزية بالبحث عن أسواق أخرى غير الهند لصادراتها من الأقمشة الصوفية. وفي هذه الأثناء وصل ريتشارد ستيل إلى سورات قادماً من حلب عبر الأراضي الفارسية في عام ١٦١٤.

أدرك ريتشارد ستيل وهو تاجر انكليزي من بريستول[٢] حاجة الأسواق الفارسية للأصواف الانكليزية بسبب برودة مناخها لا سيما في مناطقها الشمالية ولوجود نسبة لا بأس بها من السكان بحاجة إليها وتقدر على شرائها[٣]. وكانت الشركة الروسية والشركة التركية «الليفانت» والتي سبقت الشركة الانكليزية إلى تلك الأسواق قد مهدت الطريق لتجارة الأصواف الانكليزية ووفرت زبائن كثيرين لها. وكذلك لاحظ ستيل رخص أسعار الحرير في فارس بنسبة ٥٠٪ بمقارنتها بأسعاره في حلب كما يمكن للانكليز مقايضة الحرير الفارسي بالصوف الانكليزي.

وعرض ستيل على «والدورث» مسؤول الوكالة الانكليزية في سورات ما استطاع جمعه من معلومات تجارية خلال رحلته عبر الأراضي الفارسية[٤] كما عرض عليه فكرة بيع كميات الأقمشة الصوفية التي عجزت الشركة الانكليزية عن تسويقها في الهند إلى فارس. وربما تأثر والدورث أيضاً بما نقله إليه «كيردج» أحد موظفي الشركة الانكليزية عن رغبة روبرت شيرلي في دعوة الهولنديين إلى فارس إذا لم يقبل الانكليز بالتجارة معها.

ورحبت وكالة الشركة الانكليزية في سورات بالفكرة وأرسلت ريتشارد ستيل ومعه جون كروثر أحد موظفي الشركة الانكليزية في الهند لدراسة وضع

---

(١) عبد الأمير محمد أمين: مرجع سبق ذكره، ص ١٨ - ١٩.

(٢) Ahmedabad. Dec. 20, 1614. (Colonial Papers East Indies. Vol. I. 1513-1616). p.334.

(٣) Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safvi Dynasty And The Afghan Occupation Of Persia. (Cambridge 1958). p.360.

(٤) Surat. Aug. 19, 1614. (Colonial Papers, East Indies. Vol. I) pp. 316-317; Sykes, P.M. A History Of Persia. Vol. II (London 1915) pp.273-274.

الأسواق الفارسية ومعرفة مدى احتياجها للبضائع الانكليزية والتأكد من أهمية التجارة معها ومعرفة الموانئ المناسبة لشحن البضائع وتفريغها وأعطتهما مبلغ مئة وخمسين جنيهاً استرلينياً[1] وقام ستيل وكروثر بالسفر في ٢٧ كانون الأول ١٦١٤ إلى أصفهان براً عن طريق أجمير لتحقيق هدفين:

أ - جمع المزيد من المعلومات عن التجارة الفارسية.
ب الحصول على فرمان من الشاه عباس الأول بتأمين دخول السفن والبضائع الانكليزية إلى الموانئ الفارسية التي تصل إليها والمطالبة بترتيبات خاصة في ميناء جاسك[2].

وقامت البعثة الانكليزية بدراسة الساحل الفارسي على الخليج العربي وقدمت تقريراً عن ميناء جاسك ووصفته بأنه أفضل مكان للتجارة الانكليزية في فارس لوقوعه خارج مضيق هرمز الذي يسيطر عليه البرتغاليون ولسهولة رسو السفن فيه بمساعدة مرشدي الميناء[3] ولوقـوعه إلى الشرق من هـرمز ولقربه منها حيث يبعد عنها حوالي ٩٠ ميلاً انكليزياً.

واجتمع ستيل وكروثر في أصفهان بالسير روبرت شيرلي في مطلع عام ١٦١٥ وكان عائداً لتوه من رحلة له في أوربا من أجل مساعدتهم وتسهيل مهمتهم في الحصول على فرمان من الشاه يسمح للانكليز بالإقامة والتجارة في كل أنحاء فارس التي يمكنهم الوصول إليها[4].

ونجح ستيل وكروثر في مقابلة الشاه عباس الذي أحسن استقبالهما، وفي

---

(١) Danvers, F.C. Report On The India Office Records Relating To Persia And The Persian Gulf. (London ?) p.16.

(٢) John Crouther To The Governor And Committees of The East India Company. Ahmedabad. Dec. 26, 1614. (Colonial Papers. Vol. I) pp.359-360.
وانظر لوريمر، ج.ج: دليل الخليج - القسم التاريخي - الدوحة ١٩٧٦. ج ١ ص ٢٧.

(٣) Thomas Mitford To The East India Company, March 25, 1615 (Letters Received By The East India Company. Vol.III. 1615. Edited by William Foster. London 1899) p.84, 177; Sykes, P.M. Op.Cit. p.274.

(٤) Ahmedabad. Jan 2, 1615, (Colonial Papers. Vol. I) pp. 364-365.

استصدار فرمان منه في شباط ١٦١٦ يأمر فيه حكام الموانئ والمدن الساحلية الفارسية بتقديم المعونة لكل سفينة انكليزية تصل إليها. وتعهد الشاه عباس بحسن معاملة رعاياه للانكليز مما يدل على حرص الشاه عباس على كسب صداقة الانكليز في صراعه ضد البرتغاليين في الخليج العربي. ثم غادرت سورات في ١ كانون الأول ١٦١٦ بعثة انكليزية أخرى برئاسة إدوارد كونوك على ظهر سفينة الشركة الانكليزية جيمس يحدوها الأمل بإيجاد سوق للأقمشة الصوفية الانكليزية(١). وعلى الرغم من محاولة البرتغاليين اعتراضها فقد نجحت السفينة في توزيع حمولتها في جاسك، ثم توجه كونوك بعد ذلك براً إلى شيراز ومنها إلى أصفهان حاملاً معه رسالة من ملك انكلترا جيمس الأول يطلب فيها صداقة الشاه للانكليز وحرية التجارة في بلاده وهدايا مناسبة للشاه عباس. وتمت المقابلة مع الشاه على الحدود الفارسية العثمانية وكانت ودية(٢) وحصل كونوك من الشاه عباس على فرمان آخر منح فيه الشركة الانكليزية ما يلي:

أ - حرية التجارة في أنحاء فارس، وإقامة وكالات تجارية انكليزية في أصفهان وشيراز وتقديم ميناء جاسك أو سواه من الموانئ التي يطلبها الانكليز.

ب - إرسال سفير انكليزي للإقامة في أصفهان. ويتمتع بسلطة تعيين الوكلاء والمقيمين بالطريقة التي يراها مناسبة ويطبق قوانين بلاده على الرعايا الانكليز لحل المنازعات التي يكونون طرفاً فيها.

جـ - وعد الشاه عباس الشركة الانكليزية بتزويدها بكمية تتراوح بين ألف

---

(١) Bennet, Thomas Jewell. The Past And Present Connection of England With The Persian Gulf. (Journal Of The Society Of Arts. Vol. L. June 13, 1902. pp. 634-652) pp. 637-639; Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967). pp. 4-5; The Prospects Of British Trade In Mesopotamia And The Persian Gulf. Confidential Papers (Delhi 1917) p.1.

(٢) Edw. Connock, Wm. Tracy, And Wm. Robins To The East India Company. (Colonial Papers. Vol. II) p. 45.

وثلاثة آلاف بالة من الحرير الفارسي الخام سنوياً لتصديرها من جاسك بدون دفع رسوم جمركية عليها، وبأسعار معتدلة، على أن يدفع ثلث ثمنها نقداً، ومقايضة الباقي بالبضائع الانكليزية والشرقية[1]. وبذلك حصل كونوك على ضمان من الشاه للامتيازات السابقة.

واتخذت الشركة الانكليزية احتياطات أمنية في جاسك. ففي عام ١٦١٩ أصدرت تعليماتها بشحن البضائع الانكليزية من جاسك لتكون في مأمن من الهجمات البرتغالية. كذلك طلبت من سفنها التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها[2] عدم البقاء مدة طويلة في ميناء جاسك خوفاً من استيلاء البرتغاليين عليها.

وكان توماس رو - سفير انكلترا لدى بلاط المغول - قد اعترض في البداية على تجارة الشركة الانكليزية مع فارس لاعتقاده بأهمية التفاهم مع اسبانيا لتأمين سلامة التجارة الانكليزية في البحار الشرقية ولوجود مفاوضات بين اسبانيا وفارس على أساس تعهد اسبانيا بشراء جميع الصادرات الفارسية وتزويد فارس بما تحتاج إليه من البضائع الشرقية مع تخصيص ميناء لاسبانيا على الساحل الفارسي. وإذا نجحت المفاوضات فإن ذلك سوف يضعف كثيراً دور التجارة الانكليزية مع فارس كما أن ميناء جاسك بعيد عن المراكز التجارية الرئيسية في فارس وفي وسع القوات البرتغالية الإغارة على السفن الانكليزية مما سيحمل الشركة أعباء مالية لحماية سفنها من الخطر البرتغالي. ولذلك حاول توماس رو بدون جدوى إقناع وكالة الشركة في سورات بوجهة نظره[3]. بينما كانت وكالة الشركة الانكليزية في سورات تعتقد بأهمية التحالف مع الشاه عباس الأول لطرد البرتغاليين وأن التجارة مع فارس ليست من اختصاص توماس رو وأنها تريد الاستفادة من غياب روبرت شيرلي عن

(١) Ibid. p. 46.

(٢) Instructions To Captain Bickley For A Voyage To Persia. Nov. 3?, 1619. (The English Factories In India. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) p.133.

(٣) صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، (القاهرة، ١٩٧٤) ص ٢٨ - ٢٩.

فارس «باعتباره عدواً كثير الشغب أو صديقاً باهظ النفقات». كذلك رأت وكالة سورات أن استمرار الحرب الفارسية العثمانية وما نتج عنها من عرقلة للمواصلات مع أوربا سيؤدي إلى توفر كميات الحرير الفارسي وإلى ندرة الأقمشة الصوفية وغيرها في الأسواق الفارسية. وكان توماس رو قد بعث إلى الشاه عباس الأول رسالة بواسطة الصائغ الانكليزي «وليم روبنسن» شكر فيها الشاه على الفرمان الذي سبق ومنحه لوكلاء الشركة الانكليزية كما تضمنت مطالب الانكليز في فارس وهي[1]:

أ ـ منح الانكليز ميناء على الساحل الفارسي يكون لهم أو لكل الدول دون تمييز ليتمكنوا من تفريغ بضائعهم وفق الامتيازات التي ستمنح لهم.

ب ـ تثبيت أسعار تجارة الصادرات والواردات التي يمكن تبادلها بين الانكليز والفرس.

جـ ـ إقامة سوق رئيسي على الساحل الفارسي أو بالقرب منه لنقل الحرير الفارسي إليه لاعتبارات تجارية.

وقد اقترح توماس رو على الحكومة الانكليزية قبل مغادرة السفينة الانكليزية «جيمس» سورات في ١ كانون الأول ١٦١٦ إلى ميناء جاسك توجيه إنذار إلى اسبانيا بأن انكلترا تعتبر أي محاولة من جانب اسبانيا لمنع الدول الأخرى من التجارة في الخليج العربي عملاً معادياً وسترد عليه بالقوة وسيكون مبرراً لإعلان الحرب ضدها.

ومنذ بداية الاتصال التجاري مع فارس اندفعت الشركة الانكليزية بحماس بالغ في تصدير الأقمشة الصوفية إلى منطقة الخليج العربي على الرغم من أن حاجة الأسواق الفارسية من الأقمشة الانكليزية لم تتجاوز ٤٠٠ ـ ٥٠٠ ثوب سنوياً، وتراجع الشاه عباس في عام ١٦١٨ عن وضع سعر محدد للحرير الفارسي بعد أن كان قد وعد كونوك في آب ١٦١٧ أن في وسع

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٢ ـ ٣٤.

الانكليز الحصول على الحرير الفارسي على ظهر السفن في جاسك خالياً من الرسوم الجمركية وغيرها بسعر ٦ شلنات و٦ بنسات للرطل الانكليزي (الرطل = ١٦ أونصة) في مقابل حصوله على كميات كافية من القصدير والأقمشة الصوفية والسكر والتوابل وغيرها من السلع التجارية غير المتوفرة في فارس(١).

ومهما يكن من أمر فقد قرر الشاه عباس شراء كميات البضائع التي تحضرها الشركة الانكليزية مهما بلغت وتسليم الحرير لها بالسعر الجاري في فارس ورفض توقيع أي عقد مع وكلائها(٢). كما اعترض البرتغاليون في البداية محاولات الشركة الانكليزية للتجارة مع فارس عبر الخليج العربي. فقد أدى ظهور الانكليز في الخليج العربي إلى حرب بين سفن الشركة الانكليزية والبرتغالية ومنذ أن أصبحت جاسك مركزاً للنشاط التجاري الانكليزي في فارس أضحت السفن الانكليزية هدفاً للقوة البحرية البرتغالية في الخليج العربي على الرغم من حالة السلام بين انكلترا والبرتغال في أوربا(٣). ففي عام ١٦٢٠ قامت سفينتان تجاريتان للشركة برحلة تجارية من سورات إلى جاسك ولما وجدتا الأسطول البرتغالي يغلق ميناء جاسك عادتا إلى سورات مرة أخرى حيث انضمت إليهما سفينتان أخريان وتوجهت جميعها إلى جاسك، وعندئذ اضطر الأسطول البرتغالي إلى الانسحاب من مدخل الميناء والعودة إلى هرمز استعداداً للمعركة الحاسمة مع الأسطول الانكليزي.

وبعد تأسيس الشركة الانكليزية وكالتها في جاسك أقامت وكالة لها في جمبرون «بندر عباس» في عام ١٦٢٢ وأخرى في أصفهان وثالثة في شيراز. ثم توطدت علاقة الشركة الانكليزية بالخليج العربي في عام ١٦٢٢ عندما تمكنت القوات الفارسية ـ الانكليزية ـ المشتركة من طرد البرتغاليين من هرمز حيث

---

(١) Edw. Connock, Wm. Tracy, And Wm. Robins To The East India Company. (Colonial Papers. Vol II) pp. 45-46.

(٢) Colonial Papers. Vol.II. Year 1618. p.158, 174.

(٣) Stiffe. A.W. The Island Of Hormuz (The Geographical Magazine. April 1894. Vol. I) p.15; Boxer, C.R. (Editor) Commentaries Of Ruy Freyre De Andrada. (Gt. Brit. 1930). pp. XXIII-XXVI.

حققت الشركـة الانكليزيـة مكاسب مهمـة من طردهم يمكن إجمـالهـا فيـما يلي[1]:

أ ـ لم يكن في وسع الأسطول الانكليزي قبل الاستيلاء على هرمز التصدي بنجاح للأسطول البرتغالي في الخليج العربي.

ب ـ كانت المصالح الانكليزية في منطقة الخليج العربي عرضة للإغارة عليها من قبل السلطات البرتغالية في هـرمز حيث لم يكن في وسـع الشركة الانكليزية منافسة المركز البرتغالي المتفوق فيها.

جـ ـ حصلت الشركة الانكليزية بعد سقوط هرمز على امتيازات وتسهيلات تجارية إضافية من الشاه عباس الأول.

د ـ وجود بعض السفن الانكليزية الحربية التابعـة للشركة في ميـاه الخليج بصفة منتظمة للرد بسرعة على أي إجراء انتقـامي من البرتغـال. فقد أخذت الشركة الانكليزية على مسؤوليتها الاحتفاظ بسفينتين حربيتين في الخليج العربي بشكل دائم للدفاع عنه[2].

و ـ وبسقوط هرمز وهزيمة الأسطول البرتغالي في عام ١٦٢٥ أمام أسـطول انكليـزي ـ هولنـدي مشترك بـدأت نهاية التفـوق البرتغـالي في الخليج العربي.

كما قررت وكالة الشركة الانكليزية في سورات في عام ١٦٢٨ إرسال أسطول من خمس سفن إلى الخليج العربي للعمل ضد البرتغاليين، والسعي لإنعاش التجارة الانكليزية في فارس ومنطقة الخليج العربي، واتخذت إجراءات احتياطية لضمان إرسال السبائك الذهبية إلى الشرق بتوزيعها في حقائب على

---

(١) Ferrier, R.W. The Armenians And The East India Company In Persia In The Seventeenth And Early Eighteenth Centuries. (The Economic History Review. Second Series. Vol. XXVI No1. February 1973. pp. 38-70) pp. 38-40, 41, 48; Danvers, F.C. Op.Cit. pp. 17-18.

وانظر كذلك: بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، (القاهرة، ١٩٧٦؟) ج ١ ص ٤١٣ ـ ٤١٧.

(٢) Historical Section Of The Foreign Office, Persian Gulf. (London 1920) pp. 65-67.

معظم السفن الانكليزية زيادة في الحرص من خطر الاعتداء عليها أو الغرق[1]. كذلك حرصت الشركة الانكليزية في عام ١٦٣٠ على استمرار مركزها التجاري في فارس فالتمست من الملك شارل الأول أن يبعث برسالة إلى الشاه صفي يذكّره فيها بالعلاقات الانكليزية ـ الفارسية في عهد الشاه عباس، ويعرب فيها عن رغبته في استمرار الصداقة بين الانكليز والفرس لما فيه مصلحة الدولتين ويعترف بالحماية والعدل اللذين شمل بهما التجارة الانكليزية في بلاده[2]. ويطلب منه التصديق على الامتيازات التي سبق منحها للشركة الانكليزية في عهد الشاه عباس وأن يرسل الحرير والبضائع الفارسية الأخرى إلى الساحل للتخفيف من عناء السفر على التجار الانكليز[3].

ورد الشاه صفي على رسالة شارل الأول مؤكداً له استمرار العلاقات الودية وبأن موانئ فارس ستبقى مفتوحة دائماً أمام التجارة الانكليزية.

(١) Danvers, F.C. Op.Cit. p.20; Court Minutes Of The East India Company, March 7-12, 1627. (Colonial Papers. Vol.IV) p.330.

(٢) King Charles I. To Shah Suffie. Aug. 15, 1630. (Colonial Papers. Vol.V.) p.38.

(٣) King Charles I. To Shah Sefi I. Westminster. 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 63-64.

النشاط التجاري للشركة الانكليزية

عملت شركة الهند الشرقية الانكليزية منذ بداية تأسيسها في عام ١٦٠٠ على السيطرة على التجارة الشرقية، فقد حصلت على براءة ملكية تمنحها حق احتكار التجارة في المنطقة الواقعة إلى الشرق من رأس الرجاء الصالح وحق شراء الأراضي فيها. ولذلك عملت الشركة الانكليزية منذ البداية على مزاحمة شركة الهند الشرقية الهولندية في الساحل الغربي من الهند بعد أن أحكم الهولنديون قبضتهم على جزر الهند الشرقية، وتمكنت من تأسيس وكالة تجارية لها في سورات في عام ١٦١٢ ولكنها لم تتمكن من بيع الكميات الكبيرة من الأقمشة الصوفية التي أحضرتها من انكلترا[١] حيث لم تتجاوز الكمية التي باعتها ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ ثوب سنوياً؛ وحتى عام ١٦١٤ لم تجد الأقمشة الصوفية الانكليزية سوقاً رائجة في الهند حيث قام الحكام والأغنياء بشرائها في البداية لصنع الأغطية للفيلة أو لشراء الأسرجة للخيول ولكن الهنود لم يتخذوا منها لباساً لهم.

ولذلك بدأت الشركة الانكليزية بالتجارة مع فارس بعد مبادرة ريتشارد ستيل. ولكن البداية كانت متواضعة؛ فقد قدرت قيمة البضائع التي أرسلتها الشركة إلى ميناء جاسك في ٢٤ كانون الأول ١٦١٦ بمبلغ ٦٣٣٣ جنيهاً استرلينياً بالإضافة إلى مبلغ ٥٥٠ جنيهاً نقداً[٢]. واستغرقت الرحلة من

(١) Ahmedabad. Dec. 20, 1614 (Colonial Papers. Vol.I) p.334.

(٢) Surat, Aug. 19, 1614. (Colonial Papers. Vol.I) pp.316-317; Edward Connock And Thomas Barker To The East India Company. Jasques. Jan. 19, 1617. (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) pp.56-57.

سورات إلى جاسك ٢٦ يوماً وقامت القوارب الصغيرة بنقـل البضائـع من سفينة الشركة «جيمس» إلى الميناء، وكان حاكم موغستان الفارسي في استقبال البعثة التجارية الانكليزية للترحيب بها بناء على تعليمات الشاه عباس(١). وكان هدف الشركة الانكليزية منذ البداية تحقيق الربح التجاري ومقايضـة الأصواف الانكليزية بالحرير الفارسي ولكنها سرعان ما اكتشفت فقر جاسك وقلة سكانها وبعدها عن ساحل البحر وضعف قلعتها وخلوها من المـدفعية والمعدات الحربية للدفاع عنها؛ فقد كـانت جاسـك مأوى لصيـادي الأسماك الفقراء وكانت موغستان المجاورة لها تماثلها في فقرها.

ولذلك سـاورت وكلاء الشركـة الانكليزيـة الشكوك في مـدى نجاح التجارة مع فارس، وكان البديل تفريغ البضائع في هرمز ولكن خوف الانكليز من البرتغاليين منعهم من ذلك(٢).

ولما وجدت الشركـة الانكليزيـة صعوبـة تحقيق أرباح تجـارية إذا مـا استمرت في تفريغ بضائعها في جاسك ثم نقلها إلى أصفهان وغيرها من المدن الفارسية على حسابها أعربت عن رغبتها في أن يكون ميناء جاسك لها وحدها، وأن يقوم الشاه بحماية الميناء على نفقته الخاصة وطلبت من السلطات الفارسية الاتفاق على أسعار بيع البضائع الانكليزية، وأن يقوم الشاه بـإرسال الحـرير الفارسي سنوياً إلى جاسك لتتمكن من الحصول عليه بسعر أرخص مما يباع به في حلب. وكان الشاه قد تعهد بعدم تصدير حريره عبر الأراضي العثمانية وعدم بيعه للاسبان أو البرتغاليين(٣).

---

(١) Edward Connock And Thomas Barker To The East India Company. Jask. Jan. 9, 1617; Edward Connock And Thomas Barker To Thomas Kerridge, Chief Factor At Surat. Jask. Jan. 19, 1617. (Colonial Papers. Vol. II.) p.12.

(٢) Thos. Doughty To The East India Company. Surat. Feb. 26, 1617. (Colonial Papers. Vol. II) p.17.

(٣) قدرت المسافة بين جاسك وأصفهان بـ(٥٥٠ ـ ٥٦٠) ميلاً انكليزياً يمكن قطعها في ٤٥ يوماً بالجمال و٤٠ يوماً بالحمير و٣٦ يوماً بالبغال و٣٠ يوماً بالخيل. انظر: Edward Pettus To The East India Company. Moghistan. Nov. 30, 1618 (Colonial Papers. Vol. II) pp.214-215.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠.

وبذلك ضمنت الشركة الانكليزية استقرار تجارتها في فارس وإقامتها على أسس قوية وثابتة. ولكن الوضع الاقتصادي في فارس كان في ركود وكساد في عام ١٦١٨ بسبب الحروب المستمرة بين الصفويين والعثمانيين ووجدت التجارة صعوبة في المرور من فارس وإليها بسلام، ولذلك حمل التجار الهندوس الأقمشة الكتانية ومعظم أموالهم من الذهب والفضة لدى مغادرتهم فارس على الرغم من منع السلطات الفارسية لذلك بانزال عقوبة الموت بحق المخالفين من التجار[١]. وانتقل وكلاء الشركة الانكليزية من جاسك للإقامة في جمبرون «بندر عباس» حيث سمح لهم الشاه عباس في عام ١٦٢٣ بإشغال بيتين فيها ولكنه لم يسمح لهم بإنشاء بناء خاص بهم خوفاً من تحويل المكان إلى قلعة حصينة لهم[٢]. ووجدت الشركة الانكليزية في جمبرون مستقراً لها؛ فأقامت مركزاً تجارياً وحصلت من الشاه عباس على شراء الحرير الفارسي ونقله إلى أصفهان دون دفع رسوم في مقابل ذلك. ولكن الشاه أصر على موقفه الرافض لمحاولات الشركة الانكليزية تحصين هرمز أو أي من موانئ الخليج العربي.

وقد شهدت التجارة الانكليزية مع فارس بعض الازدهار في عام ١٦٢٣ وأرسلت الشركة الانكليزية كميات كبيرة ومتنوعة من بضائعها الانكليزية والشرقية حيث أمِلَت أن تحقق ربحاً جيداً من بيعها. وثار بين المسؤولين في الشركة الانكليزية جدل بشأن إرسال سفنها إلى الموانئ الفارسية ورغبتها في الحصول على هرمز من السلطات الفارسية بعد أن تم طرد البرتغاليين منها وضرورة شراء البضائع الثمينة نقداً بدلاً من مقايضتها[٣] وكذلك نقل الركاب وشحن البضائع بين الهند وهرمز والتي قدرت أن تحقق

(١) Sir Tos. Roe To William Robbin Agent To Sir Robert Sherley In Persia. Jan. 17, 1617 (Colonial Papers. Vol. II) p.10; Edward Pettus To The East India Company Ispahan. Sept. 27, 1618. (Colonial Papers. Vol.II) pp. 198-199.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق دكره، ج ١ ص ٥٢.

(٣) Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624. Oct. 1623. pp. 160-161, Nov. 1623. p.180.

لها ربحاً قدره ٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً واستخدام الطريق التجاري عبر مضيق هرمز بعد أن أرغمت وحشية الأساليب البرتغالية التجار الفرس على نقل بضائعهم عبر قندهار.

ثم عادت تجارة الشركة الانكليزية إلى الانكماش مرة أخرى في عام ١٦٢٤ فقد تغير الوضع الاقتصادي في فارس لصالح التجار الأرمن الذين سيطروا على تجارة الحرير الفارسي كما وصلت الشركة الهولندية إلى الخليج العربي وتغلغلت بضائعها في الأسواق الفارسية بعد أن عرضت مقايضة التوابل الشرقية بالحرير الفارسي. وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت الشركة الانكليزية من توطيد مركز وكالتها في أصفهان لبعض الوقت ولكن أعمالها التجارية كسدت في فارس لرفع سعر الحرير حتى كادت وكالاتها في فارس أن تغلق أبوابها[١] لقلة الطلب على الصوف الانكليزي حيث لم تتجاوز مبيعات الشركة ٢٠٠ ـ ٣٠٠ ثوب في ذلك العام ولخوف التجار المحليين من نقل بضائعهم في السفن الانكليزية خشية أعمال البرتغاليين الثأرية.

ولذلك رغب وكلاء الشركة الانكليزية في فارس أن يكون لشركتهم سفن مسلحة مزودة بالمدافع للدفاع عن تجارتهم ومصالحهم في الخليج العربي ضد الأعداء ولكن الشركة لم تتمكن من تلبية رغبتهم لأنها لا تستطيع تغطية نفقات تلك السفن والتي قدرت بألف جنيه استرليني سنوياً[٢].

ومهما يكن من أمر فقد فرغت الشركة الانكليزية من مرحلة الكشف والريادة في فارس وبدأت مرحلة التجارة الفعلية في هرمز وقشم وغيرها من

(١) Court Minutes Of The East India Company. Nov. 26, 1623 (Colonial Papers. Vol.III) p.183; Stevens, Roger. Robert Sherley; The Unanswered Questions. pp.115-125. (IRAN. Vol. XVII. 1979. Journal Of The British Institute Of Persian Studies). p.119.

وانظر، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٥٢.

(٢) Jno. Purefey And Jno. Hayward To The East India Company. Ispahan. April 18, 1624. (Colonial Papers. Vol. III) p.268. Mem. By Sir Robert Sherley. 1625. (Colonial Papers. Vol. IV) p.19.

سوانئ الخليج العربي مستفيدة من تجربتها وخبرتها السابقة لتوطيد تجارتها بكل الوسائل الممكنة.

ولكن الشاه عباس الأول رفض الاستجابة لطلبات الشركة الانكليزية حتى تصل سفنها وبضائعها إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» وعندئذ سيمنحها فرماناً يحررها من كل المضايقات في بلاده مع استمراره في رفض منحها تصريحاً ببناء بيت لها في جمبرون «بندر عباس». ورحب الشاه عباس بشراء الانكليز الحرير الفارسي في مقابل دفع ثلث القيمة نقداً والباقي مقايضة ببضائع أخرى واشترط على الانكليز استلام الحرير في المكان وبالسعر الذي يحدده بنفسه، وفوض أحد موظفيه للإشراف على شئون الشركة الانكليزية في فارس[١]. وبعد أن تمكنت الشركة الانكليزية من تدعيم مركز وكالتها في جمبرون على الساحل الفارسي سعت إلى توسيع عملياتها التجارية في جهات فارس الأخرى.

وحققت الشركة الانكليزية ربحاً في تجارة الأقمشة الصوفية الانكليزية بلغ ٦٠٪ في آب ١٦٢٤ بعد أن زاد استعمالها في فارس؛ فقد قرر الشاه عباس الأول توزيع ألفي ثوب من الصوف على جنوده البالغ عددهم حوالي ٣٥,٠٠٠ جندي[٢].

وعندما اشتدت منافسة الشركة التركية «الليفانت» في عام ١٦٢٥ وقفت السلطات الفارسية إلى جانب الشركة الانكليزية وفرضت ضرائب جديدة على الشركة التركية «الليفانت» وأرغمت تجارها على القدوم إلى الأسواق الفارسية لشراء الحرير منها عندما يكتب لهم وكلاؤهم في فارس، مما حصر عملها في

(١) William Bell, Thomas Barker, John Purefey, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. Oct. 15, 1623 and Jan. 9, 1624. (Colonial Papers. Vol. III) pp. 161-164.

(٢) Thos. Barker, Jno. Jurefey, Jno. Benthall, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. 28, 1624 (Colonial Papers. Vol. III) pp. 375-376; Savory, Roger. Iran Under The Safavids. (Gt. Brit. 1980). p.118.

نقل الحرير الفارسي، لذلك هددت بترك التجارة الفارسية[١] بينما كانت الشركة الانكليزية ترغب في إقامة وكالة دائمة لها في هرمز لتنشيط تجارتها في الخليج العربي.

وحققت مبيعات الشركة من الأصواف الانكليزية تقدماً ملحوظاً في عام ١٦٢٦ فقد باعت منها ٢٥٠٠ ثوب بالإضافة إلى ٨٠ طناً من القصدير والسلع الأخرى وكانت ترغب في مضاعفة الكميات السابقة ولكنها تذمرت من بعض الرسوم والهدايا التي كان عليها أن تقدمها إلى المسؤولين الفرس[٢].

ولكن الشركة الانكليزية التي أرسلت في عام ١٦٢٤ أحد موظفيها «كيريدج» من لندن إلى الخليج العربي لتثبيت تجارة الشركة في فارس أو تصفيتها لم تقرر حتى عام ١٦٢٧ ترك التجارة الفارسية بل رأت في إرسال ١٠٠ ـ ٢٠٠ ثوب صوف إلى جمبرون ما يحقق بعض الفائدة لها لا سيما بعد أن علمت بأن التجار الأرمن واليهود والفرس قد أحضروا معهم إلى ميناء جمبرون كميات كبيرة من الذهب لشراء البضائع الانكليزية من صوف وتوابل وغيرها[٣]. وكانت الحكومة الانكليزية قد وافقت على إخراج ٤٠,٠٠٠ جنيه استرليني في عام ١٦٢٧، ولما كان مثل هذا المبلغ لا يكفي لشحن سفن الشركة الانكليزية بالبضائع والعودة بها إلى انكلترا فقد قامت الشركة بإرسال أقمشة بقيمة عشرة آلاف جنيه لبيعها في فارس. وبذلك صممت على المضي

---

(١) Minutes of A General Court of the East India Company. March 30, 1625. (Colonial Papers. Vol.IV) pp.46-47.

(٢) Colonial Papers. Vol.III Year 1625. p.29; Memorandum Concerning The East India Company And The Persian Trade. April. 1626. (Colonial Papers. Vol IV) p.185.

(٣) عقد كيريدج معاهدة مع خان شيراز ولكن لا قيمة لها إذا لم يصدر الشاه الفرمان المؤكد لها. أنظر:

Consultations Held At Gombroon. Present. Thos. Kerridge, Thos Barker And John Benthall, Factors Of Long residence in Those Parts. Jan.1 — Feb. 10, 1625 (Colonial Papers. Vol.IV) pp.2-3, 289, 302.

قدماً في التجارة الفارسية على الرغم من الصعوبات الفنية التي اعترضت صناعة الأقمشة الانكليزية في مجال جودة الصباغة. وقدرت الشركة الانكليزية قيمة البضائع التي سيتم إرسالها من سورات إلى فارس في عام ١٦٢٨ بمبلغ يتراوح من ١٠٠,٠٠٠ إلى ١٢٠,٠٠٠ جنيه استرليني[١]. ولما كانت الشركة الانكليزية قد استنفدت كل مخزونها من البضائع في شراء ٨٠٠ بالة من الحرير ثم شحنها إلى انكلترا، فقد ناقشت فكرة استدعاء وكلائها في فارس لعدم وجود أمل بتزويدهم بالبضائع في ذلك العام.

وبعد أن تبين للشركة الانكليزية أنها قد حققت فائدة بحصولها على نصف جمارك جمبرون والامتيازات الأخرى التي منحها الشاه عباس لوكلائها والتي كلفتها ثمناً باهظاً قررت الاحتفاظ بوكلائها في فارس وزيادة رأسمالها بطرح اكتتاب جديد؛ وأكدت على ضرورة استمرار التجارة مع فارس[٢] وأنها إذا لم تتمكن من إرسال بضائعها إلى فارس في العام التالي فسوف تفقد مصالحها وعندئذ ستقع فريسة سهلة في قبضة الشركة الهولندية التي تمكنت من توطيد مركزها التجاري في الخليج العربي على نحو قوي ومؤثر. ولذلك استأنفت الشركة الانكليزية في كانون الأول ١٦٢٨ رحلاتها البحرية إلى الخليج العربي، وأصدرت تعليماتها بحسن معاملة المسافرين على سفنها من الجنسيات الأخرى. لكنها اشترطت استمرارها في شحن البضائع (القطن والتنباك والرز) إلى فارس بإنهاء الأعمال العدائية للمصالح الانكليزية في الخليج العربي[٣]. وكان الشاه عباس الأول في عام ١٦٢٨ يرغب في معرفة

(١) Minutes Of A General Court. May 30, 1628, (Colonial Papers. Vol.IV) pp. 506-508.

(٢) Court Minutes Of The East India Company. Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vol.IV) p.561 and see also Minutes Of A General Court. Dec. 15, 1628, (Colonial Papers. Vol.IV) p.585,

(٣) Minutes Of A Court of Mixed Committees Of The East India Company. Oct. 24. 1628 (Colonial Papers. Vol.IV). p.564; Commission And Instructions From The President And Council At Surat To Captain Richard Swanley For A Voyage To Gombroon In The Persian Gulf And Back. Dec. 12, 1628 (Colonial Papers. Vol.IV) p.583, Minutes Of A general Court. Dec. 15, 1628, Colonial Papers. Vol.IV) p.585.

مدى اهتمام الشركة الانكليزية باستمرار تجارتها مع فارس. وحتى يتأكد من ذلك رفض إرسال الحرير الفارسي إلى أبعد من شيراز؛ وربما كان الشاه عباس على استعداد لتقديم تسهيلات أكثر للشركة الانكليزية إذا ما تأكد له عملياً اهتمامها بتوسيع نطاق التبادل التجاري مع بلاده لأن تجربة الشاه عباس مع الانكليز لأكثر من عقد من السنين قد أثبتت له أن الشركة الانكليزية لا تترك أي ثروة لها في فارس؛ ولذلك لم يكن الشاه عباس يرغب في منح الانكليز امتيازات أخرى غير التي حصلوا عليها من قبل[1]. ونظراً لعنف المنافسة الهولندية والبرتغالية في الخليج العربي، فقد وضع الانكليز في عام ١٦٢٩ خطة لتحويل تجارة الحرير واحضارها إلى انكلترا عن طريق موسكو مما سيؤثر على الملاحة الانكليزية في المحيط الهندي.

وبعد وفاة الشاه عباس في عام ١٦٢٩ وغزو العثمانيين فارس تدهور الاقتصاد الفارسي. وأمِلَت الشركة الانكليزية أن يؤدي استقرار الأوضاع بعد الحرب إلى استئناف نشاطها الاقتصادي[2] في فارس. ولكنها واجهت مشكلة تجديد الامتيازات التي حصلت عليها من الشاه عباس لأن الامتيازات التي يمنحها الشاه الفارسي ينتهي أجلها بوفاته ولا بد من تجديدها من خلفه. وقد تمكنت الشركة الانكليزية من تجديد فرمان ١٦١٧ في تموز ١٦٢٩ في عهد الشاه صفي (١٦٢٩ - ١٦٤١) بعد أن تعهد الوكلاء الانكليز في أصفهان بشراء ما قيمته عشرون ألف تومان من الحرير الفارسي ثلثها نقداً والباقي مقايضة بالبضائع الانكليزية والشرقية، وبتقديم هدايا سنوية للشاه وحاشيته بقيمة ١٥٠٠ جنيه استرليني تقريباً[3].

---

(١) Court Minutes Of The East India Company. Jan. 2-30, 1629. (Colonial Papers. Vol.IV) p. 602, 617.

(٢) Court Minutes Of The East India Company. Feb. 6-11, 1629 (Colonial Papers. Vol.IV) pp. 620-621; Edward Heynes and William Gibson To The East India Company. Ispahan. Sept. 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 51-52.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ٢ ص ٦١.

كما تم الاتفاق بين وكلاء الشركة الانكليزية والشاه صفي في عام ١٦٣٠ على قيام الشركة بتصدير الأقمشة الصوفية الانكليزية الناعمة والخشنة والقصدير الانكليزي إلى فارس على أن تكون نوعية الأقمشة الصوفية جيدة وألوانها ثابتة(١). وسوف تجد الشركة الانكليزية صعوبة في تسويق الأقمشة الصوفية والقصدير في عام ١٦٣١ لحصول فارس على هذه السلع بواسطة التجار الأرمن وتجار حلب عبر أراضي الدولة العثمانية وروسيا بأسعار مساوية لأسعار الشركة الانكليزية على الرغم من رغبة السلطات الفارسية في توجيه التجارة الفارسية نحو موانئ الخليج العربي(٢). ولكن وضع الشركة الانكليزية تحسن في عامي ١٦٣٣ و١٦٣٤ وحققت تجارتها في أسواق فارس والخليج العربي رواجاً وربحاً جيداً رغم الرشاوى التي قدمتها الشركة الهولندية للمسؤولين الفرس. وتشجعت إدارة الشركة الانكليزية في لندن فأصدرت تعليماتها إلى وكلائها في الهند بتصدير الفلفل والبهارات بهدف تنشيط التجارة الانكليزية في الخليج العربي(٣). كذلك استفادت الشركة الانكليزية من توقف جميع العمليات التجارية بين فارس والدولة العثمانية بعد استعادة العثمانيين بغداد في عام ١٦٣٨.

ولكن ازدهار تجارة الشركة الانكليزية في فارس لم يستمر طويلاً حيث تدهورت تجارتها مرة أخرى في عام ١٦٤١ بسبب تقلب الأسواق التجارية الفارسية وصعوبة تحصيل ديون الشركة والهدايا التي كان على الشركة تقديمها للشاه في مقابل كل فرمان يصدره مما شكل عبئاً عليها واستهلك جزءاً من أرباحها. ثم تعرضت تجارة الشركة الانكليزية لمنافسة شديدة من تجار فارس

---

(١) Edward Heynes, And William Gibson To The East India Company. Ispahan. Sept. 1630. (Colonial Papers. Vol.V.) pp. 51-53; Translation Of The Contract And Firmans Obtained From The Emperor Of Persia By Agent Burt In 1630. Oct. 8 — Nov. 6, 1630. (Colonial Papers. Vol.V) p.63

(٢) Colonial Papers. Vol.V. 1630-1639 Year 1631. p.196.

(٣) Agent Wm. Gibson, Wm. Fall, And The Philip Dickson To The East India Company. Ispahan. Oct. 13, 1634. Colonial Papers. Vol.V) pp.576-578.

وحلب الذين باعوا البضائع الأوربية بأسعار رخيصة، ولإلغاء الشاه عباس الثاني (١٦٤١ ـ ١٦٦٦) إعفاء البضائع الانكليزية من الرسوم والجمارك بسبب تخفيض الشركة الانكليزية لكميات الحرير التي تعهدت بشرائها(١).

وقد أدركت وكالة الشركة الانكليزية في سورات أن جرأة الفرس على الانكليز إنما تعود إلى عدم قدرة الآخرين على شراء الحرير الفارسي، وإلى فقر تجارتهم في الخليج العربي، ولذلك فإن استخدام القوة هي الوسيلة الوحيدة(٢) لإرغام الفرس على احترام الامتيازات التجارية التي حصل الانكليز عليها من الشاه عباس الأول.

ولما كان من الصعوبة بمكان ممارسة القوة ضد فارس لتفوق القوة البحرية الهولندية في الخليج العربي، فقد أخذت الشركة الانكليزية بفكرة بيع مخزونها من البضائع في وكالاتها الفارسية وتحصيل ديونها والانسحاب نهائياً من التجارة الفارسية. كما أدرك الانكليز في عام ١٦٤٣ أن الفائدة التي يحصلون عليها من التجارة الفارسية قد أصبحت ضئيلة وأنهم لا يستطيعون الحصول على نصيب من الجمارك أكثر مما يسمح به الفرس بالإضافة إلى قلة الطلب على الأقمشة الصوفية(٣) وضعف مركز الشركة الانكليزية في جمبرون «بندر عباس»؛ ولذلك صدر القرار بنقل كل بضائع الشركة من جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة.

ويعود نشاط الشركة الانكليزية في البصرة وهي الميناء الرئيسي على الساحل العربي للخليج إلى عام ١٦٣٥ عندما أرسلت سفينة صغيرة إلى

---

(١) President Fremlen And Messrs. Breton And Wylde At Surat To The Company. Dec. 1639 (The English Factories In India. Vol. VI. 1637-1641. By William Foster. Oxford 1912) p.194, 213.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١، ص ٦١.

(٢) President Fremlen, Francis Breton, And Thomas Merry At Swally Marine To The Company. March 20, 1643 (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) p.98.

(٣) Ibid. p.98.

مينائها ولم يمنع المنافسون البرتغاليون في البصرة تلك البضائع الانكليزية المتواضعة[1]. وكانت السفن الانكليزية تتجه إلى البصرة بعد توقفها في جمبرون وكانت التجارة تنقل بعد ذلك من البصرة إلى حلب وغيرها من الموانئ العثمانية على البحر المتوسط. ومع حلول عام ١٦٤٠ تحولت معظم التجارة الانكليزية من جمبرون إلى البصرة[2]. فأقامت الشركة الانكليزية وكالة صغيرة لها في البصرة في عام ١٦٤٣ لتسويق بضائعها وقد تمتعت بفترة قصيرة من الازدهار قبل أن تلحق الشركة الهولندية بها.

ولكن قرار الشركة الانكليزية ترك جمبرون «بندر عباس» ظل معلقاً حتى عام ١٦٤٤ وأدى هبوط أسعار الحرير في فارس إلى انتعاش تجارته وإلى قرار الشركة الانكليزية البقاء في جمبرون. ولكن الشركة بدلت موقفها في العام التالي (١٦٤٥) فقامت بنقل مخزونها من البضائع من جمبرون إلى البصرة[3] مع استمرار حرصها على شراء بعض الخيول من شيراز لإرسالها إلى سورات لرخص أسعارها في شيراز بالمقارنة مع أصفهان.

ثم تدهور الوضع الاقتصادي في فارس مرة أخرى في عام ١٦٤٧ وتسببت الحرب بين الفرس والمغول (١٦٤٨ - ١٦٤٩) في اضطراب التجارة البرية بين فارس والهند مما مكّن الشركة الانكليزية من تحقيق أرباح جيدة من نقل البضائع بحراً بين البلدين ولذلك أكدت الشركة على وجوب استمرار وكالتها في أصفهان لأنها أفضل من شيراز في مجال تسويق البضائع الانكليزية ولأن وجود وكلاء الشركة الانكليزية في أصفهان يمكنهم من الاتصال ببلاط الشاه وبالتالي التأثير على المسؤولين الفرس في جمبرون[4] لمصلحة الشركة

---

(١) Robert Cranmer, Revett Walwyn, Thomas Cogan, And William Weale At Basra To The Company. July 31, 1645 (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) p.273; Hall, Lesley A. Op. .Cit. pp.3-4; Longrigg, Stephn Hemsley. Four Countries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) p.107.

(٢) Wilbur, Marguerite Eyer. The East India Company And British Empire In The Far East. (New York 1965) p.201.

(٣) Longrigg, Stephn Hemsley. Op.Cit. p.108.

(٤) William Pitt. Philip Wylde, And Thomas Codrington, At Ispahan To The President And council At Surat. Sept. 7. 1645. (The English Factories In India. =

الانكليزية. ولكن النشاط الانكليزي في فارس ضعف كثيراً في منتصف القرن السابع عشر حتى عجز الوكلاء الانكليز عن تسويق الأقمشة الصوفية.

وعلى الرغم من ضعف التجارة الفارسية في جمبرون وأصفهان فقد ظلت الشركة الانكليزية قادرة على حماية امتيازاتها التي حصلت عليها وتمكنت من الحصول على وعد من الشاه بإصدار ثلاثة فرمانات لإعفائها من دفع رسم الـ ٤٪ على البضائع المباعة في أصفهان والسماح لها بإعادة بناء مركزها في جمبرون الذي دمرته هزة أرضية ودفع حصتها من الجمارك في جمبرون بانتظام[١]. وقد ساعدت هذه التسهيلات الفارسية على تحسن وضع التجارة الانكليزية في الأسواق الفارسية خلال الفترة (١٦٥٥ - ١٦٦٠)، غير أنها امتنعت عن شراء الحرير الفارسي لاحتكار الشاه له وفرضه أسعاراً عالية.

وكان لقرار الشاه في عام ١٦٦٩ بمنع تفريغ البضائع في ميناء كونغ وتوجيه التجارة إلى ميناء جمبرون تأثير في انتعاش التجارة الانكليزية مرة أخرى مما دفع بالانكليز إلى التفكير بالعودة إلى جمبرون لا سيما بعد أن تضررت تجارة البصرة نتيجة للحرب بين الفرس والعثمانيين ولذلك عملت الشركة على تعزيز مركزها في فارس في الربع الأخير من القرن السابع عشر فوسعت نطاق تجارتها الفارسية وأرسلت إلى فارس في عام ١٦٨٠ كمية من الأقمشة الصوفية بلغت ٢١٧ بالة ثم أخذت بتنظيم تجارتها في الخليج العربي على نحو جديد في عام ١٦٨٢ بواسطة الرحلات الدائرية. وقد وضعت مشروعاً للتبادل التجاري مع موانئ الجزيرة العربية يقضي بإرسال سفينة انكليزية من انكلترا إلى جزيرة

= Vol.VII. 1642-1645 By William Foster, Oxford 1913) pp. 276-279; President Merry And Messrs. Tash, Pearce And Oxenden At Swally Marine To The Company. Jan. 25, 1650. (The English Factories In India. Vol. VIII. 1646-1650 By William Foster, Oxford 1914) pp. 274-280.

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٧٧ - ٧٨. وانظر أيضاً: President Merry And Messrs. Pearce And Oxendent At Swally Marine To The Company. April 8, 1651 (The English Factories In India Vol. IX. 1651-1654 By William Foster. Oxford 1915) pp.55-58; Danvers. F.C. Op.Cit. pp. 23-24.

سوقطرة لتلتقي فيها بثلاث سفن محلية. وبعد شحنها بالبضائع من السفينة الانكليزية تتجه تلك السفن المحلية إلى ميناء مخا باليمن حيث تتم مقايضة حمولتها بالبن وغيره من منتجات اليمن ثم تلحق بالسفينة الانكليزية التي توجهت إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» وميناء البصرة للتبادل التجاري. وفي أحد موانئ الخليج العربي تفرغ السفن المحلية العائدة من ميناء مخا حمولتها في السفينة الانكليزية لتتجه بعد ذلك إلى سورات[1]. ولكن مشروع الرحلة الدائرية لم يحقق توقعات الشركة الانكليزية لأن التبادل التجاري مع أسواق مخا والبصرة يمكن أن يتم على نحو أفضل بواسطة الوكالات الانكليزية في فارس والهند والتجار الأرمن في موانئ فارس والخليج العربي.

ولذلك عادت الشركة الانكليزية إلى اتباع أسلوبها السابق في التبادل التجاري مع منطقة الخليج العربي، فأرسلت في عام ١٦٩١ كمية كبيرة من الأقمشة الصوفية الانكليزية مع تعليمات لوكلائها في فارس ببذل جهودهم لبيعها وبجمع أكبر كمية من الحرير الفارسي الخام[2]. وعملت على زيادة عدد وكلائها وموظفيها في فارس في عام ١٦٩٣ وبتدريب وإعداد الموظفين الانكليز بإشراف التجار الأرمن في أصفهان واهتمت بصيانة وكالاتها في جمبرون وأصفهان باستمرار[3].

وقد تعزز مركز الشركة الانكليزية في فارس نتيجة للزيارة التي قام بها الشاه حسين وزوجته إلى وكالتها في أصفهان في ٢٤ تموز ١٦٩٩، والتي أكدت على قوة مركز الشركة الانكليزية في فارس وأضفت عليها الكثير من الاحترام في منطقة الخليج العربي.

---

(١) Events In Persia pp.20-31 (The English Factories In India Vol.X. 1655-1660 By William Foster. Oxford 1921) p. 24; The Persia Agency And Basra, 1660. (The English Factories Vol.X) pp. 348-351; Surat 1680 (The English Factories In India, New Series. Vol. III. 1678-1684 By Sir Charles Fawcett. Oxford 1954) p. 264; Stevens, John. The History Of Persia (London?) p.416; Danvers. F.C. Op.Cit. pp.25-26.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٣. وانظر عبد الأمير محمد أمين: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

(٣) Danvers. F.C. Op.Cit. p.28; Hall, Lesley A. Op.Cit. p.3.

التجارة الانكليزية في البحر الأحمر

بدأ اهتمام شركة الهند الشرقية الانكليزية بالتجارة في البحر الأحمر منذ العقد الأول من القرن السابع عشر. ففي عام ١٦٠٨ كلفت الشركة الانكليزية أحد وكلائها بالتوجه إلى عدن لتأسيس وكالة تجارية فيها ولكن الوكيل الانكليزي تخلى عن مهمته بعد وصوله إلى جزيرة سوقطرة. وفي العام التالي - ١٦٠٩ - ظهرت سفينة انكليزية محملة بالحديد والرصاص والأقمشة في ميناء عدن، ولكن عندما وجدت الشركة الانكليزية أن الحركة التجارية غير نشيطة فيها بالإضافة إلى مضايقة الحاكم العثماني أرسلت اثنين من ضباطها إلى ميناء مخا في اليمن للاطلاع على حالتها التجارية. وعلى الرغم من أن الوضع التجاري في مخا لم يكن مشجعاً فقد استمرت الشركة الانكليزية في محاولاتها للتجارة مع موانئ البحر الأحمر[١].

ولكن الشركة الانكليزية نصحت سفنها في عام ١٦١١ بالابتعاد عن البحر الأحمر بعد خسارة الانكليز ٨ من القتلى و١٤ من الجرحى و٥١ من الأسرى لاتهامهم بالاقتراب من مكة المكرمة وصودرت بضائعهم. وفي حادث آخر هاجم العثمانيون سفينة انكليزية أخرى وقتلوا ثلاثة من بحارتها ونقلوا ركابها إلى صنعاء[٢]، ثم جاءت بعثة انكليزية أخرى إلى مخا في عام ١٦١٢ ولكن لم يسمح لها الحاكم العثماني بالتجارة فيها.

(١) سلطان ناجي: الخلفية التاريخية للاحتلال البريطاني لعدن (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية - العدد الثاني - أبريل ١٩٧٥. ص ٢٩ - ٤٢(ص ٢٩ - ٣٠)

(٢) Letter Of Advice To All English Ships To Shun The Red Sea. Mocha. May 1611. (Colonial Papers. Vol.I) p. 224.

ولكن الشركة الانكليزية لم تفقد الأمل بسبب فشل محاولاتها السابقة في البحر الأحمر. وعلى الرغم من عدم رغبة وكلائها في سورات في استئناف التجارة مع موانئ الجزيرة العربية فقد وصل القبطان الانكليزي أندرو شيلنج إلى مخا في عام ١٦١٨ ومعه إحدى سفن الشركة الانكليزية لتأسيس التجارة الانكليزية في البحر الأحمر، ونجح في الحصول على موافقة الحاكم العثماني المحلي بالتجارة مع ميناء مخا في مقابل دفع رسم قدره ٣٪ على الصادرات والواردات ومساواة الانكليز بالهولنديين في المعاملات التجارية وبذلك بدأت التجارة الانكليزية في البحر الأحمر[١].

وفي العام التالي - ١٦١٩ - أرسلت الشركة الانكليزية بعثة أخرى إلى مخا تمكنت من بيع بضائعها بربح قدره ١٠٠٪، ولكن الهولنديين تدخلوا في عام ١٦٢١ ضد التجارة الانكليزية فاستولوا على عدد من القوارب التي تنقل بضائع الشركة الانكليزية من موانئ البحر الأحمر. كما لم تتوفر للانكليز خبرة بحرية كافية في بحر العرب ولذلك أخطأوا في الوصول إلى سوقطرة وظفار في نيسان ١٦٢١[٢].

ولكن ذلك لم يمنع الشركة الانكليزية من إرسال ثلاث سفن تجارية إلى ميناء مخا حيث حققت أرباحاً جيدة؛ وما لبثت حركة التبادل التجاري أن أصيبت بنكسة في عام ١٦٢٤ عندما قام أحد البحارة الانكليز بالاستيلاء على سفينة صغيرة تابعة لعدن وأخذ معه عدداً من الأسرى، مما أثر لبعض الوقت على التجارة السلمية، وأدى إلى تعذر وصول السفن الانكليزية وغيرها إلى موانئ البحر الأحمر إلا بأمر من الباب العالي[٣].

وبعد انقطاع دام أربع سنوات (١٦٢٤ - ١٦٢٨) استأنفت الشركة الانكليزية اتصالها مع ميناء عدن في عام ١٦٢٨ بناء على خطة أعدتها وكالتها

(١) Wilbur, Marguerite Eyer. Op.Cit. pp. 202-203.

(٢) Richard Swan's Account O His Voyage In The Hart To The Coast Of Arabia. April 6, 1621. (The English Factories In India Vol. I. 1618-1621 By William Foster. Oxford 1906) pp. 284-286.

(٣) Thomas Kerridge To The East India Company. Nov. 15, 1624 (Colonial Papers. Vol.III) pp. 441-442.

في سورات للتبادل التجاري مع مخا ولكنها وجدت للمرة الثانية أن أسواقها تخلو من الفوائد التجارية، كما أدى تعرض إحدى السفن الانكليزية للنهب في البحر الأحمر في عام ١٦٣٢ إلى خسارة الانكليز للتجارة فيه والتي كانت في صالحهم لبعض الوقت[١].

ثم أصيبت الحركة التجارية بين الهند ومخا بالركود في عام ١٦٤٠ بسبب انتشار القرصنة في جهات البحر الأحمر، ولذلك قررت الشركة الانكليزية وقف نشاطها التجاري في مخا والبحث عن البن في أماكن أخرى غير اليمن. وبعد أن زادت هجمات القراصنة الهولنديين على الوكالة الانكليزية في مخا قام الوكيل الانكليزي بإغلاقها[٢]. وفي منتصف القرن السابع عشر صدر قرار الشركة الانكليزية بإلغاء وكالتيها في سواكن ومخا وتقرر استبدالها برحلات للسفن التجارية عندما تكون هناك بوادر وامكانيات لتحقيق الأرباح[٣] في موانئ البحر الأحمر. ففي عام ١٦٦٠ وصلت إلى ميناء جمبرون سفينة انكليزية قادمة من مخا وأفرغت حمولتها من البن حيث تم بيعها بسهولة.

---

(١) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan. Coct. 22, 1628 (Colonial Papers. Vol.IV) p 562; John Skibbowe And John Banggam To The East India Company. May 8, 1632. (Colonial Papers. Vol.V). p.262.

(٢) سلطان ناجي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٠ - ٣١.

(٣) A Court of Committees For The Fourth Joint Stock. Feb. 25, 1650. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury Oxford 1913). pp.23-24; The Persia Agency And Basra 1660. (The English Factories In India Vol. X. 1655-1660, By William Foster. Oxford 1921) pp.348-351.

دور الأرمن في التجارة الفارسية

أمر الشاه عباس الأول بنقل قسم كبير من سكان أرمينيا إلى فارس، وقد حدثت الهجرة الأرمنية الكبرى إلى فارس في عام ١٦٠٤ واستمرت لعدة سنوات تالية. وقد جاء أمر الشاه عباس بترحيلهم لإبعادهم عن الطريق الذي اعتاد الجيش العثماني سلوكه أثناء زحفه على المدن الفارسية. وقدر عدد الأرمن الذين هجَّرهم الشاه عباس بعشرين ألف نسمة أسكنهم في ضاحية بجوار أصفهان عرفت باسم جلفار الجديدة. وعندما طلبت الشركة الانكليزية من الشاه عباس منحها احتكار انتاج فارس من الحرير استاء التجار الأرمن ووقفوا ضدها في أصفهان لأن مثل هذا الاحتكار سيحرم الأرمن من المشاركة في أرباح تجارة الحرير الفارسي المزدهرة آنذاك[١].

وهكذا قام الأرمن بدور مهم في شؤون التجارة الفارسية في القرن السابع عشر، فقد كان لهم دور رئيسي في تجارة الشركة التركية «الليفانت»، كما سيطروا على تصدير الحرير الفارسي إلى أوربا عبر الأراضي العثمانية وعلى استيراد الأقمشة الأوربية إلى فارس، كما حصلوا على نصيب في أعمال الشركة الانكليزية التجارية في أصفهان[٢]. ومع نهاية عهد الشاه عباس الأول في

---

(١) Carswell, John. The Armenians And East-West Trade Through Persia In The XVIIIth Century. (Sociétés Et Compagnies De Commerce En Orient Et L'ocean Indien. Paris 1970. pp.481-486.) p.p. 481-482

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٣٥، ص ٤١٤ - ٤١٥.

(٢) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf With A Summary of Events 1600-1800. pp. IV-V.

عام ١٦٢٩ احتكر الأرمن معظم التجارة الفارسية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ونشط الأرمن في شراء الحرير من المزارعين الفرس وكان الشاه عباس يبيع جزءاً من حريره للتجار الأرمن بعد أن يربح منهم عشرة تومانات في كل حمل، ثم يقوم الأرمن بنقله إلى حلب ليبيعوا قسماً منه ويحتفظوا بالباقي في مستودعاتهم فيها على أمل بيعه في المستقبل عندما تقل كمية الحرير في الأسواق الفارسية. ولذلك واجهت الشركة الانكليزية والشركة الهولندية منافسة أرمنية عنيفة للغاية[١].

وقد أحرز التجار الأرمن ثروات طائلة بتصديرهم الحرير الفارسي والبضائع الأخرى عبر الأراضي العثمانية إلى حلب وبذلوا كل جهودهم لإلحاق الأذى بالتجارة الانكليزية، وعرضوا على الشاه عباس في عام ١٦١٩ مبلغ ١٥٠,٠٠٠ جنيه استرليني أو ١٢ بنساً عن كل رطل (١٢ أونصة) من الحرير الذي يشترونه ليسمح لهم بنقله إلى حلب[٢].

وقد رحب التجار الأجانب بالتعامل مع الأرمن لمهارتهم في التحدث بلغات مختلفة مثل الفارسية والتركية والأرمنية بالإضافة إلى عدة لغات أجنبية ولذلك قررت الشركة الانكليزية إرسال مجموعة من مستخدميها الشباب إلى أصفهان لدراسة لغة الأرمن وأساليبهم التجارية والتدرب على شئون التجارة الفارسية[٣]، كما دخل التجار الأرمن في علاقات تجارية مع الشركة الانكليزية. ففي عام ١٦٣٠ قاموا بنقل بضائعهم إلى الهند في سفنها وحققوا فوائد تجارية كثيرة من تجارتهم مع الهند؛ كذلك قام بعض التجار الأرمن ببيع البضائع الفارسية في جمبرون أو في أصفهان وبذلك قاموا بدور الوسيط التجاري بين

---

(١) Ferrier, R.W. Op.Cit. pp. 38-40.

(٢) Thos. Barker, Edward Monox, Wm. Bell. To The East India Company. Ispahan. Oct 16, 1619. (Colonial Papers. Vol.II) pp.303-304.

(٣) Carswell, John Op.Cit. . 482.

وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٥

الفرس والأجانب وحققوا أرباحاً جيدة[1]. ولجأ الأرمن إلى شراء الحرير من جيلان على أمل تصديره إلى حلب، وإذا ما أخفقوا في الحصول على موافقة الشاه في السماح لهم بتصديره فإنهم يحتفظون به ليتمكنوا من بيعه إلى الشركة الانكليزية بعد أن يحققوا بعض الفائدة.

كما استخدم الأرمن سلاح الرشوة ضد الشركة الانكليزية وأنفقوا أكثر من ٥٠٠ تومان سنوياً لتسهيل مصالحهم والمحافظة على تجارتهم لدى السلطات الفارسية[2]. ولذلك لم تكن علاقة الشركة الانكليزية بالأرمن حسنة في منتصف القرن السابع عشر رغم رغبتها في الاستفادة من خدماتهم التجارية والاستعانة بهم لشراء الحرير الفارسي لحسابها، وتوسطهم في المعاملات التجارية في حالات البيع والشراء.

ولكن الوكلاء الانكليز في فارس لم يثقوا بهم بل اتهموا معظم التجار الأرمن بالغش وقد وافقت الشركة الانكليزية في عام ١٦٦٣ على نقل التجار الأرمن وبضائعهم في سفنها بعد دفع الرسوم الجمركية في ميناء جمبرون «بندر عباس» لتضمن الحصول على حصتها من العائدات الجمركية على نحو أفضل[3]. كذلك قامت سفن الشركة الانكليزية بنقل بضائع الأرمن إلى أوربا وإلى الهند ولكن المعاملات التجارية بين الأرمن والانكليز كانت تصطدم بأزمة الثقة بين الجانبين وعدم الالتزام بتنفيذ العقود التي يتم الاتفاق عليها.

ولما كانت الشركة الانكليزية معجبة بنجاح الأرمن ومهارتهم التجارية في الهند وفارس، فقد حاولت كسب ثقتهم من أجل ضمان تعاونهم معها في

---

(١) President Rastell And Messrs. Hopkinson, Bickford, And Suffield At Surat To The Company. Dec. 31, 1630 (The English Factories In india Vol.IV. 1630-1633. By William Foster Oxford 1910) p.120, 125.

(٢) Edward Heynes And Wm. Gibson To The East India Company. Ispahan, Cot. 10, 1631. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 211-212, 201.

(٣) Messrs. Spiller And Young At Ispahan To The Company. Sept.8, 1654 (The English Factories In India Vo.IX. 1651-1654 By William Foster. Oxford 1915) p.288; Selections From State Papers, Bombay Op.Cit. p.23.

المستقبل لسيطرتهم على التجارة بين حلب وفارس والخليج والهند. وبذلت جهودها لاقناعهم بنقل الحرير من جيلان إلى أصفهان ومقايضته بالأقمشة الانكليزية العائدة لها بدلاً من نقله إلى حلب ومقايضته بالأقمشة الصوفية العائدة للشركة التركية «الليفانت». ولكن مصلحة الأرمن في تصدير الحرير عبر الأراضي العثمانية كانت أكثر إغراء من عروض الشركة الانكليزية التي استهدفت تحويل تجارة الحرير الفارسي من حلب إلى أصفهان ومقايضته بالأقمشة الصوفية الانكليزية، ثم نقله إلى جمبرون «بندر عباس» لشحنه في سفنها إلى انكلترا.

وفي العقد الأخير من القرن السابع عشر توترت العلاقات بين الأرمن والشركة الانكليزية نتيجة عدم إخلاص بعض الوسطاء الأرمن المتعاونين معها، ولعرقلة التجار الأرمن مقايضة الأقمشة الصوفية الانكليزية بالحرير الفارسي بزعم أن التجارة المنافسة والتي تتم عبر الأراضي العثمانية لا تزال قوية. ولما كانت مصلحة الأرمن في استمرار التجارة المنافسة فقد وقفوا ضد المصالح الانكليزية في فارس ونجحوا في وقف أمر الشاه حسين الذي فوض الشركة الانكليزية بيع الكميات الكبيرة من الأقمشة الصوفية التي جاءت بها إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» الى التجار الفرس بالتقسيط، مما اضطر الشركة الانكليزية إلى المضاربة على البضائع العثمانية في عام ١٦٩٧[1].

وفي نهاية القرن السابع عشر منح الشاه حسين الأرمن احتكار الحرير الفارسي وفوض الوكيل الانكليزي أن يأخذ منهم ثلث كمية الحرير لحساب الشركة الانكليزية على أن يوافق الأرمن على شحن الباقي في سفن الشركة الانكليزية إلى الأسواق الأوربية[2]، ولكن الأرمن لم يتحمسوا لمشروع التعاون مع الانكليز.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٤ - ١٢٥، ص ١٢٦ - ١٢٧ وانظر: Selections From State Papers, Bombay Op.Cit. p.34; Danvers. F.C. Op.Cit. pp.27-28.

(٢) Danvers. F.C. Op.Cit p.28.

سياسة شركة الهند الشرقية الانكليزية

قامت سياسة شركة الهند الشرقية الانكليزية ولعدة عقود بعد تأسيسها في عام ١٦٠٠ على أسس تجارية، فمنذ البداية تجنبت الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي الالتزامات السياسية وكرست جهودها الرئيسية للتجارة. وركزت فعالياتها في مجالات البحث عن الثروة في الشرق. ووفقاً للسياسة التي وضع خطوطها الرئيسية السير توماس رو- سفير انكلترا لدى بلاط المغول- والتي تحبذ التفاهم الودي مع القوى الأوربية والأقطار الشرقية وتأسيس التجارة الانكليزية المنتظمة مع الشرق(١) على قواعد راسخة، اهتمت الشركة الانكليزية بالتجارة السلمية وعملت على توسيعها وقمع الاعتداءات البحرية واقصاء المنافسة التجارية وعدم التورط في النزاعات المحلية(٢). ولذلك امتنعت عن مشاريع التوسع ودخلت في علاقات صداقة مع الحكام المحليين على اختلاف أجناسهم وأقطارهم.

وقد استهدفت سياسة الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي، الحصول على الاحتكارات التجارية، فأقامت وكالة تجارية لها في جاسك أولاً ثم في جمبرون «بندر عباس»، وحاولت منع البرتغاليين والاسبان من الحصول على فرمانات من الشاه الفارسي من شأنها الحاق الضرر بالمصالح التجارية الانكليزية. ولتحقيق هذه السياسة أرسلت الشركة الانكليزية إدوارد كونوك

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤٠.

(٢) Standish, J.F. British Maritime Policy In The Persian Gulf. pp. 324-325

في تشرين الثاني ١٦١٦ إلى فارس للحصول على فرمان من الشاه لمنح الانكليز حرية التجارة في بلاده[١]. وقد اهتم كونوك بمقابلة الشاه عباس الأول لتقديم الهدايا إليه والتفاوض معه للحصول على الامتيازات التجارية قبل أن يتمكن السفير الاسباني من مقابلته وتقديم الهدايا الكثيرة التي أحضرها معه للقضاء على التجارة الانكليزية في فارس في بدايتها.

واستجاب الشاه عباس الأول لرغبة الشركة الانكليزية ووعد وكيلها «كونوك» منح الانكليز الحرية والاحترام في بلاده بحضور السفير الاسباني الذي لم يخصه الشاه بكلمة طيبة بينما كان لطيفاً في معاملة كونوك[٢] الذي لم يكن في نيته عرض رغبة الانكليز في التبادل التجاري مع فارس إلا إذا قبل الشاه مبادلة المنتجات الفارسية بالأقمشة الصوفية والبضائع الانكليزية[٣]، وقد أكد الفرمان الذي منحه الشاه عباس إلى كونوك في آب ١٦١٧ على ما يلي:

أ - إقامة السفير الانكليزي بصفة دائمة لدى البلاط الفارسي وإرسال سفير فارسي إلى البلاط الانكليزي في وقت لاحق وعندما تسمح الظروف بذلك.

---

(١) A Commission Or Instruction For Edward Connock, Chief, Tho. Barker, George Pley, Edward Pettus, Wm. Tracy, And Mathew Pepwell. Nov. 1616. (Letters Received By The East India Company. Vol. IV. 1616 Edited by William Foster. London 1900) pp. 220-221; Surat 1680. (The English Factories In India, New Series. Vol. III. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1954). pp. 264-265; Hawley. Donald. Op.Cit. p.74.

(٢) Ed. Connock, William Tracy And William Robbins To The East India Company. Aug. 4, 1617. (Letters Received by The East India Company From Its servants In The East. Vol. VI, 1617 Edited by William Foster. London 1902) p.34; Edward Connock To George Pley At Shiraz. Ispahan. April 10, 1617. (Letters Received. Vol. V. 1617. London 1901) pp. 196-217, 278-280; Bradly — Birt, F.B. Persia, Through Persia From The Gulf To The Caspian. Vol XX. (U.S.A. 1910) pp. 13-15.

(٣) Sir Thomas Roe To William Robbins At Ispahan Mando. Aug. 2, 1617. (Letters Received By The East India Company. From Its Servants In The East. Vol. VI, 1617. Edited by William Foster. London 1902). p.76.

ب ـ حرية الرعايا الانكليز في معاملات البيع والشراء في جميع أنحاء فارس.
جـ ـ حرية الرعايا الانكليز في ممارسة شعائرهم الدينية وفي حيازة الأسلحة واستعمالها في حالة الدفاع عن النفس.
د ـ للسفير الانكليزي الحق في تعيين الوكلاء والمفوضين الانكليز. وتتعهد السلطات الفارسية بتقديم العون والاحترام لهم.
هـ ـ للسفير الانكليزي معاقبة الرعايا الانكليز إذا ما ارتكب أحدهم مخالفة ما.
و ـ إذا ما نشب نزاع مالي بين الرعايا الانكليز والرعايا الفرس وكان المبلغ المتنازع عليه يتجاوز عشرين توماناً يكون من حق السفير الانكليزي الفصل في النزاع بالاشتراك مع القضاة الفرس. أما المنازعات المالية الصغيرة التي تقل عن عشرين توماناً فتفصل السلطات الفارسية فيها(١).

وقرر الشاه عباس الأول في عام ١٦١٨ منع تصدير الحرير الفارسي إلى أوربا عبر الأراضي العثمانية أو بواسطة السفن الاسبانية والبرتغالية وحصره في الشركة الانكليزية وأمر بإرساله إلى ميناء جاسك أو بعض المدن الفارسية القريبة منه في كل موسم؛ وقد وجد الانكليز أن شراء الحرير من جاسك أسهل وأرخص بالنسبة لهم من حلب(٢). ولما كان الشاه عباس قد أعطى كونوك الحرية في نقل البضائع الانكليزية إلى أي ميناء آخر يمكن للانكليز الدفاع عنه ضد لصوص البحر والبرتغاليين، فقد أبدت الشركة الانكليزية رغبتها في استخدام ميناء جمبرون وأن يكون لها وكالة في أصفهان وتخفيض سعر الحرير

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٣٦ ـ ٣٧

(٢) Sir Thomas Roe To William Robbins At Ispahan. Jan, 17, 1617. (Letters Received By The East India Company. Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) pp. 50-51.

وانظر محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٧٦٠. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثالث كانون الثاني ١٩٦١. ص ٢٦١ ـ ٢٧٨) ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥.

الفارسي[1]. كما طلبت من الشاه الحصول على حق تصدير الكبريت والخيول ولكنها عدلت عن تصدير الخيول الفارسية لعدم صلاحيتها للنقل بالسفن.

وبعث ملك انكلترا جيمس الأول برسالة إلى الشاه عباس الأول في آذار ١٦٢٠ يشكره فيها على ما تفضل به على التجارة الانكليزية من امتيازات ويرجوه السماح للشركة الانكليزية بتأسيس وكالة للحرير في ميناء جاسك؛ وقد وافق الشاه على طلبه مما وثق العلاقات بين الانكليز والفرس في صراعهما المشترك ضد البرتغاليين[2]، وعندما وصل أسطول الشركة الانكليزية الذي ضم خمس سفن إلى ميناء جاسك عَمَّ الذعر والهلع في هرمز والتي أصبحت تجارتها مهددة نتيجة للتقارب الانكليزي ـ الفارسي.

ثم عززت الشركة الانكليزية موقفها في الخليج العربي بزيادة عدد سفنها في مياهه. ففي تشرين الثاني ١٦٢١ غادر سورات أسطول انكليزي ضم تسع قطع حربية متوجهاً نحو منطقة الخليج العربي حيث أقام مركزاً قوياً للانكليز في جمبرون بعد نقل بضائعهم من جاسك. وكان هدف الشركة الانكليزية من إنشاء مراكزها التجارية في منطقة الخليج العربي توزيع البضائع التي تنقلها السفن الانكليزية وضمان وجود مراكز ـ فيما بعد ـ لتوزيع بريد الشركة الانكليزية بين انكلترا والوكالات الانكليزية في الشرق. ثم تطورت العلاقات الانكليزية ـ الفارسية إلى تحالف مشترك ضد البرتغاليين في عام ١٦٢٢، وقدم الانكليز مساعدتهم للفرس في الهجوم على قلعة قشم مقر قيادة القبطان البرتغالي راي فرايري مما أرغم البرتغاليين على الاستسلام في هرمز في نيسان ١٦٢٢.

وقد قوي مركز الشركة الانكليزية في عام ١٦٦١، عندما أصدر شارل الثاني مرسوماً فوض الشركة بموجبه إعلان الحرب وعقد الصلح مع حكام الشرق غير المسيحيين باسم التاج الانكليزي. كما منحها الحق في سن القوانين

---

(1) A Commission Of Instruction For Edward Connock. Op.Cit. p.221; Minutes Of Consultations Held At Jask, Moghistan, Lar, Shiraz. And Ispahan. Ispahan. June 4, 1619. (Colonial Papers. Vol.II) p.308.

(2) زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي. (القاهرة، ١٩٦٦) ص ١٧.

وتجهيز الجيوش وإقامة القلاع وتأسيس المستعمرات؛ وفي مرسوم لاحق في عام ١٦٦٧ حصلت الشركة على حق صك العملة في المناطق البعيدة عن انكلترا[١]، وفي ٢٧ آذار ١٦٦٨ حصلت الشركة على حق الولاية الكاملة على جزيرة بومباي التي انتقلت ملكيتها إلى التاج الانكليزي في عام ١٦٦١ كجزء من مهر ابنة ملك البرتغال لزواجها من شارل الثاني[٢]. ولذلك نقلت الشركة الانكليزية مركزها من سورات إلى بومباي في عام ١٦٨٧ وأشرفت مديرية بومباي على شؤون الشركة ومصالحها في المناطق الواقعة إلى الغرب من الهند والتي شملت منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر. ومن بومباي ومدراس وكلكتا استطاعت الشركة الانكليزية أن تنفذ إلى داخل الهند بعد أن شكلت فيها جيوشاً واعتمدت أسلوب القوة في مواجهة الحكام الهنود[٣]. وقد أدت هذه الأحداث مجتمعة بالإضافة إلى إدراك الشركة الانكليزية أن تحقيق أهدافها في التجارة السلمية وغيرها لا يمكن أن يتم بغير استخدام القوة المسلحة بسبب وجود عدد من المنافسين التجاريين لها إلى زيادة تبنّي الشركة الانكليزية للمواقف السياسية والمسؤوليات العسكرية على حساب طابعها التجاري.

وبعد انتهاء الحروب الانكليزية ـ الهولندية في عام ١٦٧٤ اهتمت الشركة الانكليزية بتوطيد مركزها في منطقة الخليج العربي، فطلب شارل الثاني من الشاه سليمان إصدار فرمان جديد يؤكد فيه الامتيازات الانكليزية السابقة. وتمشياً مع سياسة القوة البحرية وحرية التجارة، قررت الشركة الانكليزية في عام ١٦٧٥ تسليح سفنها التجارية، ونفذت قرارها في العام التالي بإرسال سفينتين مسلحتين محملتين بالبضائع إلى الخليج العربي.

وهكذا شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر تغيراً تدريجياً بطيئاً في أهداف الشركة الانكليزية وربما يعود ذلك إلى طبيعة الأحداث التي

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص ٦٣.

(٢) Hawley, Donald, Op.Cit. p.77.

(٣) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦١ ـ ٦٢ وانظر عبد الأمير محمد أمين ومصطفى عبد القادر النجار: دور السجلات الهندية ومحفوظاتها من وثائق العراق وبقية أقطار الخليج العربي، والجزيرة العربية. (بغداد، ١٩٧٨) ص ١١ ـ ١٢.

واجهتها الشركة الانكليزية، وإلى الخبرة التي اكتسبتها بعد عقود من تأسيسها، ونتيجة لخطط التغيير التي اقترحها مجلس مديري الشركة في لندن بدلاً من الاستمرار في نهجها السابق الذي حتم عليها التقيد بالشؤون التجارية[1]. ويعود ذلك إلى اقتناع المسؤولين عن الشركة الانكليزية بأهمية زيادة الفوائد والمنافع الاقتصادية التي يمكن الحصول عليها من الهند، وإلى إدراكهم أن شيئاً ولو قليلاً من الالتزامات السياسية ربما كان مهماً لتسهيل شؤون التجارة الانكليزية. ثم أخذ المسؤولون عن الشركة الانكليزية يتدخلون تدريجياً في الشؤون السياسية للأقطار الشرقية فأعلنوا الحرب وعقدوا المعاهدات وقاموا بالمفاوضات[2] ومثل هذه الأمور أصبحت جزءاً مهماً من واجبات الشركة الانكليزية. ومن بين الأسباب التي أدت لمثل هذا التحول التدريجي في سياسة الشركة الانكليزية النجاح الذي حققته في الشرق وفوزها باعتراف انكليزي واضح بمركزها المتفوق في انكلترا، وبالتالي حصولها على دعم أكثر قوة وتصميماً في صراعها مع القوى المنافسة لها في الشرق[3] وبذلك اتبعت الشركة الانكليزية أسلوب السياسة مع التجارة في الخليج العربي في القرن الثامن عشر لا سيما بعد أن قرر البرلمان الانكليزي في عام ١٧٨٤ قيام هيئة مراقبة للعمل بتوجيه عدد من المسؤولين الانكليز عن الشؤون السياسية والمالية والعسكرية لإدارة مناطقها وممتلكاتها وتعيين حاكم عام يمثل التاج الانكليزي في الهند واضعة بذلك الأساس القوي للسياسة الاستعمارية في الشرق[4] ولكن السيطرة الانكليزية الكاملة وفرض الوصاية على الخليج العربي لم تتحقق إلا في منتصف القرن التاسع عشر.

---

(١) Standish, J.F. Op.Cit. pp. 324-325.
وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٩٩. وينكر بانيكار حصول الشركة الانكليزية في نهاية القرن السابع عشر على أي نفوذ سياسي في الشرق. انظر، آسيا والسيطرة الغربية، ص ٦٢.

(٢) Surat 1680 (The English Factories In India. New Series. Vol.III. 1678-1684. By Sir Charles Fawcett. Oxford. 1954) pp. 264-265; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.23.

(٣) Hamilton, C.J. Op.Cit. p.36.

(٤) Standish, J.F. Op.Cit. p.325.

الصعوبات التي اعترضت نشاط الشركة الانكليزية

واجهت الشركة الانكليزية صعوبات كثيرة في تجارتها مع الشرق بعامة ومنطقة الخليج العربي بخاصة؛ ولكنها تمكنت في نهاية القرن السابع عشر من التغلب عليها وبذلك أحكمت سيطرتها التجارية في القرن الثامن عشر وسيطرتها السياسية في القرن التاسع عشر. وفيما يلي أهم الصعوبات التي اعترضت الشركة الانكليزية في القرن السابع عشر.

١ ـ تصدير العملة الذهبية والفضية:

كان الاقتصاديون الانكليز يكرهون تصدير العملة الذهبية والفضية خارج انكلترا. ولما لم يكن لدى الانكليز من شيء يبيعونه بدلاً مما يشترونه كان على وكلاء الشركة الانكليزية في الشرق إيجاد حل مناسب لهذه المشكلة.

وكانت تقارير الوكلاء الانكليز قد أفادت بازدياد الطلب على المنسوجات الهندية في جزر الهند الشرقية، وقدرت الشركة أنه إذا أمكن لها بيع المنسوجات الهندية في بانتام ومالقا وغيرها فسوف تتمكن عندئذ من تمويل تجارة التوابل من الأرباح التي تحصل عليها من تجارة المنسوجات، ولذلك وقع اختيارها على سورات في عام ١٦١٢ لتكون مركزاً تجارياً لشراء المنسوجات[١].

ولكن بعد طرد الانكليز من جزر الهند الشرقية من قبل الهولنديين واجهت الشركة الانكليزية صعوبة دفع ثمن البضائع الهندية مرة أخرى، لأن

---

(١) بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦٠ ـ ٦١.

تصدير العملة الذهبية والفضية من انكلترا لم يكن مسموحاً به، ولذلك كانت التجارة مع منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر منقذاً لها، فقد حلت الأقمشة الصوفية الانكليزية محل المنسوجات الهندية ـ لبعض الوقت ـ في التعامل التجاري مع فارس وعندئذ أمكن لها مقايضة الأقمشة الصوفية الانكليزية بالحرير الفارسي الخام والاستفادة من الأرباح في تمويل تجارة التوابل والبضائع الشرقية.

٢ ـ ضعف إمكانيات الشركة الانكليزية:

أصبح وضع الشركة الانكليزية صعباً في منطقة الخليج العربي في عام ١٦٦١؛ فقد وجدت سفنها صعوبة في الحصول على التجهيزات والمياه العذبة من موانئ الخليج العربي، وكانت بحاجة أيضاً إلى اللحوم المملحة وإلى الرجال العاملين. كما عانت الشركة من ارتفاع نسبة الوفيات في أوساط البحارة والملاحين والموظفين والوكلاء[1]، لأن مناخ الخليج العربي لم يكن ملائماً للأوربيين بسبب الحرارة الشديدة والرطوبة الزائدة فيه. ولذلك كان الأوربيون لا سيما السفراء منهم يسرعون بمغادرة موانئه نحو الداخل بحثاً عن مناخ أكثر اعتدالاً.

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر لم يكن في وسع أسطول الشركة الانكليزية إغلاق موانئ الخليج العربي في وجه التجارة المنافسة للانكليز، كما أن ذلك ليس في مصلحة الفرس الذين لا يرغبون في إلحاق الأذى بميناء جمبرون «بندر عباس» وكانت الشركة الانكليزية في حاجة ماسة إلى ميناء في الخليج العربي لتوفير الأمن والحماية لسفنها التي تضطر لقضاء الشتاء فيه.

ولما كان مركز الشركة التجاري قد أصبح ضعيفاً في منطقة الخليج

(١) Selections From State Papers, Bombay. Op.Cit. Consultation In Surat. Oct. 25, 1661. Requirements Of The Shipping In The Persian Gulf. p.18.

العربي خلال الفترة (١٦٧٧ - ١٦٨٠)، حيث اقتصر على نقل بعض المشروبات الروحية وصوف كرمان والماعز والخيل والتمر، فقد صدرت التعليمات إلى الوكيل الانكليزي في جمبرون «بندر عباس» ببيع كل ما لديه من بضائع وشراء ما أمكنه من أصواف كرمان والاستعداد لتصفية تجارة الوكالة الانكليزية إذا لم تتحسن أوضاع التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي[1].

٣ - علاقات الشركة بالحكومة الانكليزية في عهد كرمويل:

واجهت الشركة الانكليزية صعوبات في انكلترا نفسها لأن علاقاتها مع حكومة كرمويل لم تكن حسنة لاتهامها بالميل للحكومة السابقة. فلم تمنحها الامتيازات الفعالة مما منعها من تطوير تجارتها وفرض قيوداً عليها، باستثناء بعض وكالاتها التي تمكنت من متابعة نشاطها التجاري ولذلك حاولت استمالة حكومة كرمويل والرأي العام الانكليزي بزيادة صادراتها من المصنوعات الانكليزية[2] وما لبثت تجارة الشركة أن ازدهرت مرة أخرى في الشرق بعد وفاة كرمويل وعودة الملكية إلى انكلترا في عام ١٦٦٠.

٤ - فساد بعض وكلاء الشركة الانكليزية:

كانت مهمة وكلاء الشركة الانكليزية في فارس العمل على توسيع حجم التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي؛ ولكن بعضهم فرط في حقوقها مثل وكيلها في جمبرون «بندر عباس» الذي حقق أرباحاً طائلة نتيجة فرض حمايته التجارية على البضائع غير الانكليزية، والتي امتدت لتشمل بضائع التجار

---

(١) Thos. Barker And Wm. Bell To Edw. Connock. Agent At Ispahan. Shiraz. May 8, 1617. (Colonial Papers. Vol.II). p.27.
وانظر أيضاً: لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954) p.168.
وانظر، عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الهند. مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.
وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦١ - ٦٢.

الفرس، كما نجحت الشركة الهولندية في رشوة بعض الموظفين الانكليز، ولم يتردد الوكيل الانكليزي في أصفهان في تقديم القروض إلى التجار الهولنديين لتمكينهم من شراء الحرير الفارسي وإلحاق الأذى بالتجارة الانكليزية[1].

٥ ـ بريد الشركة الانكليزية:

اعترضت الشركة الانكليزية بعض الصعوبات لنقل بريدها من انكلترا إلى الهند وبالعكس عبر الخليج العربي أو عبر رأس الرجاء الصالح. وقد استخدمت الطريق الصحراوي الذي يربط البصرة بحلب عبر أراضي العراق وبلاد الشام لأنه أسرع في مجال الاتصال البريدي بين الهند وانكلترا من الطرق الأخرى[2]، مثل طريق رأس الرجاء الصالح وطريق البحر الأحمر وطريق بحر قزوين. ولذلك تنبهت الشركة الانكليزية لأهمية الطريق الصحراوي وأصدرت تعليماتها في ٣٠ كانون الأول ١٦٨٦ إلى وكيلها في فارس لإرسال البريد بانتظام إلى انكلترا عن طريق حلب مرة كل ستة أسابيع لأهمية البريد للمصالح الانكليزية في الشرق[3]. وقد تعرض البريد الانكليزي عبر الطريق الصحراوي للخطر لوجود القبائل المحلية على طول الطريق الصحراوي، ولذلك كان على الشركة الانكليزية كسب صداقة تلك القبائل بتقديم الهدايا والبضائع اليها.

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٩، ١٢٢.

(٢) The Surat Presidency, 1674. (The English Factories In India. Vol. I. New Series. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936) p 237.

وانظر أيضاً، أحمد أبو حاكمة: تاريخ شرق الجزيرة العربية (١٧٥٠ ـ ١٨٠٠) ـ نشأة وتطور الكويت ترجمة محمد أمين عبدالله (بيروت، ؟) ص ٤٩ ـ ٥٣.

(٣) Danvers, F.C. Op.Cit. p.27.

كانت الرسائل البريدية تنقل في سفن الشركة المسلحة إلى البصرة ومنها بواسطة السعاة عبر الصحراء إلى حلب حيث تستغرق الرحلة الصحراوية أسبوعين تقريباً، أما النسخ الأصلية من الرسائل فكانت الشركة الانكليزية ترسلها عبر رأس الرجاء الصالح. أنظر، صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي ١٧٩٨ ـ ١٨١٠ (بغداد، ١٩٧٩) ص ٥٠ ـ ٥٢.

٦ ـ منافسة الشركات الانكليزية الأخرى:

منح الملك شارل الأول مرسوماً لمجموعة أخرى من التجـار الانكليز المنافسين لشركة الهند الشرقية الانكليزية، سمح لهم بموجبه بـالتجارة مـع الهند، فأصبحت الشركة الانكليزية في حالة تنافس مع الشركات الانكليزية التجارية الأخرى دون أن تتلقى مساعدة مالية من الحكومة الانكليزية[١].

وقد أسس هؤلاء التجار فيما بعد الشركات التجارية المنافسـة للشركة الانكليزية؛ وكانت أولها شركة التجار المغـامرين وتـأسست في عام ١٦٥٥ وحصلت على تفويض من كرمويل بالتجارة مع الهند وقام التجار المغامرون بترويج الشائعات عن تصفية أعمال الشركة الانكليزية مما أثر على مركزها في الخليج العربي.

وقـد تمكنت الشركة الانكليـزية من الصمـود في وجه هـذه المنافسـة الشديدة وازدهرت أعمالها في منتصف القرن السابع عشر؛ فكان لها ٢٣ وكالة تجارية في الشرق ضمت ٩٠ موظفاً[٢]. ولكنها تضررت مرة أخرى في عام ١٦٧٤ عندما سمحت الحكومة الانكليزية لجميع رعاياها بالتجارة بكل أنواع البضائع باستثناء بعضها باعتبارها سلعاً مهربة يحظر الاتجار بها والسفر بكل حرية إلى كل الجهات. ثم اضطربت تجارة الشركة الانكليزية خلال عامي ١٦٨٣ و١٦٨٤ بسبب منافسة التجار المغامرين الانكليز لها، ولتمرد جنودها في بومباي على وكلائها، ولعدم وجود بضائع صالحة للبيع لديها، مما عرّضهـا لخسارة كبيرة في البضائع الفارسية التي صدرتها إلى انكلترا وأضعف مركزها في الخليج العربي في الربع الأخير من القرن السابع عشر[٣].

---

(١) Al-Musawi, Mustafa Murtada. Persian Trade Under The Safavids. 1514-1722. pp.99-102. (Sumer, A Journal Of Archaeology & History In Iraq. Vol. XXV. No. I & II. 1969). p. 100.

(٢) عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي، ١٧٤٧ ـ ١٧٧٨ ترجمة هاشم كاظم لازم (بغداد، ١٩٧٧) ص ٢١ وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦١.

(٣) Abstract Of The Articles Of The Treaty Marine Concluded Between His Majesty's Commissioners And Those Of The State General, Dec. 11, 1674; A =

وزاد مركز الشركة الانكليزية ضعفاً في عام ١٦٩٣، عندما أصدر مجلس العموم الانكليزي قراراً أكد فيه حق كل الشركات الانكليزية بالتجارة مع الشرق وفي أي مكان آخر إلا إذا منع مجلس العموم ذلك، مما أدى إلى صراع عنيف ومرير بين الشركة الانكليزية من جهة والشركات الانكليزية المنافسة لها من جهة أخرى تسبب في إلحاق خسائر فادحة بالجانبين إلى أن تم الاتفاق في عام ١٧٠٢ ثم الاندماج لكل الشركات الانكليزية المتاجرة مع الشرق في عام ١٧٠٨، باسم «شركة تجار انكلترا المتحدين للتجارة مع الهند والأقطار المجاورة لها» وعندئذ حصل الانكليز على مركز قوي لهم في التجارة الشرقية.

وقد تبنت الشركة الانكليزية بعد اندماجها في الشركات التجارية المنافسة لها موقفاً سياسياً أخذ يطغى تدريجياً على طابعها التجاري. وقد قوي مركز الشركة الجديدة في فارس في العقد الثاني من القرن الثامن عشر؛ ولكن الغزو الأفغاني لفارس (١٧٢٢ ـ ١٧٢٩)، وما رافقه من اضطراب شامل أثر كثيراً على التجارة الفارسية وبالتالي على ازدهار التجارة الانكليزية في منطقة الخليج العربي.

٧ ـ منافسة الشركة التركية «الليفانت»:

تمكنت الشركة التركية «الليفانت» التي تأسست في عام ١٥٨١ من ربط التجارة الشرقية بها بادعاءات تجارية في عام ١٥٩٢. ولذلك زادت المنافسة بين الشركتين الليفانت والانكليزية في القرن السابع عشر واحتكرت كل منهما طريقاً تجارياً خاصاً بها فاعتمدت شركة الليفانت على الطريق البري للتجارة الداخلية عبر الأراضي العثمانية، ووجدت في ميناء حلب كميات من الحرير الفارسي في بعض الأحيان لخضوع تجارة الحرير لسياسة الحكومة الفارسية وعلاقاتها مع الدولة العثمانية.

= Court Of Committees March 10, 1676. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1674-1676 By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1935) p. 123, 285; Amin, Abdul Amir. Op. Cit. p.7.

وانظر لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١٢٤.

أما الشركة الانكليزية فقد استخدمت طريق رأس الرجاء الصالح وسعت إلى التغلب على منافسة شركة الليفانت لها بإرسال المنتجات الشرقية مباشرة إلى أوربا وبيعها بسعر أقل مما تباع به في موانئ البحر المتوسط. وقد أدت هذه المنافسة العنيفة إلى ابتعاد كثير من التجار الأجانب عن شراء البضائع الشرقية من موانئ البحر المتوسط مما أثر على حركة النقل التجاري فيه[١]. كما نجحت الشركة الانكليزية في توطيد مركزها التجاري في مينائي جمبرون والبصرة. وقد حلت البصرة محل حلب كمركز رئيسي لمبادلة الأقمشة الصوفية وغيرها بالحرير الفارسي على الرغم من احتجاجات شركة الليفانت التي اتهمتها بالتجاوز على منطقة امتيازها.

٨ ـ تقديم المساعدات العسكرية:

أدى رفض الشركة الانكليزية لإلحاح السلطات الفارسية بالمساعدة العسكرية ضد البرتغاليين ثم ضد العرب في مسقط وضد العثمانيين في البصرة إلى استياء الفرس منها، ويعود رفض الشركة الانكليزية إلى توزع مصالحها ومراكزها التجارية على الأراضي العثمانية والفارسية، ولذلك بذلت جهدها لتتجنب الاشتراك في أي حرب ضد أي من الجانبين العثماني والصفوي، وغالباً ما وجدت الشركة نفسها في وضع مساومة مع السلطات الفارسية التي كانت تفرض شروطها عليها[٢]، كما اعترضت التجارة الانكليزية في فارس صعوبة أخرى نتيجة عدم حصول الشركة الانكليزية على عقود وفرمانات جديدة في عام ١٦٣٠ لانشغال الشاه صفي في حرب مع الدولة العثمانية مما أثر على مشاريعها في فارس كما أدى تجاهل الفرس الدائم لحقوق الشركة الانكليزية وامتيازاتها إلى تدهور التجارة الانكليزية.

---

(١) Wood, Alfred. A History Of The Levant Company (London 1964) p.21; Selections From State Papers, Bombay, Op.Cit. p.v; Hall, Lesley A. Op.Cit. pp.3-4.

وانظر أحمد عزت عبد الكريم: مرجع سبق ذكره، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) Edward Connock, George Pley, Edward Pettus, And William Tracy To The Factors At Surat. Ispahan, June 8, 1617. (Letters Received By The East India Company Vol. V. 1617. Edited By William Foster. London 1901) p. 302.

٩ ـ تجديد الامتيازات التجارية:

كان الشاه عباس الأول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) أفضل أصدقاء الشركة الانكليزية في فارس. وبعد وفاته في عام ١٦٢٩ لم تستطع في عهد خلفه الشاه صفي تجديد الامتيازات التي حصلت عليها إلا بعد أن تعهدت بشراء ما قيمته ٢٠,٠٠٠ تومان (ما يعادل ٦٠,٠٠٠ جنيه استرليني) من الحرير الفارسي سنوياً على أن تدفع ثلث القيمة نقداً والباقي مقايضة بالبضائع الانكليزية والشرقية. كما كان عليها تقديم هدايا شخصية للشاه وللمسؤولين الفرس في مختلف المناسبات وبمعدل ١٥٠٠ جنيه استرليني في كل عام. وإذا ما توقفت عن شراء الحرير الفارسي وفق الكمية التي حددها فرمان الشاه صفي في عام ١٦٢٩ كانت السلطات الفارسية ترفض عروضها لشراء الحرير[١]. واضطرت في عام ١٦٤٢ إلى العودة إلى أصفهان مرة أخرى للمحافظة على مصالحها التجارية بعد أن رفضت السلطات الفارسية دفع حصتها من العائدات الجمركية في جمبرون، ولتقديم الهدايا إلى الشاه لكسب عطفه على مصالحها.

كذلك كان على الشركة الانكليزية أن تدفع رشوة للموظفين المحليين في جمبرون «بندر عباس» على الرغم من نصيبها الضئيل من العائدات الجمركية[٢]. كما فرضت السلطات الفارسية قيوداً على التجارة الانكليزية في بعض الأحيان لمعارضة التجار الفرس بسبب المنافسة التجارية وعرقلة الموظفين الفرس بهدف الحصول على الأموال والهدايا.

(١) (Postscript) Oct. 26, 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp. 53-54.
وانظر أيضاً، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٢) President Fremlen, Francis Breton, And John Wylde At Swally Marine To The Company. Jan. 27, 1642 (The English Factories In India. Vol.VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) pp. 2-4, 27; Hall, Lasley A. Op.Cit. p.3.

١٠ ـ عدم ملاءمة ميناء جاسك:

لم يكن ميناء جاسك على الساحل الفارسي الجنوبي والذي يبعد حوالي ألف ميل عن العاصمة أصفهان مناسباً للتجارة الانكليزية، لأن نقل البضائع الى العاصمة سيكون على حساب الأرباح، كما أن الطريق على الساحل الفارسي من جاسك إلى لار ومنها إلى أصفهان محفوفة بالمخاطر، مما يعرض البضائع الانكليزية إلى غارات اللصوص في بلوخستان، ويستدعي توفير حراسة جيدة لها وإرضاء الحكام المحليين في المناطق التي تمر التجارة الانكليزية فيها[١]، وكذلك كان على الشركة الانكليزية إبقاء أسطولها في مدخل الخليج العربي للدفاع عن تجارتها مما يكبدها نفقات إضافية بينما الفائدة التي تحصل عليها من التجارة الفارسية ضئيلة ـ في البداية ـ.

١١ ـ عدم ثبات طريق التجارة الفارسية:

ظلت الشركة الانكليزية تخشى من أن تؤدي عودة السلام بين الصفويين والعثمانيين إلى تحول التجارة الفارسية عن موانئ الخليج العربي وعودتها إلى استخدام الطريق البري عبر الأراضي العثمانية إلى ميناء حلب على البحر المتوسط، لا سيما وأن المناطق الشمالية من فارس مثل جورجيا وجيلان والتي يمكن تسويق الأقمشة الصوفية الانكليزية فيها وهي المناطق التي تنتج الحرير قريبة من الحدود العثمانية.

وكانت الشركة التركية «الليفانت» تأتي بالأقمشة الصوفية الانكليزية إلى حلب ومنها يعاد تصديرها إلى شمال فارس بسعر أرخص من السعر الذي يمكن للشركة الانكليزية أن تبيع به الأقمشة الصوفية التي تأتي بها إلى ميناء جاسك أو جمبرون[٢]، كما أن الرحلة البحرية من انكلترا إلى حلب، والبرية من حلب إلى شمال فارس أقصر من الرحلة البحرية من انكلترا إلى جاسك والبرية من جاسك إلى أصفهان ومنها إلى شمال فارس.

(١) Sir Thomas Roe To Sir Thomas Smythe Nov. 27, 1616 (Letters Received By The East India Company Vol. IV 1616. Edited By William Foster. London 1900). pp. 220-221.

(٢) Ibid. pp. 246-247.

١٢ ـ عدم تعاون باشا البصرة العثماني:

أثار باشا البصرة العثماني عدة صعوبات في وجه الشركة الانكليزية قبل أن يقفل وكالتهـا في البصرة في عام ١٦٥٧ بسبب الشـائعات التي روجهـا خصومها عن إفلاسها وعجزها عن سداد ديونها وإعلان تصفيتها[١]، وبسبب التفوق الهولندي في الخليج العربي، وقد خضعت الوكالة الانكليزية في البصرة لإشراف الوكيل الانكليزي في جمبرون «بندر عباس» وظلت قائمة حتى عام ١٧٢٣/١٧٢٤. وفي عام ١٧٢٧ قدم باشا البصرة العثماني طلبات متشددة إلى المقيم الانكليزي في البصرة.

١٣ ـ منافسة الشركة الهولندية:

حصلت الشركة الانكليزية من الشاه عباس الأول على امتيازات مهمة في مقابل مساعدتها له في الاستيلاء على جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢، ومن بين تلك الامتيازات التي حصلت عليها تأسيس وكالة تجارية لها في ميناء جمبرون «بندر عباس» والذي أصبح الميناء الرئيسي لتجارتها في منطقة الخليج العربي، ولكن الآمال التي توقعتها من التبادل التجاري مع فارس لم تتحقق على النحو الذي أرادته، فقد لحقت بها الشركة الهولندية وأقامت وكالـة تجاريـة لها في جمبرون أكبر من وكالتها. واضطرت الشركة الانكليزية أمـام عنف المنافسـة الهولندية في فارس إلى البحث عن مكان آخر آمن للتجارة في الخليج العربي، فأرسلت في عام ١٦٣٥ سفينة صغيرة إلى البصرة وكانت النتيجة مشجعة. وفي عام ١٦٤٥ قررت نقل مركزها من جمبرون إلى البصرة للابتعاد عن النزاع الهولندي الفارسي وعن منافسة الشركة الهولندية لها لا سيما بعد أن أغرقت الأسواق الفارسيـة ببضائعهـا الهولنـدية[٢] مثـل التوابـل وسبائك الذهب والفضة، حيث كان متوسط عدد السفن الهولندية التي ترد إلى بندر عباس

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley, Op.Cit. p.108.

(٢) President Fremlen, Francis Breton. (The English Factories. Vol. VII) Jan. 27, 1642. p.27; Thos. Barker, John Purifie, And Robt. Loftus To The East India Company. May 19, 1626 Colonial Papers. Vol.IV) pp. 201-202.

عشر سفن في العام. كذلك كانت السفن الهولندية أكبر حجماً وأكثر اتساعاً وأفضل من السفن الانكليزية(١). وبينما كانت تجارة الشركة الانكليزية تضعف باستمرار في الخليج كانت الشركة الهولندية تعزز موقفها في فارس.

وعلى الرغم من المساعدة التي قدمها كرمويل للشركة الانكليزية لتمكينها من الاستمرار في عملياتها التجارية في الشرق فإن مركزها في الشرق قد تعرض للخطر بسبب الفوضى وعدم التنظيم، حتى فكرت في بيع امتيازاتها وممتلكاتها في الهند في عام ١٦٥٧. ولكنها استردت بعض قوتها في الشرق قبيل وفاة كرمويل(٢) في عام ١٦٥٨. وكذلك ألحقت الشركة الهولندية هزائم كثيرة بها خلال الحروب الانكليزية والتي تسببت في إضعاف مركزها في منطقة الخليج العربي مما أثر على هيبتها واحترامها، حتى تمكنت في عام ١٦٨٦ وبعد محاولات متعددة من الحصول على فرمان من الشاه بحماية تجارتها وتأكيد امتيازاتها في ميناء جمبرون «بندر عباس».

١٤ ـ خطر القرصنة:

حرصت الشركة الانكليزية على تحصين مراكزها التجارية ووضعها تحت الحراسة المسلحة في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي، وألحت باستمرار على تزويدها بالسفن الحربية لاستخدامها في الدفاع عن مصالحها التجارية ضد خطر القرصنة التي نشطت في الربع الأخير من القرن السابع عشر. ففي عام ١٦٨٦ قام اثنان من قادة القراصنة الأوربيين بنهب السفن التجارية في البحر الأحمر، كما قام القراصنة الانكليز بنهب المستوطنة البرتغالية في كونغ(٣)، وتبع القراصنة الانكليز في الخليج العربي قراصنة آخرون من الأجانب والمحليين مما أثر على ازدهار الحركة التجارية فيه.

---

(١) Longrigg, Stephn Hemsley, Op.Cit. p.107.

(٢) Miles, S.B. Op.Cit. p.212.

(٣) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus. To The East India Company. Ispahan, Oct.22, 1628, (Colonial Papers. Vol.IV) pp. 562-564; Danvers, F.C. Op.Cit. p.28; Miles, S.B. Op.Cit. p.227.

ثم نشط القـراصنة الانكليـز مرة أخـرى في المحيط الهندي والخليـج العربي، فاستولوا على سفينة حربية كبيرة عائدة إلى أحد التجار الهنود واعتدوا على سفن الحجاج المسلمـين[١] على الـرغم من الاجراءات التي اتخـذها الامبراطور أورنجزيب (١٦٥٨ - ١٧٠٧) لتأمين سلامة قوافل الحج البحرية من الهند إلى مكة المكـرمة[٢]. وازداد عـدد القراصنـة الأوربيين وسرقـوا بضائع التجار على اختلاف جنسياتهم وبدون تمييز، كما هرب بعض البحارة من الشركات الهولندية والفرنسية والانكليزية بسفنهم الحربية واحترفوا القـرصنة التي عمت الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي، مما أثر على ازدهار التجارة الشرقية فيها. ولذلك اتفقت القوى الأوربية في الشرق في عام ١٦٩٨ على التعاون فيما بينها ضد القرصنة، وعهد إلى الأسطول الانكليزي بحراسة المياه الجنوبية وإلى الأسطول الهولندي بحراسة البحر الأحمر وإلى الأسـطول الفرنسي بحراسة مياه الخليج العربي[٣].

ثم أخذت الشركة الانكليزية تتدخل ضد القرصنة في الخليج العربي في القرن التاسع عشر من أجل تـأمين تجـارتها، فشرعت في عمليـات الرقـابة والإشراف الدائم وباستخدام القوة البحرية أو التلويح باستخدامها في شتى المناسبات[٤].

ومهما يكن من أمر فقد شهدت الشركة الانكليزية فترات ازدهـار في القرن السابع عشر وتمكنت من الاحتفاظ بنشاطها التجاري في منطقة الخليج العربي بواسطة وكالاتها التجارية في أصفهان وبندر عباس وشـيراز وكرمـان والبصرة.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit p.229, 233.

(٢) Abbasi, Muhammad Yusuf. Arabia In The Accounts Of The South Asian Travellers. pp. 49-63. (Islamic Studies Quarterly. Journal Of The Islamic Research Institute, Islamabad. Vol. XVIII Spring 1979) p.50.

(٣) Hawley, Donald. Op.Cit. p.76.

(٤) Warden, Francis. (Prepared by) Brief Notes Relative To The province Of Oman. (Bombay. New Series 24. Aug. 1819) p.62.

الفصل الرابع

الهولنديون

مقدمة

بدأ التمرد الهولندي على التاج الاسباني منذ عام ١٥٦٦ بسبب الاضطهاد الديني ونشاط محاكم التفتيش ونتيجة للمعاملة السيئة التي لقيتها السفن الهولندية في الموانئ الاسبانية. وأعلن الهولنديون استقلالهم عن اسبانيا في عام ١٥٨١، ورد الملك الاسباني فيليب الثاني (١٥٥٦ - ١٥٩٨) على ذلك بإغلاق أسواق لشبونة وموانئ شبه الجزيرة الايبرية في وجه السفن الهولندية وحرم عليها نقل البضائع الشرقية من لشبونة، والتي كانت في القرن السادس عشر المخزن الرئيسي للتجارة الشرقية حيث كان الموزعون الهولنديون يأخذون منه ما تحتاج إليه أسواقهم من البضائع الشرقية المفضلة عند الأوربيين الذين تنافسوا فيما بينهم على احتكار تجارة التوابل والبهارات والأفاويه ذات الأرباح العالية، والتي كانت أفضل ما يمكن أن تنقله سفنهم من جزر الهند الشرقية[١].

ونتيجة لقرار فيليب الثاني، ولما كانت الحرب الاسبانية ـ الهولندية قد منحت بعض الازدهار للمصانع الهولندية ووسعت نطاق التبادل التجاري بين هولندا والدول الأخرى[٢]، ولعدم رغبة التجار الهولنديين الاستمرار في دفع الأسعار التي يفرضها الاحتكار البرتغالي عليهم، قرر الهولنديون التوجه نحو

(١) Wilson, Sir Arnold T. The Persian Gulf. (London 1954) p. 159.

(٢) Barker, J. Ellis. The Rise And Decline Of The Netherlands. (London 1906) pp. 125-129.

البحار الشرقية للحصول على السلع والمنتجات الشرقية من مصادرها مباشرة ولتوجيه ضربة قوية للاحتكار البرتغالي للتجارة الشرقية لا سيما بعد أن تبين لهم إمكانية تحدي القوة البرتغالية في الشرق، وخاصة بعد أن أصبحت البرتغال جزءاً من الامبراطورية الاسبانية في عام ١٥٨٠.

ولتنفيذ هذه السياسة التجارية الجديدة عقد التجار الهولنديون اجتماعاً في امستردام في عام ١٥٩٢ قرروا فيه إنشاء شركة هولندية للتجارة مع الهند؛ ورغبة منهم في جمع المعلومات الضرورية للرحلة البحرية الأولى إلى الشرق أرسلوا كورنيلوس دي هوتمان إلى لشبونة وحصلت الشركة على المعلومات التي جمعها جان هيوجن لنشوتن ـ أمين سر كبير أساقفة جاوه، والذي أتاح له منصبه فرصة نادرة للاطلاع عن كثب على عناصر القوة والضعف في مركز البرتغاليين في الشرق. وكان لنشوتن أول هولندي يقدم معلومات قيمة عن التجارة الهندية في نهاية القرن السادس عشر بعد أن ذهب إلى الشرق في عام ١٥٨٣ مع رئيس أساقفة جاوه البرتغالي[١] حيث بقي في جاوه عدة سنوات تمكن خلالها من جمع معلومات مهمة ومفصلة عن المنتجات الهندية وطرق المواصلات إلى الشرق وقام بطبعها في عام ١٥٩٢ ووضعها تحت تصرف الشركة الهولندية.

وبعد ثلاث سنوات من تأسيس الشركة الهولندية الجديدة خرج أول أسطول هولندي من أربع سفن تقل ٢٥٩ رجلاً بقيادة هوتمان للتجارة مع الشرق في عام ١٥٩٥، فبلغ الجزر الأندونيسية مصدر التوابل والبهارات ومركز تجارة الأفاويه مثل الفلفل والقرفة واللبّان الجاوي وغيرها. وعاد هوتمان إلى هولندا في عام ١٥٩٧ بعد سنتين ونصف بثلاث سفن بعد أن فقد واحدة من سفنه ولم يعد من الملاحين سوى ٨٩ رجلاً وقد حققت الرحلة الأولى أرباحاً بلغت ٨٠,٠٠٠ فلورين.

ولعل أهم نتيجة لرحلة هوتمان ظهور مؤسسات تجارية جديدة توحدت في عام ١٥٩٧ باسم «جمعية التجارة مع البلاد البعيدة» واستمرت الرحلات

(١) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.127.

البحرية الهولندية إلى الشرق حتى بلغ عددها (١٥٩٨ ـ ١٦٠١) حوالي خمس عشرة رحلة[١]. ثم اندمجت ست شركات هولندية صغيرة مما أدى إلى تأسيس شركة الهند الشرقية الهولندية التي تم تنظيمها بإيحاء من أولدن بارنفلت وفق مرسوم صدر في ٢٠ آذار ١٦٠٢ عندما منح مجلس الأمة الهولندي الشركة الجديدة احتكار التجارة الشرقية لمدة عشرين سنة، وخوّلها سلطات السيادة الواسعة لعقد المعاهدات والمحالفات مع الدول الآسيوية، وفوّضها القيام باحتلال الأراضي وبناء الحصون والقلاع وتجهيز الجيوش وحق إعلان الحرب لتتمكن من منافسة الشركات الأوربية الأخرى في الشرق، وبذلك أصبحت شركة قومية[٢]. ويعتبر بعض المؤرخين الشركة الهولندية التي تأسست بدمج عدة شركات صغيرة أول عمل تعاوني جماعي من نوعه في العصر الحديث وهكذا تشكلت الشركة الهولندية من ائتلاف قوي لمصالح الجماعات التجارية الهولندية المهتمة بالتجارة مع الشرق وتمتعت بمصادر وامكانيات وقوات أكثر من تلك التي تمتعت بها منافستها الشركة الانكليزية[٣].

وكانت أول معاهدة للشركة الهولندية في الشرق مع الزامورين ـ حاكم المالبار ـ في عام ١٦٠٤ لطرد البرتغاليين من ساحل المالبار وسائر أنحاء الهند،

---

(١) أصدر ملك البرتغال الدوم مانويل مرسوماً في عام ١٥٠٤ حظر بموجبه وضع الإشارات على الخرائط والتي من شأنها أن ترشد على الطريق البحري بعد منطقة الكونغو. وأحاطت الحكومة البرتغالية دائرة رسم الخرائط الرسمية بسرية تامة. ولذلك كان على الهولنديين الاعتماد على تقارير لنشوتن وهوتمان.
أنظر. بانيكار، ك.م: آسيا والسيطرة الغربية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد. (القاهرة، ١٩٦٢) ص ٥٥ ـ ٥٦.
وانظر أيضاً، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي ١٦٣٠ ـ ١٧٦٠. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد. العدد الثالث ـ كانون الثاني ١٩٦١. ص ٢٦١ ـ ٢٧٨)، ص ٢٦٣.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp. 157-159.

(٣) Saleh, Zaki, Mesopotamia (Iraq) 1600-1914. (Baghdad 1957) pp. 39-40; Nyrop, Richard F. Area Handbook For The Persian Gulf States. (?1977) p.23; Al-Musawi, Mustafa Murtada. Persian Trade Under The Safavids 1514-1722. (Sumer, A Journal Of Archaeology & History In Iraq. Vol.XXV. Nos. I & II. 1969. pp. 99-102) pp. 100-101.

وهكذا دخل الهولنديون في صراع مرير مع البرتغاليين بُعَيد وصولهم إلى الشرق[1] على الرغم من حرصهم في البداية على تجنب المواجهة مع السفن البرتغالية بإقامة تجارتهم في المناطق النائية والبعيدة عن النفوذ البرتغالي[2]؛ ولكن البرتغاليين وقفوا منذ البداية أيضاً ضد النشاط الهولندي في الشرق، ورفعوا في وجه الهولنديين وغيرهم سياستهم الدائمة المتمثلة بالبحار المغلقة، وبدأوا هجماتهم على السفن الهولندية منذ عام ١٦٠٣ بشكل عنيف ومركّز ولمدة ست سنوات. ولذلك شرع الهولنديون في احتلال المستوطنات البرتغالية غير المحصنة في آسيا وأفريقية الشرقية والتي لم تستطع الدفاع عن نفسها[3]. فحاصروا جاوه المركز الرئيسي للبرتغال في المحيط الهندي بدون جدوى خلال الفترة (١٦٠٤ - ١٦٠٨) قبل أن تتمكن هولندا واسبانيا من الاتفاق على عقد هدنة بينهما لمدة اثنتي عشرة سنة في عام ١٦٠٩ والتي بموجبها سمحت اسبانيا للهولنديين بحرية التجارة في المحيط الهندي مما منحهم بعض الوقت والامكانيات لبناء امبراطوريتهم التجارية في آسيا[4]. ولكن البرتغاليين في الشرق رفضوا تنفيذ الاتفاق وكانت سياسة هولندا تقوم على التجارة أولاً ثم الاعتماد على القوة الحربية لحماية تجارتها.

ومهما يكن من أمر فقد تمكن الهولنديون خلال الربع الأول من القرن السابع عشر من تأسيس مركز متفوق لهم في الشرق على حساب الممتلكات البرتغالية. ففي عام ١٦٠٥ استولت هولندا على أمبوينا من البرتغال ومارست ضدها سياسة اقتصادية عدوانية ولكن مركز الشركة الهولندية لم يتوطد تماماً في جزر الهند الشرقية إلا بعد استيلائها على باتافيا (جاكرتا) في ٣٠ أيار ١٦١٩،

(١) Saleh, Zakı, Op.Cit. pp. 39-40.
وانظر أيضاً: بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٦.

(٢) De Oliveira Marques, A.H. History Of Portugal Vol.I (New York 1972) p. 336.

(٣) De Somogyi, Joseph, A Short History Of Oriental Trade. (Germany 1968) pp. 113-114, 119.

(٤) De Oliveira Marques, A.H. Op.Cit. p.337.
وانظر أيضاً السيد رجب حراز: افريقية الشرقية والاستعمار الأوربي. (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٢٦ - ٢٧.

وبذلك حصل الهولنديون تدريجياً على المراكز الاستراتيجية المهمة التي كانت للبرتغاليين في البحار الشرقية.

وسبق الهولنديون بذلك الانكليز في الوصول إلى الأماكن الاستراتيجية في البحار الجنوبية، ومن ثم أرغموا البرتغاليين على تسليم مراكزهم في الهند. وقامت الشركة الهولندية خلال هذه الفترة بنقل التوابل والبهارات الشرقية واستثمرتها على نطاق واسع وحققت أرباحاً عالية بلغت نسبتها في عام ١٦١٠ م ١٣٢,٥٪[١]. وكان الهولنديون قد بدأوا نشاطهم التجاري في الهند بتأسيس وكالة لهم في سورات ثم مدوا منها تجارتهم إلى موانئ البحر الأحمر في عام ١٦١٧ بهدف التبادل التجاري معها وما لبثت الشركة الهولندية أن حصلت في عام ١٦١٨ على ترخيص من السلطات العثمانية بالتجارة مع موانئ اليمن. وفي تموز ١٦١٨ سمح باشا اليمن للهولنديين بإقامة قنصلية لهم في مخا وأخرى في عدن، وأمر بحسن معاملة الرعايا الهولنديين[٢]. كما أخذت الشركة الهولندية توطد مركزها بقوة وثبات في جزر الهند الشرقية وتبحث عن التجارة في كل مكان وتحشد عدداً هائلاً من السفن الحربية والتجارية في المياه الشرقية كما تمكنت من تدمير عدد من السفن البرتغالية.

وفي الربع الثاني من القرن السابع عشر تبنت الشركة الهولندية اجراءات عنيفة وقاسية للاستمرار في المحافظة على احتكارها التجاري، وانتهجت سياسة عدوانية ضد المصالح البرتغالية في الشرق. ففي عام ١٦٤١ انتزعت من البرتغاليين مالقا، وكانت من أهم المراكز البرتغالية في الشرق ومزقت بذلك نظام الدفاع البرتغالي في الشرق الأقصى الذي وضع أساسه الفونسو دي

---

(١) Williamson, James A.A Short History of British Expansion. (London 1955) pp. 218-219; Sykes, P.M. A History of Persia Vol. II. (London 1915) p.280; Birdwood, Sir George. Report On The Old Records Of India Office. (London 1891) p.183.

وانظر أيضاً بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٧، ص ٧٤ - ٧٥.

(٢) Hamilton, C.J. The Trade Relations Between England And India. 1600-1896. (Delhi 1975) p.13; Davis, D.W. A Primer of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade. (?1961) p.94.

البوكيرك كما استسلمت البرتغال رسمياً في عام ١٦٤١ أمام الادعاءات الهولندية بشأن تجارة التوابل والأفاويه بتوقيعها معاهدة مع هولندا سمحت لها بالاحتفاظ بفتوحاتها في الشرق؛ كما أعطت المعاهدة الجانبين البرتغالي والهولندي حرية الملاحة والتجارة في المياه الشرقية(١).

ولكن على الرغم من المعاهدة استمر الهولنديون في تهديد التجارة البرتغالية في الشرق انطلاقاً من مالقا حيث عادوا فحاصروا جاوه مرة أخرى في عام ١٦٤٣ بعد فشلهم في حصارها في عام ١٦٠٣، واستولوا في عام ١٦٥٢ على موطئ قدم لهم في منطقة رأس الرجاء الصالح وأقاموا فيها محطة لإصلاح سفنهم وتموينها(٢)، ونجحوا في طرد البرتغاليين من سيلان بعد استيلائهم على كولمبو في عام ١٦٥٤ بعد حصار طويل لها، واحتلوا كوتشين أول مركز برتغالي في الشرق في عام ١٦٦٠. ثم سقطت المراكز التجارية البرتغالية الصغيرة في قبضة الهولنديين واحدة تلو الأخرى كما استقر الهولنديون في فرموزا وأقاموا حصناً فيها واتخذوها مركزاً لتطوير تجارتهم مع اليابان(٣).

ومن كولمبو أخذ الهولنديون ينظمون الحملات البحرية للقضاء على التجارة البرتغالية التي لم يبق من مراكزها في المحيط الهندي في النصف الثاني من القرن السابع عشر سوى جاوه وذامان وديو بعد تنازل ملك البرتغال لملك انكلترا عن بومباي في عام ١٦٦٥. وبذلك كانت هولندا أكثر القوى الأوروبية إسهاماً في تصفية الوجود البرتغالي .ووراثته في البحار الشرقية على الرغم من

---

(١) Hamilton, C.J. Op.Cit. p.13; Colonial Papers. Vol.II. 1617-1621. March 7, 1617. pp. 20-21.

وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٧.

(٢) Havers, G. The Travels Of Pitro Della Valle In India. From The Old English Translation of 1664 — (U.S.A. 1892) p.XII.

وانظر أيضاً، السيد رجب حراز: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦ - ٢٧.

(٣) Mukherjee, Ramkrishna. The Rise And Fall Of The East India Company. (Berlın 1958) pp.106-107; Strandes, Justus. The Portuguese Period In East Africa — Translated From The German by Jean F. Wallwork — (Nairobi 1968). p.196.

وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٧٤ - ٧٥.

المحاولات التي بذلتها السلطات البرتغالية لتسوية خلافاتها مع هولندا منذ عام ١٦٤٠ بهدف تشكيل حلف ضد العدو الاسباني المشترك؛ فقد استمرت هولندا في انتهاج سياستها العدائية ضد المصالح البرتغالية في المياه الشرقية. وهكذا سيطر الهولنديون في النصف الثاني من القرن السابع عشر على القسم الساحلي من سيلان، مع احتفاظهم بمؤسساتهم التجارية في الهند واحتلوا مالقا. وأصبحت تجارة الملايو في قبضتهم، وأشادوا في جزر الهند الشرقية امبراطورية تجارية مزدهرة مارسوا فيها التجارة مع الصين واليابان.

الهولنديون في الخليج العربي

انهمك الهولنديون في إضعاف البرتغاليين في المياه الافريقية والهندية في الوقت الذي كانت فيه البرتغال تعاني من الضعف في منطقة الخليج العربي نتيجة للعمليات الحربية الفارسية والانكليزية ضدها. وكانت مصلحة الانكليز والهولنديين قد قضت بمقاومة البرتغاليين واضعاف نفوذهم في الشرق؛ ولذلك اتفقت الشركتان الانكليزية والهولندية في تموز ١٦١٩ وتعهدت كل منهما بمساعدة الأخرى وبتقديم عشر سفن حربية لحماية التجارة في البحار الشرقية؛ ولكن ذلك الاتفاق لم يمنع الهولنديين من الاعتداء على المصالح الانكليزية في الشرق[1]، وعلى الرغم من ذلك توقع الانكليز في عام ١٦٢١ مساعدة الهولنديين لهم ضد البرتغاليين في الخليج العربي؛ ولكن المساعدة الهولندية تأخرت بضعة أعوام لأن اتصال الهولنديين بالانكليز في الخليج العربي لم يبدأ إلا بعد سقوط هرمز في عام ١٦٢٢ في يد القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة.

وبعد التفاهم بين الهولنديين والانكليز والترحيب الفارسي بالهولنديين باعتبارهم حليفاً مشتركاً ضد البرتغاليين وقع الاشتباك الأول بين الانكليز والهولنديين من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى في عام ١٦٢٥ لمنع البرتغاليين من استعادة هرمز، ومن ثم استخدم الهولنديون ميناء جمبرون

---

(١) Miles, S.B. The Countries And Tribes Of The Persian Gulf. (?1966) p.208.

كمركز تجاري بوصفهم حلفاء للانكليز وخلال فترة قصيرة أصبحت التجارة الهولندية أكثر ازدهاراً من التجارة الانكليزية وحصل الهولنديون على أرباح وفوائد أكثر من الانكليز. وهكذا بدأ التنافس العنيف بين الانكليز والهولنديين في الخليج العربي.

ثم أخذ النفوذ الهولندي يتغلغل في فارس بعد أن منح الشاه عباس الأول الشركة الهولندية فرماناً بإقامة وكالة تجارية لها في جمبرون. ومن جمبرون أخذ الهولنديون في تحدي المركز التجاري للانكليز في فارس وسعوا بكل الوسائل لإلحاق الأذى بالانكليز(1) ولاحتكار تجارة التوابل بين جزر الهند الشرقية وفارس. ونادراً ما أبدوا تسامحاً مع الانكليز في الخليج العربي والمحيط الهندي. ثم قامت البعثات الهولندية بزيارات كثيرة لأصفهان حيث منحها الشاه عباس الأول حق شراء الحرير الفارسي من أي مكان في فارس حرصاً منه على إيجاد منافسة بين الراغبين في شراء الحرير الفارسي ليحقق أرباحاً أكثر(2). وبذلك أصبحت الشركة الهولندية منافسة تجارية قوية للشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي وفارس. وقد حقق الهولنديون منذ بداية اتصالهم بالخليج العربي فوائد تجارية مهمة بسبب الكميات الكبيرة من القرنفل وجوز الطيب، والتي تم بيعها في عام ١٦٢٣ بأرباح عالية. كذلك أحضر الهولنديون معهم الذهب وهو العملة المفضلة لدى الفرس في التعامل التجاري لشراء البضائع الفارسية. أما الانكليز فقد استفادوا من نقل بضائع التجار

---

(١) Law, H.D.G. The Romance Of The Persian Gulf In The 17 th And 18th Centuries. (The Edinburg Review Of Critical Journal. Vol. 246. Oct. 1927 No. 502) p.213; Nyrop, Richard F. Op.Cit. p.23; Saleh, Zaki. Op.Cit. pp.39-41; Captain John Weddell To The President At Surat. Oct.23, 1621 (The English Factories In India. Vol.I. 1618-1621. By William Foster. Oxford 1906) p.310; Captain John Weddell To East India Company April 27, 1625. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-1629) pp.60-61.

(٢) Roelofsz, Meilink. The Earliest Relations Between Persia And Netherlands. (Persica No. VI. 1972-1974. pp. 1-50) p.44.

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: تاريخ الصفويين وحضارتهم، (القاهرة، ١٩٧٦؟) ج ١ ص ٢١٨.

الفرس والأرمن والهنود في سفنهم[1].

وقد أثار النجاح الهولندي التجاري في فارس ارتباك الانكليز وحيرتهم في عام ١٦٢٤ خوفاً من تفوق النفوذ الهولندي في بلاط الشاه عباس لا سيما إذا ما رفضت الشركة الانكليزية تقديم المساعدة العسكرية لتنفيذ خطط الشاه الحربية ضد البرتغاليين في مسقط، مما يؤثر على سمعة الانكليز وعلى الفائدة التي يحصلون عليها من التجارة الفارسية في الوقت الذي يعرض فيه الهولنديون مساعدتهم العسكرية على الشاه، ويبدون استعدادهم للمشاركة بأسطولهم والتعاون مع الفرس والانكليز ضد البرتغاليين ولا سيما بعد محاولات البرتغاليين عرقلة التجارة الهولندية في الخليج العربي.

ولكن عندما تجدد القتال بين الانكليز والبرتغاليين في عام ١٦٢٦ في مياه الخليج العربي تملص الهولنديون من الاشتراك في المعركة حفاظاً على مصالحهم التجارية بينما لحقت بالانكليز خسائر جسيمة[2]. وكثيراً ما تردد الهولنديون في التحالف مع الانكليز ضد البرتغاليين كما حدث في عام ١٦٢٨. وكانوا يبررون موقفهم بضرورة استشارة مركزهم في باتافيا (جاكرتا) قبل القيام

(١) Birdwood, Sir George. Op.Cit. p.185; Savory, Roger M. "A.D. 600-1800" (The Persian Gulf States, A General Survey. Alvinj. Cottrell — General Editor — London 1980. pp 14-40). p.31; Joseph Hopkinson At Surat To President Rastall. Nov 8, 1623 (The English Factories In India Vol.II. 1622-1623. By William Foster. Oxford 1908) p.305, 338; Thos. Barker, John Purifie, And Robt. Loftus To The East India Company. Ispahan, May 19, 1626. (Colonial Papers. Vol.IV. 1625-1629) pp 201-202.

(٢) Boxer, C.R. Anglo-Portuguese Rivalry In The Persian Gulf. 1615-1635. (Chapters In Anglo Portuguese Relations. Edited By Edgar Prestage U.S.A. 1971) pp. 123-124; Thomas Kerridge At Swally To The Company. Nov. 15, 1624, An Account Of The Fights In The Gulf Of Persia. Feb. 4, 1625 (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629 By William Foster. Oxford 1909) p.35, 46; Minutes of A Court To Consider of The Persian Trade. Nov. 24, 1624. Henry Hawley, Pesident, Rich. Bix And Geo. Muschampe To Harris (At Jambi) Batavia. Jun. 10, 1626, (Colonial Papers. Vol.III. p.450, and Vol. IV. p.207, 209).

بأي اجراء عسكري[1]. ولذلك كان الانكليز في شك من رغبة الهولنديين واستعدادهم للدفاع عن السفن الانكليزية في الخليج العربي.

ولما كان الشاه عباس الأول يأمل في مساعدة الهولنديين له ليتمكن من طرد البرتغاليين من مسقط فقد كان على استعداد في عام ١٦٢٤ لعقد اتفاق مع الشركة الهولندية ينص على السماح للهولنديين بإقامة الكنائس، ويكفل لهم حرية ممارسة شعائرهم الدينية. كما أرسل الشاه عباس وفداً فارسياً إلى هولندا لحثها على قطع علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية وللحصول على مساعدتها في طرد القوات البرتغالية من مسقط؛ ولكن لم يتحقق شيء من أهداف الشاه عباس[2]. وعلى الرغم من ذلك حرص الهولنديون على توثيق علاقاتهم مع الشاه فقدموا له هدية بلغت قيمتها حوالى ٥٠ توماناً بينما لم يبعث الانكليز هدية للشاه بعد الاستيلاء على هرمز والتي استفاد الهولنديون منها حيث كانت سفنهم تبحر بسلام بحماية قلعة هرمز التي عمل الفرس على تقويتها إلى جانب تحصينهم قلعة قشم وتوسيعها وإقامة قلعة قوية لهم في جمبرون. وأقاموا فيها جميعها حاميات فارسية قوية.

وقد بدأ الاحتكاك المباشر بين الانكليز والهولنديين عندما رفض الأخيرون دفع الجمارك في بندر عباس على الرغم من احتجاج الشركة الانكليزية، حيث تقاضى الانكليز نصف عائدات الرسوم الجمركية بموجب الاتفاق الذي عقدوه مع الشاه عباس الأول قبيل الاستيلاء على هرمز في عام ١٦٢٢. وكان لدى الانكليز بعض الشكوك في وجود مؤامرة هولندية ـ فارسية لتحصل الشركة الهولندية على جزيرة هرمز[3] بعد أن حاول الهولنديون في

---

(١) William Burt, Robert Wodder, And Robert Loftus At Ispahan To The Company. Oct 22, 1628 (The English Factories In India Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) pp. 288-289.

(٢) William Bell, Thomas Barker, John Purefey, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. Oct. 15, 1623, Jan. 9. 1624. (Colonial Papers. Vol III 1624-1629) pp. 161-164.

وانظر أيضاً، بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٤١٨.

(٣) لوريمر، ج.ج: دليل الخليج (القسم التاريخي) الدوحة ١٩٧٦، ج ١ ص ٥٤.

نيسان ١٦٢٥ إقناع الشاه عباس بإعطائهم هرمز ليتخذوا منها قاعدة للدفاع عن الخليج العربي في وجه القوى المعادية لفارس.

وعندما توفي الشاه عباس في عام ١٦٢٩ جدّد خلفه الشاه صفي الامتيازات للشركة الانكليزية؛ ولكن الهولنديين حصلوا أيضاً على امتيازات مماثلة حيث منحهم الشاه صفي الحرية في الحصول على كل ما يريدونه من السلع الفارسية[١]. وبذلك احتل الهولنديون المركز الأول في التجارة الفارسية. وكان نفوذ الانكليز التجاري في الخليج العربي آخذاً في الضعف منذ عام ١٦٢٧ وبدأ النفوذ الهولندي يحل مكانه تدريجياً في الموانئ الفارسية. ولذلك لم تحصل الشركة الانكليزية على الرغم من كل الجهود التي بذلتها في عام ١٦٣٠ على أكثر من ٢٠٪ مما حصلت عليه الشركة الهولندية من التجارة الفارسية[٢]. فقد عززت الشركة الهولندية مركزها لدى السلطات الفارسية بتقديمها المساعدة العسكرية لها لتشتيت الأسطول البرتغالي الذي قام بمحاولة يائسة لاسترداد هرمز.

ومنذ عام ١٦٣٠ تعرض الخليج العربي إلى زيادة التغلغل الهولندي بواسطة الوكالات التجارية الهولندية في جمبرون «بندر عباس» وقشم وأصفهان. وتعاون الهولنديون مع الانكليز لبعض الوقت ضد الشاه صفي الذي هدد بإنهاء امتيازات تجارة الحرير الفارسي الممنوحة للانكليز والهولنديين. ولكن الشركة الهولندية عادت فوثقت علاقتها مع خان شيراز الذي جهز حملة للاستيلاء على مسقط في عام ١٦٣٢ بعد أن وعدته بتقديم مساعدة عسكرية هولندية مماثلة لتلك التي قدمتها الشركة الانكليزية[٣] للشاه عباس الأول للاستيلاء على جزيرة هرمز في عام ١٦٢٢. وقد استفادت الشركة الهولندية

(١) William Burt, Robert Wodder, William Gibson, Robert Loftus, And John Berriman At Gombroon To The President And Council At Surat. Feb. 20, 1629 (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909) p.319, 322.

(٢) William Burt To Messrs. Heynes And Gibson. (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.39, 41.

(٣) Boxer, C.R Op.Cit. p.117.

من وعدها فقامت في عام ١٦٣٣ بنقل كميات كبيرة من البضائع من فارس وإليها كما حصلت على حقها في الإعفاء الجمركي وقدرت قيمة البضائع السنوية التي نقلتها منذ عام ١٦٢٥ وحتى عام ١٦٣٣ بمبلغ يتراوح بين ٣٠,٠٠٠ ـ ٤٠,٠٠٠ تومان سنوياً[1].

ولذلك حمّل الوكلاء الانكليز في جمبرون «بندر عباس» الشركة الانكليزية مسئولية إهمالها للفوائد التجارية التي يمكنها الحصول عليها من التجارة الفارسية حيث تركتها للشركة الهولندية التي بلغت نسبة أرباحها من تلك التجارة ٣٠٠٪ ـ ٤٠٠٪. وكلما ازدادت المصالح الهولندية في فارس ازداد حرص الشركة الهولندية على إقامة علاقة وثيقة مع السلطات الفارسية. فإذا لم يتمكن وكلاء الشركة من زيارة بلاط الشاه في أصفهان لتقديم الهدايا إليه كانت الشركة تكلف ترجمانها تقديم مبالغ نقدية إلى الشاه وكبار رجال حاشيته. وكانت كمية البضائع الفارسية[2] التي تحصل الشركة الهولندية عليها تعتمد على قيمة المبالغ والهدايا التي تقدمها للسلطات الفارسية.

وخلال العقد الرابع من القرن السابع عشر أحكمت الشركة الهولندية قبضتها على تجارة التوابل والبهارات في فارس ومنطقة الخليج العربي، كما احتكرت تصدير البضائع الفارسية، وأصبحت بذلك تجارة الخليج العربي تحت السيطرة الهولندية، فقد كانت أكثرية السفن والبضائع في جمبرون بندر عباس للشركة الهولندية مما أدى إلى تفوق الهولنديين على منافسيهم الانكليز وإرغامهم على التوجه إلى البصرة في عام ١٦٤٣ لإقامة أول وكالة تجارية لهم فيها على

---

(١) Wm. Gibson, John Sherland, Rich. Cooper, And Wm. Fall To The East India Company. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) pp. 385-386.

(٢) بلغت قيمة الرشوة التي قدمها ترجمان الشركة الهولندية في عام ١٦٣٤ خمسمائة تومان منها ١٣٥ للشاه و١٠٠ لاعتماد الدولة والباقي لكبار موظفي الشاه. ويبدو أن المبلغ كان قليلاً. لذلك لم يسلم الشاه الهولندين أكثر من أربعين حملاً من الحرير الفارسي.

أنظر: Agent Wm. Gibson, Wm. Fall, And The Philip Dickson To The East India Company. Ispahan. Oct. 15, 1634. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.574-578.

الرغم من مماطلة وكلاء الشركة الانكليزية في فارس في تنفيذ التعليمات التي صدرت من رئاسة الشركة الانكليزية بإغلاق وكالتها في أصفهان وبنقل ممتلكاتها من ميناء جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة ضماناً لسلامتها في حزيران ١٦٤٥.

كما شهد منتصف القرن السابع عشر انتقال السيادة في المياه الشرقية من البرتغال إلى هولندا التي تمت السيطرة، لها على الأسواق التجارية في فارس والخليج، ولم يبق للتجارة الانكليزية تأثير فعال في تلك الأسواق. وربما يعزى ذلك إلى الاعتقاد الذي ساد أوساط التجار بحل الشركة الانكليزية[١]. وبذلك بلغ النفوذ الهولندي أوجه، وحصل الهولنديون على امتيازات أخرى من السلطات الفارسية في عام ١٦٤٩ والتي أصبحت ترهب قوتهم، واستغلوا ذلك لإرغامهم على الخضوع لمطالبهم ولا سيما بعد أن تعزز موقفهم في الخليج العربي بعد نجاح العرب في عمان في طرد البرتغاليين من مسقط في عام ١٦٥٠ حيث خلا الخليج من القوى الأوربية المنافسة للهولنديين فوصل أسطول هولندي من عشر سفن إلى ميناء جمبرون «بندر عباس» وأفرغ فيها كمية كبيرة من البضائع[٢] الشرقية. فقد بلغت كمية الفلفل التي باعتها الشركة الهولندية إلى التجار الفرس في جمبرون ١,٥ مليون رطل انكليزي دفعت من ثمنها ما سدد ثمن كل كميات الحرير الفارسي التي ابتاعتها من فارس.

كما وصلت ميناء جمبرون «بندر عباس» في عام ١٦٥١ إحدى عشرة

---

(١) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.163; Miles, S.B. Op.Cit. pp.212-213.
أنظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٩ - ٧٠، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٤، زكي صالح: مجمل تاريخ العراق الدولي في العهد العثماني (القاهرة، ١٩٦٦) ص ١٩.

(٢) Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safavi Dynasty And The Afghan Occupation of Persia. (Cambridge 1958) p.365; Wilson, Sir Arnold T Op.Cit. pp.164-165.
وانظر أيضاً، عبد الأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي، ١٧٤٧ - ١٧٧٨، ترجمة هاشم كاطع لازم، (بغداد، ١٩٧٧) ص ١٨ - ١٩.

سفينة هولندية وبلغت قيمة البضائع التي أفرغتها في الميناء مئة ألف جنيه ألحقت بالتجارة الانكليزية في الخليج العربي ضرراً بالغاً[١]؛ كذلك تمتع الهولنديون بامتيازات لتوريد بضائعهم إلى أصفهان سنوياً مع إعفائها من الجمارك. وبلغت قيمة البضائع الهولندية المعفاة ٢٠,٠٠٠ تومان بينما بلغت قيمة البضائع الانكليزية المعفاة ٥,٠٠٠ تومان[٢] مما يدل على أن حجم التجارة الهولندية في فارس كان يفوق أربعة أمثال التجارة الانكليزية.

ومهما يكن من أمر فقد حققت الشركة الهولندية نجاحاً أكثر من الشركة الانكليزية في منطقة الخليج العربي. وبلغت المنافسة الهولندية ـ الانكليزية ذروتها في النصف الثاني من القرن السابع عشر؛ وكانت أكثر عنفاً وقسوة من المنافسة الانكليزية ـ البرتغالية في الربع الأول من القرن السابع عشر، وأدرك الانكليز أن المنافسة الهولندية أشد خطراً على المصالح الانكليزية من المنافسة البرتغالية[٣]. وبذلك أصبح الهولنديون المنافس الأكثر رعباً للانكليز في الخليج العربي. وظلت المنافسة السياسية والتجارية قائمة بين الجانبين حتى منتصف القرن الثامن عشر عندما تضاءل النفوذ الهولندي فترك الخليج للانكليز.

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٧١.

(٢) Amin, Abdul Amir. British Interests In The Persian Gulf. (Leiden 1967) p.11.

(٣) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. p.110,114; The Historical Section of The Foreign Office, Persian Gulf. (London 1920). pp.64-65; The Prospects of British Trade In Mesopotamia And The Persian Gulf. — Confidential — (Delhi 1917) p.1; Hay, Sir Rupert. The Persian Gulf States (The Middle East Institute. Washington 1959),. p.11.

العلاقات الهولندية ـ الفارسية

أدرك الشاه عباس الأول أهمية المساعدة الهولندية في صراعه ضد البرتغاليين في منطقة الخليج العربي منذ ظهر الأسطول الهولندي لأول مرة خارج مضيق هرمز في عام ١٦٠٧. ولذلك أرسل الشاه عباس سفيره زين الدين خان شاملو إلى هولندا للتفاوض مع حكومتها، ولكن تلك السفارة الفارسية لم تسفر عن نتيجة إيجابية[١]. ورغم ذلك فقد كان الشاه عباس يفضل المساعدة الانكليزية على غيرها في صراعه مع البرتغاليين. فقد ذكر روبرت شيرلي للوكيل الانكليزي ـ كيردج ـ في أجمير في عام ١٦١٤ بأنه إذا لم يقبل الانكليز التجارة مع فارس فسوف يحضر (روبرت شيرلي) الهولنديين الذين يرغبون فيها كثيراً[٢].

وقد اقترن ظهور الهولنديين في الخليج العربي بالمساعدة التي قدمتها سفن الشركة الهولندية بالاشتراك مع سفن الشركة الانكليزية للشاه عباس لإلحاق الهزيمة بالأسطول البرتغالي في عدد من العمليات البحرية الصغيرة خارج ميناء جمبرون «بندر عباس»[٣]، ولمنع البرتغاليين من استعادة هرمز بعد استيلاء القوات الفارسية ـ الانكليزية المشتركة عليها في عام ١٦٢٢. وكان الشاه عباس قد مارس ضغطاً على الهولنديين فيما يتعلق بالامتيازات التجارية والاعفاءات الجمركية لحملهم على الاشتراك مع الانكليز في الحرب ضد البرتغاليين. وتمشياً مع سياسة الشاه عباس تعرضت الشركة الهولندية لمضايقة

---

(١) Lockhart, Laurence. Op.Cit.p.362, 364.

(٢) Surat, Aug. 19, 1614. (Colonial Papers. Vol.I. 1513-1616.) pp.316-317. (٣)

(٣) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.160.

السلطات الفارسية في عام ١٦٢٦ لإرغامها على تسديد ثمن ٣٠٠ حمل من الحرير الجيلاني وتذرع المسؤولون الفرس بأن الفرمان الذي حصل عليه الهولنديون لم يكن نافذاً وأرغموا وكلاء الشركة في فارس على التقدم بالتماس جديد إلى الشاه لمد مفعول الفرمان السابق.

ولكن الهولنديين تمكنوا من الحصول على أصدقاء كثيرين في بلاط الشاه بفضل الهدايا التي بالغوا في تقديمها إلى الشاه والمسؤولين الفرس «كأنما لا قيمة للنقود والبضائع عندهم»[١] ولم يتمكن الانكليز من التفوق عليهم في هذا المجال، ولذلك حصل الهولنديون في عام ١٦٢٧ على منحة من الشاه عباس الأول بتصدير الحرير بشروط أفضل من التي حصل عليها الانكليز في عام ١٦١٧. وبسبب الحرب الفارسية - العثمانية في عام ١٦٢٨ كان الشاه عباس بحاجة إلى قرض بقيمة ثلاثين ألف تومان لتغطية بعض النفقات الطارئة فرضي أن يبيع للهولنديين خمسة آلاف بالة من الحرير سنوياً. وانتهز الهولنديون الفرصة فأغرقوا الأسواق الفارسية بالتوابل والبهارات الشرقية. ولكن الشاه عباس أرغمهم على تقديم هدايا وأموال نقدية في مقابل الاستمرار بالتجارة على نطاق واسع مع فارس. كما أدى الإسراف في استيراد الفلفل إلى بيع ثلث الكمية المستوردة فقط[٢].

وهكذا وثق الهولنديون علاقتهم بالشاه عباس وتمكنوا من تدعيم مراكزهم التجارية خلال السنوات الأخيرة من حكمه (١٦٢٥ - ١٦٢٩) فأقاموا ثلاث وكالات تجارية لهم في أصفهان وجمبرون ولار. وكانت وكالتهم في أصفهان المركز الرئيسي للشركة الهولندية في فارس. كما أشرفت وكالتهم في

---

(١) William Burt To Messrs. Heynes And Gibson. (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers. Vol.V. 1630-1634) p.39.

(٢) Thos. Barker, John Purefey, And Geo. Smith To The East Indian Company. Ispahan. Aug. 1, 1626, June 14, 1626. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.213, 228; William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan, Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vo.IV) pp.562-563.

بندر عباس على تفريغ البضائع الشرقية والأوربية مثل الأصواف والأواني الخزفية والعطور والعقاقير الطبية من السفن الهولندية وإعادة شحنها بالبضائع الفارسية مثل الحرير والسجاد والمخمل. وكانت الوكالة الهولندية في لار محطة لاستراحة القوافل التي تحمل البضائع الهولندية من جمبرون «بندر عباس» إلى أصفهان[١].

وقد وجدت الشركة الهولندية في الشاه عباس حاكماً متنوراً يبحث عن الوسيلة المناسبة لبيع الحرير الفارسي إلى أوربا عن طريق آخر غير الطريق البري الذي يمر بأراضي الدولة العثمانية إلى موانئ البحر المتوسط. وحصلت الشركة الهولندية في عام ١٦٣٠ على فرمان من الشاه صفي منحها أربعمئة حمل من حرير شيروان؛ وقد استمر الهولنديون في تقديم الرشوة إلى المسؤولين الفرس[٢] كما وجد الهولنديون في وفاة الشاه عباس في عام ١٦٢٩ فرصة للمشاركة في تجارة الحرير فقد بقيت الامتيازات التي منحها الشاه عباس للانكليز دون تجديد أو تأكيد لبعض الوقت.

وأبدى الهولنديون مهارة في التجارة مع فارس وأصبح زمام التجارة الفارسية في أيديهم، فاشتروا في عام ١٦٣١ مئتي بالة من الحريرة بسعر ٤٤ توماناً للحمل الواحد على أن يدفعوا قيمتها نقداً في أصفهان في غضون شهرين من تاريخ شرائها؛ وكان قد سبق لهم شراء الحرير الفارسي بسعر ٤٥ توماناً على أن يدفعوا نصف القيمة نقداً ونصفها الآخر بضائع وبسعر ٤٦ توماناً بمقايضته مع القصدير. وبذل الهولنديون جهودهم لإغراء التجار الفرس لإحضار الحرير سنوياً إلى ميناء جمبرون؛ وقد قامت الشركة الهولندية بهذا الإجراء بعد أن فشلت محاولاتها لحمل الشاه صفي على المتاجرة معها على الرغم من

---

(١) بديع جمعة وأحمد الخولي: مرجع سبق ذكره، ص ٤٢٠ - ٤٢١.

(٢) William Burt To The East India Company. Ispahan. Feb. 27. 1630: (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.6; William Burt To Messrs. Heynes And Gibson. (Ispahan) Aug. 17, 1630. (Colonial Papers Vol.V) p.39.

إسرافها في تقديم الرشاوى للحصول على عطفه على مصالحها[1]. وقد فاجأ الشاه الهولنديين والانكليز عندما أعلن في عام ١٦٣٢ عن الاختلاف في سعر الحرير الجيلاني والحرير الشيرواني. فقد كانت رغبة التجار في حرير جيلان أكثر من حرير شيروان؛ وكان معدل حمل الحرير ٣٧ توماناً ولكن السلطات الفارسية حددت السعر النقدي لحرير جيلان ٤٥ توماناً للحمل الواحد ولحرير شيروان ٤٨ توماناً للحمل الواحد واشترطت دفع نصف القيمة نقداً ومقايضة النصف الآخر ببضائع من الهند[2]. ولما كان الشاه صفي يطالب الشركة الهولندية بمبلغ ١٢,٠٠٠ تومان عن عام ١٦٣١ فقد رفض تسليمها أي بالة من الحرير ما لم تسدد حسابها السابق.

ونشطت تجارة الشركة الهولندية مع فارس؛ ففي عام ١٦٣٢ أحضرت معها من البضائع والنقود ما تعادل قيمته ٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني نصفها نقداً. وكانت خطط الشركة تقوم على احتكار تجارة الحرير والاستمرار في إغراق الأسواق الفارسية بالبضائع والأموال بمعدل ٣٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً. ولكن الشاه ظل يرفض بيع الحرير على الحساب ويطالب بنوعية أفضل من البضائع الأوربية[3]. ومهما يكن من أمر فقد استمر تدفق التجارة الهولندية على الموانئ الفارسية حيث وصلت ثماني سفن هولندية تجارية ترافقها خمس سفن حربية. وكان الهولنديون قد عرضوا على الفرس مساعدتهم العسكرية لطرد البرتغاليين من مسقط، ولكن الانكليز رفضوا الاشتراك في الحملة المقترحة حتى يحصلوا على رد حاسم من الفرس فيما يتعلق بنصيبهم

---

(١) Savory, Roger. Iran Under The Safavids. (Gt. Brit. 1980) p.119; Gombroon, March. 17, 1631 (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p. 130, 135.

(٢) William Gibson, John Sherland, Richard Cooper, And Wm. Halle To The East India Company. Gombroon, Mar. 22, 1632 (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p.257.

(٣) William Pitt And Philip Wylde At Gombroon To The Company. May 16, 1645 (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645. By William Foster Oxford 1913) pp. 265-266, 272; Edward Heynes, William Gibson, And Richard Cooper At Gombroon to the President And Council At Surat. Feb. 26, 1632. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633) p. 210.

من الرسوم الجمركية في جمبرون ولذلك فشل مشروع الحملة الفارسية - الهولندية - الانكليزية المشتركة على مسقط لا سيما بعد أن تسبب الوباء في وفاة عدد كبير من الجنود الهولنديين[1]. ولكن الشركة الانكليزية عادت فوافقت على الاشتراك مع الهولنديين بعد أن تجددت المحاولات الفارسية - الهولندية للاستيلاء على مسقط وطلبت من وكلائها في منطقة الخليج العربي الاشتراك في تلك المفاوضات بما يتفق مع المصالح الانكليزية، وفوضتهم الموافقة على الخطة إذا كان الفرس مستعدين للهجوم على مسقط.

ولكن اهتمام الهولنديين بمسقط تضاءل في عام ١٦٣٣ وتخلوا عن أخذ مسقط بسبب صعوبة الاستيلاء عليها بدون وجود قوة برية مساندة للهجوم البحري عليها. وكان الفرس قد أبدوا اهتمامهم بالاستيلاء على مسقط فور استيلائهم على هرمز ١٦٢٢؛ وكان خان شيراز متحمساً للمشروع ولكن وفاته وضعت حداً للخطة التي وضعها. كذلك هدأت تحركات القائد البرتغالي راي فرايري في الخليج العربي[2]. ورغم ذلك استأنف الهولنديون محاولاتهم للاستيلاء على مسقط وعرضوا مساعدتهم على خان إقليم فارس لتحقيق هدفهم.

ولذلك ظل زمام المبادرة في يد الشركة الهولندية التي كانت أكثر استعداداً لتقديم خدماتها. ففي عام ١٦٣٣ عرض وكيل الشركة الهولندية على الشاه صفي خدمات بلاده في كل المجالات التي يمكن أن تطلبها فارس؛ وبعد أن أكد على قوة الشركة البحرية، التمس من الشاه أن يسمح للسفن الحربية الهولندية بالرسو في جمبرون بعد أن انتشرت الأنباء عن رغبة البرتغاليين في مهاجمة البحرين، وأوضح للشاه أن في وسع السفن الهولندية بعد تزويدها

---

(١) Edward Heynes, William Gibson, And Richard Cooper In Persia To The Company. Feb. 15, 1632. (The English Factories. Vol. IV) pp. 207-208.

(٢) Commission From The President And Council Of India, Persia, Etc.; To Captain Weddell For His Voyage To Persia, Jan. 24, 1633. (The English Factories Vol. IV) p. 271; Cap. John Weddell To The East India Company. Gombroon, Mar. 24, 1633. (Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634) p. 387, 389.

بالذخائر والمعدات الحربية نقل القوات الفارسية إلى البحرين وعندئذ لن يجرؤ البرتغاليون على التصدي لها أو مهاجمة البحرين أو إزعاج أي من رعايا الشاه. وقد اشترط الهولنديون الحصول على نصف الغنائم التي يمكنهم الحصول عليها مقابل ذلك وقد وافق الشاه صفي على العرض الهولندي[١] مما زاد في قوة مركز الهولنديين في فارس.

ولكن العلاقات الهولندية ـ الفارسية واجهت بعض الصعوبات في عام ١٦٤٠ بعد فشل الجانبين الهولندي والفارسي في التوصل إلى اتفاق بشأن الحرير الفارسي؛ فقد عرض الهولنديون على الشاه التعاقد معه لشراء ٤٠٠ حمل من الحرير إذا ما قبل بسعر أقل من خمسين توماناً للحمل الواحد[٢]. ثم تجدد الخلاف في العام التالي بسبب حرص الهولنديين على التهرب من دفع الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس» ومطالبتهم بمعاملة مماثلة للانكليز[٣]. ولتحقيق ذلك لجأت الشركة الهولندية إلى استخدام القوة ضد فارس فأرسلت في عام ١٦٤٥ أسطولها بقيادة بلوك والذي ضم عشر سفن أقلت خمسة عشر ألف جندي لتنفيذ خطتها بالهجوم علي هرمز ولإشاعة الخوف والذعر في فارس. وجاء الأسطول الهولندي معه بفرقاطات بحرية جاهزة وأحضر معه الأدوات والمواد اللازمة لتحصين قشم، لإرغام الشاه على الدخول مع الشركة الهولندية في مفاوضات للحصول على فرمانات أخرى مما سيؤثر على حصة الانكليز في عائدات جمارك جمبرون، ولذلك أصدرت الشركة الانكليزية تعليماتها إلى وكلائها بالاحتجاج ضد الاجراءات الهولندية التي ستلحق الضرر بالمصالح

---

(١) William Gibson, Richard Cooper, And William Fall At Ispahan To The Company, Sep. 28, 1633. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633 By William Foster. Oxford 1910) pp. 318-319; Colonial Papers. Vol. V. 1630-1634. Dec. 2, 1632. p.340.

(٢) Francis Breton, William Fremlen, Thomas Merry, Thomas Alder, William Thruston, And Richard Fitch At Swally Marine To The Company. Jan. 27, 1644. (The English Factories In India Vol. VII. 1642-1645 By William Foster. Oxford 1913) pp. 135-136.

(٣) Miles, S.B. Op. Cit. p.211.

الانكليزية في فارس والخليج العربي[١].

وعندما وصل الأسطول الهولندي جمبرون طلب بلوك من السلطات الفارسية إعادة مبلغ ٤٩٠٠ تومان كان الوكيل الهولندية، في جمبرون «بندر عباس» قد دفعها للسلطات الفارسية كعوائد جمركية متذرعاً أن لا حق لها فيها وفقاً للامتياز الذي منحه الشاه للشركة الهولندية والذي يعفيها من دفع الضرائب عن بضائعها[٢]. ويبدو من هذه الحادثة أن الشركة الهولندية لم تنجح تماماً في الحصول على إعفائها من دفع الرسوم الجمركية في جمبرون.

وبعد فشل المفاوضات هاجم الأسطول الهولندي قشم، ولكنه فشل في الاستيلاء عليها بعد أن فقد عدداً كبيراً من رجاله، وقد استهدفت الشركة الهولندية من استخدام القوة الحصول على مركز قوي في فارس لا يمكن للمنافسين الآخرين الإغارة عليه أو مهاجمته؛ ولذلك جاءت بأعداد كبيرة من السفن وفرضت الحصار على قلعة الحاكم الفارسي في قشم[٣] مما اضطر الشركة الانكليزية إلى نقل بضائعها من ميناء جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة. ولكن هذا الاجراء الهولندي المتشدد نبّه السلطات الفارسية إلى الخطر المحدق بها؛ ولذلك اضطر الشاه عباس الثاني الذي كان على استعداد لمصالحة الهولنديين إلى الاستجابة لمطالب الشركة الهولندية، فتوجه قائد الأسطول الهولندي ـ بلوك ـ إلى أصفهان وانتزع من الشاه فرماناً بمنح الشركة الهولندية حرية شراء الحرير من أي مكان في فارس وتصديره بدون دفع رسوم جمركية عليه مما أدى فيما بعد إلى ادعائها احتكار تصدير الحرير الفارسي[٤]. وهكذا

---

(١) President Breton And Council At Swally Marine To William Pitt, Etc., At Gombroon, Mar. 31, 1645. (The English Factories In India. Vol. VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913) p. 357.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق دكره، ج ١، ص ٧٠.

(٣) Loockhart, Laurence, Op.Cit. p.365; Savory. Roger M. "A.D. 600-1800" (The Persian Gulf States. A General Survey. Alvin J. Cottrell — General Editor — London 1980) p.32.

(٤) Sykes, P.M. Op.Cit. pp. 280-281; William Pitt, Philip Wylde, And Thomas Codrington At Ispahan To The President And Council at Surat. Sept. 7, 1645. (The English Factories In India Vol. VII. 1642-1645. By William Foster. Oxford 1913). p.276, pp. 278-279.

نجحت الشركة الهولندية في كسر الاحتكار الملكي لتجارة الحرير الذي أسسه الشاه عباس الأول، ولكنها في مقابل ذلك حصلت على عداء الفرس وكراهيتهم لها. وفي العام التالي (١٦٤٦) كان سعر الحرير في أصفهان ٣٦ توماناً للحمل الواحد ولكن الهولنديين رفضوا ابتياعه حتى يقوم الشاه بإرساله إلى جمبرون في محاولة منهم لإرغام الشاه على إرسال البضاعة الجيدة[١]، وقد بلغت قيمة التجارة الهولندية مع فارس حوالي مئة ألف جنيه استرليني سنوياً. ووصلت فارس في ربيع ١٦٤٦ سفينتان هولنديتان من الهند لشحن البضائع الفارسية من جمبرون. وكانت السفن الهندية قد انقطعت عن الحضور إلى الموانئ الفارسية خوفاً من دفع الجمارك إلى وكالة الشركة الهولندية في لار[٢].

ومع منتصف القرن السابع عشر كان النفوذ الهولندي قد بلغ أوجه في الخليج العربي، واستغلت الشركة الهولندية خوف الشاه عباس الثاني منها، فتقدمت بطلبات جديدة لا تنقطع مما تسبب في توتر العلاقات الهولندية ـ الفارسية مرة أخرى في عام ١٦٥٣ عندما تسلم حاكم جمبرون أمراً من الشاه بإرغام الشركة الهولندية على دفع مبلغ ٣٥٠ توماناً كرسوم جمركية عن العام السابق، ولكن وكيل الشركة الهولندية قدم هدية للحاكم ريثما تتمكن الشركة من الحصول على إعفاء من الشاه[٣].

وبصفة عامة كانت العلاقات التجارية وثيقة بين هولندا وفارس في الربع الثالث من القرن السابع عشر؛ وفي عام ١٦٦٦ قامت بعثة هولندية بزيارة أصفهان. ومع حلول عام ١٦٨٠ كانت الشركة الهولندية قد وطدت مركزها التجاري في بندر عباس والبصرة وعادت إلى ممارسة ضغطها على

(١) President Breton And Messrs. Marry And Fitch At Swally Marine To The Company. Mar. 30, 1646. (The English Factories In India. Vol. VIII. 1646-1650. By William Foster. Oxford 1914) p.33,35.

(٢) The Factors At Basra To The Company April 13, 1646. (The English Factories. Op.Cit.) p.40.

(٣) Messrs. Spiller, Young, Park, And Joccelyn At Gombroon To The President And Council At Surat. Feb. 8, 1653. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.156, 158.

السلطات الفارسية فحاصرت في عام ١٦٨٤ جمبرون وأرغمت الشاه على الاستجابة لطلباتها[١].

وكانت المنازعات قد تجددت في عام ١٦٨٤ بين الوكالة الهولندية والسلطات الفارسية بسبب تحريض الوكلاء الانكليز لدى الشاه بعد نجاحهم في توسيع تجارتهم مع فارس واستيراد السكر والحرير والسجاد والذهب والفضة والنحاس مما أدى إلى قيام الأسطول الهولندي بمحاصرة بندرعباس. وفي المقابل حاولت الوكالة الهولندية في أصفهان في عام ١٦٨٦ إحداث خلاف بين الشاه الفارسي والوكالة الانكليزية ولكنها فشلت بسبب الدور الذي قام به مترجم الشركة الانكليزية الأرمني في التجسس على الوكالة الهولندية لحساب الانكليز.

كذلك لم ينجح السفير الهولندي ـ الذي زار أصفهان في عام ١٦٩٠ ـ في الحصول على فرمان من الشاه باحتكار تجارة صوف كرمان ولكنه تمكن من استمالة الشاهبندر الفارسي في بندر عباس في عام ١٦٩١ مما تسبب في حدوث كساد شديد للتجارة الانكليزية[٢]، حتى تعذر على الوكالة الانكليزية في بندر عباس استيراد بضائع جديدة في ذلك العام.

ثم زادت المشكلات حدة بين الفرس والعرب في الخليج وتكرر هجوم العرب على السفن الفارسية في الخليج العربي، وخشي الانكليز أن يقوم الهولنديون بنجدة الشاه وما يترتب على ذلك من حصولهم على حقوق الدولة المفضلة في التجارة مع فارس ولكن مخاوف الانكليز لم تتحقق. ويبدو أن الخلاف بين الهولنديين والفرس فيما يتعلق بتسديد مدفوعاتهم من الجمارك قد استمر،ولكن الهولنديين نجحوا في استمالة الشاهبندر الفارسي مرة أخرى فدفع

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١١ ـ ١١٢، وانظر أيضاً، عائشة علي السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق أفريقية (بيروت، ١٩٧٥) ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٣. وانظر أيضاً: محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي. مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٠.

لهم مبلغ ١٣٠٠ تومان من حصة الانكليز في الجمارك. كما احتج الهولنديون في عام ١٦٩٩ لقيام الفرس بدفع جزء من نصيب الانكليز في جمارك جمبرون حريراً لاحتكار الهولنديين تصدير الحرير الفارسي عن طريق البحر[١].

ثم توترت العلاقات الهولندية ـ الفارسية مرة أخرى في نهاية القرن السابع عشر عندما رفض الشاه حسين زيارة الوكالة الهولندية في أصفهان أسوة بزيارته للوكالة الانكليزية فيها. ومهما يكن من أمر فإن الهولنديين لم يثقوا بالفرس، وظل هدفهم يتمثل في الاستيلاء على إحدى الجزر واتخاذها مركزاً مستقلاً لهم في الخليج العربي. وفي سبيل الحصول على ذلك عرض الهولنديون تقديم مساعداتهم للشاه الفارسي في عام ١٧٠٥ عندما زادت غارات الأسطول العربي على السفن الفارسية، ولكن الشاه رفض العرض الهولندي وفضل التعاون مع الانكليز[٢]، وعلى الرغم من الأحداث السابقة فقد احتفظ الهولنديون بمركزهم في بندر عباس حتى عام ١٧٥٩ عندما أرغمهم الانكليز على الانسحاب بسبب تقديمهم المساعدة للحملات الفارسية ضد البحرين والساحل العماني. وكان الهولنديون قد وقفوا في عام ١٧٤٤ إلى جانب الحكومة المركزية في أصفهان ضد حاكم بندر عباس بينما وقف الانكليز إلى جانب الحاكم[٣].

أما العلاقات الهولندية مع العرب في الخليج فكانت ودية بسبب العداء المشترك للوجود البرتغالي، كما استقبل الهولنديون استعادة العرب مسقط في عام ١٦٥٠ بسرور لأن التجارة الهولندية تخلصت من المضايقات التي كانت تتعرض لها من السفن البرتغالية في الخليج العربي. ولذلك استمرت سياسة التفاهم بين الهولنديين ودولة اليعاربة في عمان في عهد الإمام سلطان بن سيف الذي قدم في ١٦٥١ عرضاً للوكالة الهولندية في جمبرون بشأن استخدام الطريق

---

(١) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٣. وانظر: محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٢.

(٢) محمود علي الداود: مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٢.

(٣) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

البري لنقل البضائع الهولندية براً بواسطة الجمال عبر الأراضي العمانية إلى القطيف والبصرة[1] بدلاً من جمبرون. وكان هدف الإمام سلطان بن سيف كسب الشركة الهولندية إلى جانبه في صراعه مع البرتغاليين وإلحاق الأذى بالمصالح الاقتصادية البرتغالية في كونغ، كما أن مصلحة الهولنديين كانت تقضي بترويع الشاه الفارسي فيما يتعلق بتجارة الحرير لحمله على تخفيف الضرائب التي فرضها على الشركة الهولندية في مقابل نقل بضائعها براً من جمبرون «بندر عباس» إلى البصرة عبر الأراضي الفارسية[2].

ولكن مضت عشرون سنة على طرد البرتغاليين من مسقط قبل أن تقوم الشركة الهولندية باستئجار مكتب لها في مسقط لتسهيل شئون بريدها في منطقة الخليج العربي. وفي عام ١٦٧٢ وصل الحاكم الهولندي العام لباتافيا (جاكرتا) في مهمة تجارية إلى مسقط[3]. ولكن العلاقات الودية الهولندية ـ العربية تحولت إلى علاقات عدائية في عام ١٦٩٥ عندما أخذت السفن العربية في مهاجمة السفن الهولندية في الخليج العربي والمحيط الهندي. وعندما اشتد الصراع بين العرب والفرس استنجد الأخيرون بالهولنديين بعد أن فشلوا في الحصول على مساعدة الانكليز، ولكن دون جدوى.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.211.

(٢) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٣) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة (لندن ؟) ص ٣٤.

الصراع الهولندي - الانكليزي

لم يستمر التعاون الهولندي - الانكليزي طويلاً بسبب الخلافات بينهما على الاحتكار التجاري في منطقة الخليج العربي. وكانت الشركة الهولندية قد أصبحت قوة منافسة للانكليز في البحار الشرقية وواجه الانكليز وضعاً صعباً للغاية عندما بدأ الهولنديون يشترون الفلفل بسعر لا يستطيع الانكليز منافستهم فيه(١) وكان ممثل الشركة الهولندية هربرت فينيش قد حصل في عام ١٦٢٣ على فرمان من الشاه عباس الأول بتأسيس وكالة هولندية في جمبرون (بندر عباس)، مما ألحق الضرر بالمصالح الانكليزية لا سيما بعد أن رفض الهولنديون بحزم دفع الرسوم الجمركية في جمبرون «بندر عباس» والتي للشركة الانكليزية الحق في نصفها. وبرهنوا بذلك على رغبتهم في استمرار عدائهم للانكليز. وكانت الشركة الانكليزية قد تمكنت من تأسيس وكالتها في جمبرون في عام ١٦٢٣ ولكنها سرعان ما اكتشفت أن الشركة الهولندية تسير في أعقابها. ولذلك ما لبثت الشركة الانكليزية أن أصيبت بخيبة أمل في تجارتها مع فارس(٢)، ولا سيما بعد أن نجحت الشركة الهولندية في إقامة مركز تجاري لها في بندر عباس في عام ١٦٢٥ بعد الاجراء المشترك الذي قام به الهولنديون والانكليز ضد البرتغاليين؛ وسعت الشركة الهولندية إلى احتكار تجارة التوابل والأفاويه وغيرها من السلع الشرقية الثمينة.

وفي بداية الصراع سجل الهولنديون تفوقاً واضحاً على الانكليز وكان

---

(١) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 103-104.

(٢) Lockhart, Laurence. Op.Cit. p.362, 365; Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629. April 20, 1627. p.341.

مركزهم في جمبرون «بندر عباس» أكثر نشاطاً ونجاحاً. ولم يقتصر التفوق الهولندي على منطقة الخليج بل شمل معظم المناطق الأخرى وعندئذ لم يكن تحدِّي الهولنديين مهمة سهلة بالنسبة للانكليز الذين أخذوا يتذمرون من عنف أساليب الهولنديين الذين أظهروا استبدادهم وطغيانهم في البحار الشرقية مما أثر سلبياً على التجارة الانكليزية وبخاصة بعد أن سعى الهولنديون إلى مساواة أنفسهم بالانكليز في الخليج العربي فيما يتعلق بالامتيازات والاعفاءات الجمركية، مما أثار مخاوف وكلاء الشركة الانكليزية في فارس فتوقعوا سقوط التجارة الانكليزية في قبضة الهولنديين واضطرار الشركة إلى ترك منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي والعودة إلى بلادها[1].

ولكن السلطات الفارسية قررت في عام ١٦٢٤ إرغام الشركة الهولندية على دفع الرسوم الجمركية عن الكميات الكبيرة من البضائع التي أحضرتها إلى ميناء جمبرون فصدر أمر الشاه وخان شيراز باحتجازها حتى تدفع الجمارك ورسم الطريق «خرجراه» عن سنتين وإذا ما رفضت الشركة الهولندية دفعها فعلى حاكم الميناء كسر صناديق أموالها. ليأخذ منها مبلغ ٥,٢٥٠ ريالاً المستحقة عليها، وحتى توافق الشركة الهولندية على استلام كمية الحرير المخصصة لها مما تسبب في غيظ المسؤولين الهولنديين وفي المقابل تسلم الانكليز رسالة مودة وصداقة من حاكم إقليم فارس[2]، ثم ازداد الخلاف عندما اتهم الانكليز الهولنديين بالتطفل وفرض أنفسهم عنوة على الشاه عباس وتخويفه من سوء نية الانكليز نحوه. ولكن الهولنديين عادوا فرفضوا مرة أخرى دفع الرسوم الجمركية[3] عن بضائعهم في عام ١٦٢٥. ولما كان الشاه عباس بحاجة إلى

---

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp. 7-8; Colonial Papers. Vol.III. 1622-1624. Year 1624. p.302.

(٢) Jno. Purefey And Jno. Hayward To The East India Company. Ispahan. April 18, 1624; Thos. Barker, John Purefey. John Benthall, And John Haywarde To The East India Company. Ispahan. May 30, 1624. (Colonial Papers. Vol. III. 1622-1624). p.268, 286.

(٣) Consultations Held While Captain Weddell's Fleet At Gombroon. Jan. 1 — Feb. 10, 1625. (The English Factories In India. Vol. III. 1624-1629. By William Foster. Oxford 1909). p.22, 42; Consultations Held At Gombroon, Present. Thos. Kerridge, Thos. Barker And John Benthall. Factors of Long resi- =

مساعدتهم بسبب خلافه مع البرتغاليين فقد كان في وسعهم السيطرة على التجارة في فارس.

كما نافست الشركة الهولندية الانكليز بإرسالها كمية كبيرة من الأقمشة الصوفية إلى الأسواق الفارسية وبتقديمها هدايا ثمينة وكثيرة إلى الشاه الفارسي. ولكن العلاقات الفارسية ـ الهولندية ساءت في عام ١٦٣٠ عندما رفض الهولنديون استلام حصتهم من الحرير وفق الشروط الفارسية[1]. ولما كانت العادة في فارس قد جرت بإلغاء كل العقود والفرمانات التي سبق للشاه السابق منحها فقد كان على الانكليز والهولنديين إعادة تأكيدها أو تجديدها من الشاه الجديد. وبينما كان وكلاء الشركة الانكليزية يحاولون تجديد امتيازاتهم اصطدمت محاولاتهم بالدسائس والمكائد التي دبرها الهولنديون لهم في بلاط الشاه، ولذلك قاست التجارة الانكليزية كثيراً من المنافسة الهولندية الشديدة وخاصة بعد أن تمكن الهولنديون من تأسيس أنفسهم في فارس وإقامة وكالة لهم في بندر عباس، وبذلك وقعت تجارة التوابل في قبضتهم؛ كما حصلوا على الإعفاء من دفع رسوم الاستيراد على البضائع إلى فارس.

ولما كان الهولنديون خصماً قوياً فقد هددوا مركز الانكليز في الخليج العربي وجردوهم من تجارتهم الفارسية، فلم يبق للانكليز مجال في الأسواق الفارسية، لذلك بدأوا بالتجارة مع البصرة في عام ١٦٣٥ في محاولة مضادة للنفوذ الهولندي في الخليج العربي حيث حققت التجارة الانكليزية ربحاً في البصرة ولكن دخلت البصرة بضائع برتغالية في عام ١٦٤٠ قادمة من مسقط وألحقت ضرراً بالبضائع الانكليزية ولكن المنافسة البرتغالية لم تستمر وأصبحت البصرة من أهم مراكز التبادل التجاري للشركة الانكليزية[2] التي حاولت تجنب

dence in These Parts. Jan. 1 — Feb. 10, 1625, (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) p.2.

(١) Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629. Year 1625. p.29; Court Minutes Of East India Company. Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vol. IV.) p.561 Edward Heynes, And William Gibson To The East India Company. Ispahan. Sep. 1630. (Colonial Papers. Vol.V) pp.51-53.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp. 162-163; Serjeant, R.B. The Portuguese In The Gulf. (Qatar Archaeological Report, Excavations 1973. Oxford 1978) pp. =

عداوة الهولنديين والفرس، فرأى وكيلها في فارس ضرورة شحن ممتلكاتها في بندر عباس وإرسالها إلى البصرة بوصفها أكثر أمناً فوصلت السفينة الانكليزية التي تقل بضائع الشركة بأمان إلى ميناء البصرة في حزيران ١٦٤٥. ولكن الهولنديين أرسلوا أسطولهم التجاري الذي ضم ثماني سفن إلى البصرة فغزا أسواقها مما أضعف التجارة الانكليزية الحديثة العهد فيها بعد أن ألحق خسائر فادحة بالوكالة الانكليزية في البصرة.

وهكذا كان الهولنديون على وشك القضاء على التجارة الانكليزية في الخليج العربي ضمن نطاق المنافسة الانكليزية ـ الهولندية على التجارة الدولية؛ فبذلوا ما في وسعهم لترويع خصومهم الانكليز بعد أن تحولوا من حلفاء لهم في منطقة الخليج العربي إلى خصوم خطيرين للتجارة الانكليزية[1] وبذلك بلغت قوة الهولنديين في الخليج أوجها.

ولكن الهولنديين لم يتمكنوا من المحافظة على استقلال بلادهم بدون الاستمرار في السيطرة على التجارة الشرقية؛ ولذلك فإن أي خسارة قد تلحق بمركزهم التجاري المتفوق في الشرق سوف تلحق الضرر بمركز بلادهم السياسي والتجاري في أوربا[2]. وسيبدو ذلك بوضوح في حروب هولندا مع الانكليز وفرنسا خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر.

= 159-160; Bennet, Thomas Jewell. The Past and Present Connection England With The Persian Gulf. (Journal Of The Society Of Arts. Vol.L. June 13, 1902. pp. 634-652) pp. 639-640.

(١) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp.163-164; Lockhart, Laurence, Persian Cities. (London 1960) p.175; Savory, Roger, Iran Under The Safavids. (Gt. Brit. 1980) pp. 119-120.

(٢) Birdwood, Sir George. Op.Cit. p.191, 213.

الحروب الانكليزية ـ الهولندية

تعود أسباب الحروب الانكليزية ـ الهولندية إلى الحملات العدائية التي شنها الأسطول الهولندي في البحار الشرقية على التجارة الانكليزية في الشرق، وإلى الأضرار المباشرة التي ألحقها الهولنديون بمصالح الشركة الانكليزية في الخليج العربي؛ ولذلك اشتبكت هولندا مع انكلترا في عهد كرمويل في حروب طويلة لحقت خلالها عدة هزائم بالبحرية الانكليزية في منطقة الخليج العربي وخارجها. وكان هدف الهولنديين استئصال الانكليز من جذورهم تماماً من الهند وفارس وعدم الاكتفاء بالتغلب على سفنهم ومصادرة بضائعهم كما كان يحدث من قبل ليحتكروا التجارة الشرقية لأنفسهم ويتحكموا في البحار الشرقية ويمارسوا الضغط على الشاه الفارسي لمنعه من التعاطف مع الانكليز[1]. وعندئذ يَدعَون نصف جمارك جمبرون «بندر عباس»، وقد توقع الانكليز أن يتخذ الشاه الفارسي موقفاً حاسماً من الهولنديين ليؤكد لهم أنه على الرغم من منحهم حرية التجارة في بلاده فإنه لا يسمح لهم بالاستيلاء على

---

(١) قام الهولنديون في منتصف القرن السابع عشر بنقل ثلثي التجارة الدولية. فقد كان لديهم حوالى عشرة آلاف سفينة شراعية وحوالى ١٦٨,٠٠٠ بحار كما بلغت قوة الشركة الهولندية في الشرق ذروتها في الربع الثالث من القرن السابع عشر حيث كان لها حوالى ١٥٠ سفينة تجارية و٤٠ سفينة حربية وعشرة آلاف جندي، وحقق المساهمون فيها أرباحاً بلغت ٤٠٪ وسبب هذا الازدهار سيطرة الشركة على تجارة التوابل في أرخبيل الملايو. انظر: De Somogyi, Joseph. A Short History Of Oriental Trade (Germany 1968) pp. 127-129; President Blackman And Messrs. Pearce And Gary At Surat To The Factors At Gombroon, May 7, 1653, (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.183.

السفن الانكليزية بدون الإعلان عن حالة الحرب، ولمنعهم من بيع البضائع الانكليزية المسروقة في الأسواق الفارسية بدون تصريح منه. وكان الهولنديون قد استولوا في عام ١٦٤٩ على إحدى سفن الشركة الانكليزية في الخليج وأخذوا حمولتها من الفلفل(١). ثم تطور الأمر بين هولندا وانكلترا إلى عداء صريح عندما أصدر البرلمان الانكليزي في عام ١٦٥١ لائحة الملاحة التي نصت صراحة على تحطيم الأسطول الهولندي التجاري، وأعلن كرمويل الحرب على هولندا في عام ١٦٥٢، ولذلك ازداد التوتر في العلاقات الهولندية - الانكليزية في الشرق بسبب المنافسة التجارية الحادة بينهما واستمرت الاعتداءات الهولندية على سفن الشركة الانكليزية(٢). وأرسل الهولنديون في عام (١٦٥٢ - ١٦٥٣) خمس عشرة سفينة إلى جمبرون قدرت حمولتها من البضائع بمئة وعشرين ألف جنيه انكليزي مما زاد في ضعف التجارة الانكليزية في الخليج العربي، ولكن الشاه الفارسي ظل يرفض مساواة الهولنديين بالانكليز فيما يتعلق بالامتيازات التجارية الفارسية لأن الانكليز قدموا خدمات أكثر لفارس في حروبها ضد البرتغاليين.

ووقف البرتغاليون على الحياد ورفضوا الاستجابة إلى العروض التي قدمها الانكليز والهولنديون لهم للانحياز إلى جانب كل منهما. وتصدى الهولنديون للسفن الانكليزية في الخليج العربي وتمكنوا من أسر سفينتين بالقرب من ميناء جاسك على الساحل الفارسي، كما أسروا سفينة ثالثة ودمروا رابعة(٣). وفي أوائل عام ١٦٥٤ قامت خمس سفن هولندية بمهاجمة إحدى

---

(١) President Blackman And Messrs. Pearce And Gary At Surat To The Factors In Persia. June 11, 1653. (The English Fatories Vol. IX) pp. 187-188; A Remonstrance Of The English East India Company Against divers wrong, losses, and damages sustained from The Netherlands. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury Oxford 1913) pp. 143-144.

(٢) (75)Wilson, Arnold T. Op.Cit. pp.164-165.

(٣) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٧٠، ١١٠، وانظر أيضاً، محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، ص ٢٦٩.

السفن الانكليزية وأحرقتها بالقرب من ميناء جمبرون «بندر عباس» وأسرت سفينـة أخرى، ولكي يمنـع الانكليز أية خسـائر أخـرى قد تلحق بسفنهم استخدموا قوارب خفيفة لتنطلق من جاسك لتحذيـر السفن الانكليزيـة في الخليج العربي من خطر وجود سفن هولندية قد تعتدي عليها[1].

وقد عانى الانكليز أثناء حربهم الأولى مع هولندا (١٦٥٢ ـ ١٦٥٤) من سلسلة الهزائم التي لحقت بهم في الخليج العربي وأصبح مركزهم حرجاً بسببها. ولذلك طلبت الشركة الانكليزية من وكيلها في البصرة الانتقال إلى مكان أكثر أمناً واقترحت إرسال الحرير الفارسي عن طريق أصفهان لأن منطقة الخليج العربي قد أصبحت في قبضة الهولنديين[2]. ولكن تجارتهم على الرغم من ذلك ظلت قائمة في جمبرون «بندر عباس».

وقد أدى توتر العلاقـات الهولنـدية ـ الانكليـزية في عـام ١٦٥٣ إلى احتجاز بضائع التجار الآخرين في الموانئ الفارسية خوفاً من أن يعقب مغادرة الهولنديين لمياه الخليج العربي اضطراب عام قـد يؤدي إلى ارتفاع الأسعار. كذلك كانت الأسواق الفارسية كاسدة بسبب غياب الشاه عن أصفهان وعدم قدوم بضائع انكليزية أكثر من الكميات العادية، كما أن الهولنديين لم يرغبوا في إحضار بضائـع أكثر، ممـا زاد في توقعـات التجار زيـادة أسعار البضـائع المستوردة[3].

ولكن معاهدة الصلح بين الانكليز والهولنديين في عام ١٦٥٤ أعادت بعض الاعتبار والاستقرار للمصالح الانكليزية في منطقة الخليج العربي؛ كما قررت اللجنة الهولندية ـ الانكليزية المشتركة التي تشكلت بعد الحرب الأولى

---

(١) John Spiller And Other Factors At Gombroon To The Commanders Of All English Ships. Feb. 18, 1653. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.161.

(٢) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp.7-8.
وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٠.

(٣) Messrs. Spiller, Young, And Park At Ispahan To The Company. Sept. 10, 1655. (The English Factories In India. Vol. IX. 1651-1654. By William Foster. Oxford 1915) p.195.

(١٦٥٢ - ١٦٥٤) أن تدفع الشركة الهولندية تعويضاً قدره ٨٥,٠٠٠ جنيه انكليزي للشركة الانكليزية بالإضافة إلى تعويضات أخرى. وكانت الشركة الانكليزية قد قدمت كشفاً بالخسائر التي تكبدتها على يد الشركة الهولندية خلال الفترة (١٦٢٢ -١٦٥٤)(١).

ومهما يكن من أمر فقد أدى التفوق التجاري الهولندي في منطقة الخليج العربي إلى زيادة قلق الشركة الانكليزية، فاقترحت إقامة مركز تجاري لها في مسقط في عام ١٦٥٩ للوقوف في وجه السيطرة الهولندية على التجارة الفارسية لا سيما بعد أن زاد الهولنديون من استعدادهم للتصدي للانكليز بزيادة عدد السفن الهولندية في الخليج العربي خلال الفترة ١٦٥٩ - ١٦٦٠. ولذلك لم تتمكن الشركة الانكليزية من إبعاد الخطر عن ممتلكاتها في فارس بعد أن أصبح مركزها في الخليج العربي مهدداً. فقد تمتع الهولنديون في عام ١٦٦٣ بأهمية كبرى واحترام عظيم في الخليج العربي استمدوها من وجود أربع سفن كبيرة محملة بكل أنواع البضائع الثمينة من التوابل والنحاس والقصدير والتي جاء بها الهولنديون من باتافيا واليابان(٢). ولذلك عمل الهولنديون على ابعاد الانكليز من الخليج العربي وعلى وقف التجارة الانكليزية في الشرق. ولكن الانكليز كانوا على استعداد للحرب مع الهولنديين إذا ما تأثرت التجارة الانكليزية في الشرق على نحو يهدد بالقضاء عليها.

وهكذا سيطر الهولنديون على التجارة في جمبرون «بندر عباس» حتى عام ١٦٦٤ وعلى تجارة التوابل في الخليج العربي حتى عام ١٦٦٧. فقد أحرق

---

(١) An Account Of The Particular Losses Sustained By The English In The East Indies Through The Proceedings Of The Netherlands Company Since The Treaty Of 1622. May, 1654. (A Calendar Of The Court Minutes Etc. Of The East India Company 1650-1654. By Ethel Bruce Sainsbury. Oxford 1913) p.316.

وانظر: محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي. مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧.

(٢) Selections From State Papers, Bombay, Regarding The East India Company's Connection With The Persian Gulf. p.19, 23, 24.

الهولنديون حمولة أربع سفن من البضائع للمحافظة على أسعارها، ولإرغام التجار الفرس على قبول الأسعار التي يفرضونها عليهم، وكذلك قامت الشركة الهولندية بدور الناقل الرئيسي للتجارة الشرقية في الأقطار الآسيوية، وهو الدور الذي قام به عرب الخليج والجزيرة العربية قبل قدوم البرتغاليين في القرن السادس عشر. وشملت تجارة الشركة الهولندية عدة أنواع من البضائع والسلع الشرقية مثل السكر والنحاس والمخمل والحرير الخام والمطبوع والسجاد الفارسي الفاخر وسبائك الذهب والفضة.

أما الحرب الهولندية ـ الانكليزية الثانية فقد وقعت خلال الفترة (١٦٦٥ ـ ١٦٦٧). ولكن تأثيرها في شئون الخليج العربي كان محدوداً، ولم تترك آثاراً دائمة. وسببها أن قوة هولندا أخذت تهدد المصالح الانكليزية في الشرق ولذلك أصدر البرلمان الانكليزي لائحة ملاحة جديدة، وبدأت بذلك الحرب بين الدولتين، وقد انتصرت انكلترا في هذه الحرب وأرغم الهولنديون على التقهقر إلى موانئهم. ولكن رد الفعل الهولندي في الخليج العربي كان أقل منه في الحرب السابقة[1].

وبعد ثلاث سنوات من الحرب حدث تطور مفاجئ في العلاقات الهولندية ـ الانكليزية بسبب الغزو الفرنسي للأراضي الهولندية في عام ١٦٦٧ فانقلب العداء إلى صداقة لبعض الوقت. ولكن النشاط التجاري الهولندي والانكليزي استمر في عام ١٦٦٩ حيث دخلت مياه الخليج أربع سفن انكليزية وثلاث سفن هولندية ومثلها فرنسية وأفرغت بعض حمولتها من البضائع في جمبرون «بندر عباس» ونقلت الباقي إلى ميناء كونغ والبصرة[2]،

---

(١) Wilson, Arnold T. Op.Cit. p.165. (٣)
وانظر: لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١١، ومحمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨.

(٢) Pahlow, Edwin W. Anglo-Dutch Relations 1671-1672. (Annual Report Of The American Historical Association For The Year 1911. Vol.I pp. 123-127. Washington 1913) p.123; The Surat Presidency, 1670. (The English Factories In India. Vol. I. New Series. 1670-1677. By Sir Charles Fawcett. Oxford 1936). p.203.

بينما خلت مياه الخليج العربي من أي نشاط بحري للعرب والبرتغاليين على حد سواء. ولكن حدث خلاف بين الهولنديين وخان إقليم فارس في جمبرون وتقدم كل من الجانبين بشكوى إلى الشاه الفارسي ولكن وفاة الخان حالت دون قطع العلاقات بين الجانبين[١].

أما الحرب الهولندية ـ الانكليزية الثالثة فقد اندلعت في عام ١٦٧٢ بإعلان فرنسا وانكلترا معاً الحرب ضد هولندا. وكان لهذه الحرب تأثير كبير وعلى نطاق واسع في أوربا وخارجها. فقد رغب شارل الثاني ملك انكلترا في دعم وتأييد قريبه لويس الرابع عشر ملك فرنسا من ناحية وإلى إرضاء التجار والصناعيين الانكليز الذين رغبوا في إضعاف النشاط الهولندي في الشرق[٢] من ناحية أخرى. وكان لويس الرابع عشر قد هاجم هولندا مرة أخرى في عام ١٦٧٢ فاشتعلت بذلك العداوة بين فرنسا وهولندا. وخلال الفترة (١٦٧٢ ـ ١٦٧٤) تمكن الهولنديون من عرقلة مواصلات الشركة الانكليزية بين سورات وبومباي.

وقد وقف شارل الثاني في بداية الحرب إلى جانب فرنسا ضد هولندا، ولكن الرأي العام الانكليزي كان معادياً لفرنسا، فتم عقد الصلح في عام ١٦٧٤ للمرة الثالثة بين انكلترا وهولندا وانضمت انكلترا مع دول أوربية أخرى إلى جانب هولندا التي اعترف باستقلالها رسمياً بموجب صلح نيمون في عام ١٦٧٨. ثم تحالفت انكلترا وهولندا في عام ١٦٨٨ لمعارضة السياسة الفرنسية في أوربا. ولكن هذا التحالف كان على حساب المصالح الهولندية في الشرق[٣]، والتي دفعت الثمن وأصبحت في خدمة المصالح الانكليزية؛ وقد أثر هذا التحالف على مركز هولندا في الخليج العربي، ونتج عن ذلك أن بدأ

---

(١) The Surat Presidency, 1669. (The English Factories In India Vol. XII. 1668-1669. By Sir William Foster. Oxford 1927). p.210.

(٢) Hyma, Albert, A History Of The Dutch In The Far East. (U.S.A. 1953) p.43, 45.

(٣) Saleh, Zaki, Op.Cit. pp.40-41; Mukharjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 106-107.

الهولنديون يفقدون تفوقهم في فارس تدريجياً على الرغم من استمرار منافستهم للانكليز في استيراد المصنوعات الهندية. ولكن الانكليز منعوهم من احتكار الصوف في كرمان.

وعلى الرغم من ذلك استمر الهولنديون في المحافظة على وكالتهم التجارية في جمبرون «بندر عباس» وظلت تجارتهم مع فارس مزدهرة وتمتع الهولنديون بحق تصدير ما قيمته ٢٠ ألف تومان من البضائع إلى أصفهان معفاة من الضرائب في كل عام في مقابل تمتع الانكليز بتصدير ما قيمته خمسة آلاف تومان فقط[١]. ولكن الهولنديين بدأوا يشعرون بنقص مواردهم الاقتصادية بسبب حروبهم مع الانكليز خلال الفترة (١٦٥٢ - ١٦٧٤) ومشاكلهم الصعبة مع فرنسا وقد استفاد الانكليز من هذه التطورات ليمارسوا نفوذهم في الهند مما أثر بالتالي على مركز هولندا في الخليج العربي وفارس.

وحتى عام ١٦٨٠ كان للهولنديين وجودهم القوي في البصرة وجمبرون «بندر عباس» مما جعل من الخليج العربي بحيرة هولندية. وقد جاء دور الانكليز بعد ضعف القوة الهولندية في أوربا مما ترك أثره على مركز ونفوذ هولندا في الشرق، وعلى الرغم من ذلك كانت التجارة الهولندية في الخليج العربي في عام ١٦٨٢ متفوقة على التجارة الانكليزية من حيث كمية البضائع ونوعها، ومن حيث عدد السفن التجارية أيضاً. كما ازداد الدس والتآمر بين الشركتين الانكليزية والهولندية في فارس وأخذت كل منهما تحرض السلطات الفارسية على الأخرى خلال الفترة (١٦٨٤ - ١٦٨٦).

ولكن السياسة العدائية التي مارسها لويس الرابع عشر في أوربا والتي هددت انكلترا وهولندا قد أرغمتهما على تناسي خلافاتهما وضم جهودهما لمواجهة عدوهما المشترك، كما أن الثورة الجليلة في انكلترا في عام ١٦٨٨ والتي نتج عنها طرد ملك انجلترا جيمس الثاني وتولي ابنته ماري وزوجها الهولندي

---

(١) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.11.
وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١١ - ١١٣.

وليم أورانج الحكم في انكلترا وهولندا قد خفَّفا من العداء القديم بين الدولتين[1]. ولكن التقارب الانكليزي الهولندي للوقوف أمام الأطماع الفرنسية لم يمنع من استمرار التنافس التجاري بينهما في منطقة الخليج العربي حيث احتفظ الهولنديون بمراكزهم التجارية فيها حتى نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر.

ولكن القوة البحرية الانكليزية أرغمت الهولنديين على الانسحاب من جمبرون «بندر عباس» في عام ١٧٥٩ لتقديمهم المساعدة للحملات الفارسية ضد البحرين والساحل العماني، ولانضمامهم إلى الحملة التي أرسلها الشاه الفارسي للقضاء على حاكم بندرعباس؛ بينما وقف الانكليز إلى جانب الحاكم ضد السلطة المركزية في أصفهان[2]، مما زاد في حدة الخلافات بين الجانبين في منطقة الخليج العربي في منتصف القرن الثامن عشر.

---

(١) Nyrop, Richard F. Op.Cit. p.23; Al-Musawı, Mustafa Murtada. Op.Cit. pp. 100-101. Lockhart, Laurence. The Fall Of The Safavi Dynasty. Op.Cit. p.367.

(٢) عائشة علي السيار: مرجع سبق ذكره، ص ١٧٨ - ١٧٩.

انهيار النفوذ الهولندي في الخليج العربي

ترك التعاون الانكليزي ـ الهولندي خلال الفترة (١٦٧٤ ـ ١٦٧٧) لمواجهة العدو الفرنسي المشترك آثاره على المصالح الهولندية في الغرب والشرق على حد سواء، فمنذ عام ١٦٨٨ أخذ النفوذ الهولندي في الخليج العربي في الضعف، وبدأت هولندا تفقد مراكزها التجارية لصالح انكلترا التي اتبعت سياسة تجارية تمثلت في تجريد الجهات التي تصل إليها من ثرواتها والسيطرة على أسواقها واحتكار منتجاتها. وأدرك الشاه الفارسي أن الأمور أصبحت في صالح الانكليز فوقف إلى جانبهم واشتد الصراع بين التجار الانكليز والهولنديين لاحتكار المنتجات الصناعية الهندية. ولكن الانكليز تمكنوا من التغلب على منافسيهم وحصلوا على احتكار تجارة صوف كرمان من فارس. وعلى الرغم من هذه المنافسة الشديدة فقد وقف الانكليز والهولنديون ضد فرنسا التي ألحقت الهزيمة بأسطولهم المشترك[١] في عام ١٦٩٠؛ ولكنهم سرعان ما ألحقوا هزيمة مماثلة بالأسطول الفرنسي في عام ١٦٩٢.

ومع نهاية القرن السابع عشر تحسن مركز الانكليز في الخليج العربي عن ذي قبل في عدة مجالات ثم أخذ النفوذ الانكليزي يشتد ويقوى على الرغم مما لحق بالدولة الصفوية من ضعف في آخر عهدها نتيجة حروبها مع الدولة العثمانية والعرب في الخليج[٢]. ويعود السبب في ذلك إلى أن حماسة

---

(١) محمود علي الداود: تاريخ العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٧ ـ ٢٧١.

(٢) Bennett, Thomas Jewell. Op.Cit. p.640.

الهولنديين وطاقتهم قد نفدت وبسبب ضعف قوة هولندا في القارة الأوربية. وقد ترك ذلك أثره في مركز الشركة الهولندية في الخليج العربي بخاصة، وبذلك تبدل الوضع السياسي والاقتصادي في منطقة الخليج لمصلحة الانكليز.

وأخذت محاولات الهولنديين للاستمرار في توطيد نفوذهم في فارس تُمْنَى بالفشل. ففي العام ١٦٩٠ زار سفير هولندي أصفهان بهدف الحصول على فرمان من الشاه يمنح التجار الهولنديين احتكار تجارة صوف كرمان ولكن مهمته فشلت، كذلك فشلت محاولة هولندية أخرى في ١٨ حزيران ١٦٩٧ عندما حصل الانكليز على تجديد امتيازاتهم السابقة من الشاه حسين على الرغم من معارضة الهولنديين الذين بذلوا مبلغاً كبيراً من المال لمنع المصادقة على تجديد الامتيازات الانكليزية[١]. كما جرت محاولة هولندية أخرى في عام ١٦٩٩ لاستمالة الشاه الفارسي لزيارة وكالتهم في أصفهان. ولذلك يمكن اعتبار الزيارة التي قام بها الشاه حسين في تموز ١٦٩٩ إلى الوكالة الانكليزية في أصفهان ورفضه زيارة الوكالة الهولندية ضربة حاسمة موجهة للنفوذ الهولندي في فارس والخليج العربي لأنها أدت إلى تغيير فوري في موقف الشاهبندر الفارسي الذي أصدر أمره بوقف العمل في القلعة الهولندية في بندر عباس[٢].

وعلى الرغم من تمتع الانكليز والهولنديين بمركز متفوق في الخليج العربي في نهاية القرن السابع عشر حيث كان لهم مصالح تجارية مهمة، فإنهم لم يكن لهم نفس الدرجة من التفوق التي تمتع بها البرتغاليون في القرن السادس عشر أو الهولنديون في منتصف القرن السابع عشر. كما أن نهاية القرن السابع عشر شهدت تطورات جديدة تمثلت في ظهور علامات الضعف على الأسرة الصفوية من ناحية وازدياد شأن وأهمية عرب عمان في مياه الخليج من ناحية أخرى.

ثم سمحت انكلترا لهولندا بنقل تجارتها بأمان في حماية الأسطول

---

(١) Serjeant, R.B. Op.Cit. pp. 159-160; Amin, Abdul Amir. Op.Cit. p.11.

(٢) لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ١١٤.

الانكليزي. وما لبث الانكليز أن سيطروا في النصف الأول من القرن الثامن عشر بسهولة على امبراطورية هولندا التجارية[1] بعد أن تبدلت الظروف الدولية في الخليج العربي والمحيط الهندي لصالح الانكليز منذ الربع الأخير من القرن السابع عشر. فقد ضمت الشركة الانكليزية بمباي إلى ممتلكاتها في عام ١٦٨٧، وقامت بالإشراف على توجيه أعمال الشركة في القسم الغربي من المحيط الهندي ومنطقة الخليج العربي والبحر الأحمر. وفي عام ١٧٠٧ دمجت جميع الهيئات التجارية الانكليزية في شركة الهند الشرقية الانكليزية، كما أن حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢ - ١٧١٣) والتي انتهت بصلح أوترخت ١٧١٣ وخروج فرنسا معها مجهدة وحالتها المالية سيئة وفوز انكلترا فيما وراء البحار، بينما احتفظت هولندا بحدودها الأوربية.

وقد بلغ التدهور الهولندي أوجه في نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر، حيث اضطرت الشركة الهولندية إلى الانسحاب من البصرة في عام ١٧٥٣، ثم تركت بندر عباس في عام ١٧٥٩. وقضى العرب على آخر موانئهم الحصينة في جزيرة خرج في عام ١٧٦٦ حيث تولى الأمير مهنا حاكم بندر ريق تصفية النفوذ الهولندي نهائياً.

---

(١) Adamiyat, Fereydoun. Bahrein Islands. (U.S.A. 1955) pp.25-26; Hyma, Albert. Op.Cit. p.43, 45, 167; The Historical Section Of The Foreign Office. Op.Cit. pp. 64-65.

سياسة شركة الهند الشرقية الهولندية

اشتعلت معظم الحروب الهولندية لأسباب تجارية وانتهت بمعاهدات تجارية؛ وقد استهدف الهولنديون منها الحصول على امتيازات تجارية قيمة كلما كان ذلك ممكناً. ولذلك قامت سياسة الشركة الهولندية في الشرق على الاحتكار التجاري مع المحافظة على النفوذ السياسي للشركة، واتبعت في جزر الهند الشرقية سياسة دفع الأموال مقدماً ثمناً لمحصولات المزارعين مما مكّنها من نزع أملاكهم في جزائر باندا وامبوينا ومالقا. ومع منتصف القرن السابع عشر أصبح مركز الشركة الهولندية في تلك الجزر وطيداً على الرغم من صغر مساحة ممتلكاتها في الشرق، ثم أخذ النفوذ الهولندي يتعاظم حتى بلغ أوجه في عام ١٦٨٠. وعندئذ أصبحت الشركة الهولندية في مركز تجاري احتكاري قوي لا ينازعها فيه أحد في ثروة الجزر الأندونيسية، ولكنها على الرغم من ذلك ظلت تبحث عن الأرباح وتبتعد عن التوسع في الاحتلال في البداية. ولكن لحق بهذه السياسة تغير أساسي عندما وجدت أن الاستغلال والاستثمار الاقتصادي أكثر فائدة لها من التجارة[1].

وقد استفادت الشركة الهولندية في الخليج العربي من الانجازات التي حققتها ضد البرتغاليين في المحيط الهندي في النصف الأول من القرن السابع عشر حيث أصبحت لها اليد الطولى في المحيط الهندي بعد أن ألحقت بمالقا كارثة كبيرة روعت البرتغاليين في الخليج العربي[2]، ونتيجة لذلك كان على

(١) Barker, J. Ellis. Op.Cit. p.125, 129.
وانظر أيضاً، بابيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) Hugh Lee To Sec. Winwood. Lisbon. Mar. 22 — April 1, 1617. (Colonial Papers. Vol. II, 1617-1621) p.22.

الشركة الانكليزية أيضاً أن تأخذ بعين الاعتبار إمكانية حصول الهولنديين على حقوق مماثلة للحقوق التي حصلت عليها من السلطات الفارسية.

وهكذا شكلت السنوات الأولى من بدء اتصال الشركة الهولندية بالتجارة الفارسية فصلاً مثيراً في علاقاتها الفارسية والانكليزية، ولما كان الحرير الفارسي احتكاراً للشاه فقد كان على الشركة التعامل مع كبار المسؤولين الفرس، وحققت الشركة الهولندية خلال الفترة (١٦٢٣ - ١٦٣٦) ربحاً من الحرير الفارسي بلغ معدله ٣٠٪ - ٤٠٪ ولكنه انخفض في بعض السنوات إلى ٢٥٪. فيما بلغ الربح في عام ١٦٨٢ م ٢١١٪ ثم انخفض في العام التالي إلى ١٥٣٪. كما حققت الشركة الهولندية من تجارة الحرير الفارسي خلال الفترة (١٦٨٣ - ١٧٤٠) أرباحاً بلغت حوالي ٩٠,٥ مليون جيلدر[١].

وقد نجحت الشركة الهولندية في الخليج العربي والمحيط الهندي في القرن السابع عشر بسبب حرج مركز البرتغاليين والشركة الانكليزية التي لم تستطع الدفاع عن مراكزها التجارية في وجه قوة الشركة الهولندية المدعمة بتمويل قوي وبأساطيل تجارية وحربية لانسجام مصالح الشركة الهولندية واتفاقها مع الحكومة الهولندية[٢]، والتي كانت أكثر استعداداً لتقديم المساعدات المختلفة لفرض الامتيازات بالقوة على حكومات الشرق. كذلك تمتعت الشركة الهولندية باحتكار تجاري تام في الشرق بينما كانت الشركة الانكليزية تتعرض لكثير من النقد وتسمح الحكومة الانكليزية من وقت لآخر لجماعات ولتجار مغامرين بممارسة التجارة مع الشرق.

كما لم يتردد الهولنديون بالتضحية بالآخرين من أجل الحصول على الثروة وانتزاع تجارة التوابل بالقوة من منافسيهم الآخرين وبوسائل غير أخلاقية من وجهة نظر أعدائهم. فمارسوا العنف والخداع والاحتيال والتآمر ونصب المكائد

---

(١) Davies, D.W. A Primer Of Dutch Seventeenth Century Overseas Trade (?1961) pp. 98-100; Colonial Papers Vol. II. 1617-1621. Aug. 4, 1617.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.168; Hall, Lesley A. Factory Records. Persia And Persian Gulf. p.3.

من أجل الاستحواذ على التجارة الشرقية وإلحاق الأذى بتجارة أعدائهم لاسيما الانكليز منهم[1]، على الرغم من دفاعهم عن حرية التجارة البحرية. ولكن مفهوم التجارة الحرة عند الهولنديين كان وسيلة لا غاية؛ ففي البداية حارب الهولنديون من أجل حرية التجارة، ولكنهم لم يقصدوا إطلاقها بدون قيود[2]، بل احتفظوا لأنفسهم بامتيازات تجارية كلما كان ذلك ممكناً.

---

(١) Miles, S.B. Op.Cit. p.208.
(٢) Barker, J. Ellis. Op.Cit. p.125.

أساليب الشركة الهولندية

أبدى الهولنديون مهارة تجارية في التعامل مع حكومات الشرق. وكانت أساليبهم أقل عنفاً من الأساليب البرتغالية؛ وقد نجحوا في القرن السابع عشر في احتكار الأسواق الفارسية وفي إبعاد أي تهديد أوربي لمركزهم التجاري في الخليج العربي بكافة الوسائل مثل استخدام سلاح الرشوة مع الفرس والانكليز وغيرهم، والدعاية المضادة والمضاربات التجارية القاسية وإغراق الأسواق بالبضائع(١). ففي عام ١٦٥٠ بلغ عدد السفن الهولندية التي أفرغت حمولتها في ميناء جمبرون «بندر عباس» عشر سفن كما اشترى الهولنديون كميات من الحرير الفارسي في مقابل الفلفل الذي جاءوا به إلى فارس. وفي العام التالي أفرغت السفن الهولندية في ميناء بندر عباس بضائع قدرت قيمتها بمئة ألف جنيه استرليني.

كما استغل الهولنديون كل مناسبة لإلحاق الأذى بمنافسيهم التجاريين من الانكليز وغيرهم باستخدام الأساليب السابقة، وبدفع أسعار أعلى للمنتجات الفارسية ونجحوا في إبعادهم بعد إضعاف مركزهم وعجزهم عن تحقيق أي ربح تجاري في منطقة الخليج العربي. ففي عام ١٦٣٣ حصل الهولنديون بالرشوة على جزء من الحرير الفارسي المخصص للانكليز كما عرضوا الرشوة على المسؤولين الفرس للسماح لهم بالاحتفاظ بالحرير في الموانئ الفارسية واتفقوا مع الشاه على إضعاف نفوذ الانكليز في بلاده ومنطقة الخليج العربي(٢).

(١) Longrigg, Stephn Hemsley. Four Centuries Of Modern Iraq. (Beirut 1968) p.107.

(٢) Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. pp. 162-163; Captain Weddel At Gombroon To =

وقد تسبب ذلك في إثارة حنق الانكليز على السلطات الفارسية، ولم تجرؤ الشركة الانكليزية على عقد اتفاق جديد لشراء الحرير من الشاه خوفاً من أن يدفع الهولنديون سعراً أعلى. وقد ألحقت المضاربة الهولندية الأذى بالمصالح الانكليزية والهولندية على السواء؛ فقد اضطر الهولنديون إلى الاستدانة من التجار الأرض في فارس وبعد أن عجزوا عن الوفاء بديونهم حجز التجار الأرض على صادراتهم من الحرير.

وهكذا حصل الهولنديون على مركزهم المتفوق في الخليج العربي من خلال ممارسات تجارية لا تعرف الشفقة أو الرحمة[1]. واستخدموا مختلف الأساليب للابقاء على قوتهم التجارية وتطويرها وللقضاء على التجارة البرتغالية والانكليزية المنافسة لهم في فارس ومنطقة الخليج العربي، وسعوا فور وصولهم إلى الشرق لاحتكار تجارة التوابل الثمينة وأخذوا يبيعون البضائع بأسعار أقل من الكلفة في السوق الفارسية[2] رغبة منهم في مقاومة الاحتكارات الانكليزية في فارس. كذلك استخدم الهولنديون القوة من أجل الحصول على مزيد من الامتيازات من الشاه الفارسي وأرغموه على منحهم الحق بالتجارة في جميع أنحاء بلاده والسماح لهم بشراء الحرير وتصديره إلى أي ميناء فارسي بدون رسوم جمركية، كما حدث عندما هاجموا جزيرة قشم في عام ١٦٤٥ مما ولّد حقداً لدى الفرس ضدهم. واستعمل الهولنديون الدس والوقيعة بين وكلاء الشركة الانكليزية والسلطات الفارسية في عام ١٦٨٦. ولكن مترجم الشركة الانكليزية الأرمني تمكن من إحباط المحاولة الهولندية لإفساد العلاقات الانكليزية ـ الفارسية.

= The Company. March 24, 1633. (The English Factories In India. Vol. IV. 1630-1633. By William Foster. Oxford 1910) pp. 293-294.

(١) Hall, Lesley A. Op.Cit. p.3.

(٢) وانظر أيضاً، لوريمر، ج.ج: مرجع سبق ذكره، ج ١ ص ٦٩، ص ١١١ ـ ١١٢.
Hall, Lesley A. Op.Cit. p.3.

الفصل الخامس

الفرنسيون

وصلت أول سفينة فرنسية إلى المحيط الهندي عبر رأس الرجاء الصالح في عام ١٥٢٩ ثم انشغلت فرنسا عن مغامراتها البحرية في المحيطات لبعض الوقت، بينما استمر الانكليز والهولنديون في مجالات الكشف والريادة ثم الهجوم على المركز البرتغالي المتفوق في المياه الشرقية. وعلى الرغم من قيام الانكليز والهولنديين بنقل كميات كبيرة من التوابل والبهارات بواسطة رأس الرجاء الصالح إلى موانئ البحر المتوسط في القرن السابع عشر فإن فرنسا تمكنت من المحافظة على تفوقها التجاري في منطقة شرقي البحر المتوسط[1] بفضل الامتيازات التجارية التي حصلت عليها من الدولة العثمانية في عام ١٥٣٥؛ ولذلك سبقت فرنسا الدول الأوروبية الأخرى إلى توطيد علاقاتها السياسية والتجارية مع الدولة العثمانية، وأقامت قنصلية لها في حلب في عام ١٥٦٠ حيث ازدهرت التجارة الفرنسية فيها لبعض الوقت قبل أن تمتد إليها المنافسة التجارية الانكليزية.

وأدرك الملك هنري الرابع (١٥٨٩ـ ١٦١٠) أهمية المساواة في التجارة الشرقية مع الدول الأوروبية الأخرى فحاول تأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند في عام ١٦٠١. وقام في عهده بعض المغامرين الفرنسيين بالتوجه نحو الشرق عبر رأس الرجاء الصالح. ولكن سفينتهم ارتطمت بالقرب من جزر

(١) Lybyer. A.H. The Ottoman Turks And The Routes Of Oriental Trade. (The English Historical Review. pp. 577-588. No.CXX. Vol. XXX. Oct. 1915) p.586.

المالاديف[1] ثم انشغلت فرنسا مرة أخرى عن الشرق بالتطورات التي جدت في القارة الأوربية.

وقد بدأت الاتصالات الفرنسية بالحكومة الفارسية في العقد الثالث من القرن السابع عشر. فقد كان الوزير الفرنسي ريشيليو مهتماً بالتجارة الشرقية؛ فأرسل بعثة فرنسية إلى الشاه عباس الأول لعقد معاهدة تجارية مع فارس، ولكن البعثة لم تتمكن من متابعة سفرها بعد توقفها في استانبول نتيجة للخلاف الذي نشب بين رئيس البعثة دي شيس والسفير الفرنسي في الآستانة.

ثم وفد على بلاط الشاه عباس الأول راهبان فرنسيان من طائفة الفرنسيسكان ولكن زيارتهما لم تسفر عن نتيجة[2] رغم ترحيب الشاه بهما. وكانت المفاوضات قد جرت بين الجانبين الفارسي والفرنسي بهدف التوصل إلى عقد معاهدة تجارية. وكان الشاه عباس يتوقع زيادة الطلب الأوروبي على الحرير الفارسي الذي توسع في إنتاجه. ولذلك اهتم في عام ١٦٢٨ بالتبادل التجاري مع فرنسا لتسويق الحرير الفارسي في أسواقها والاستفادة من سفنها في نقل البضائع بين الهند وفارس[3]. كما كان للفرنسيين أيضاً تجارة محدودة في المنسوجات مع البصرة في عام ١٦٢٨.

وكان الوزير الفرنسي كولبير (١٦٦١ - ١٦٨٢) تواقاً إلى بناء أسطول بحري قوي جديد بفرنسا، ومهتماً بتأسيس شركة فرنسية للتجارة مع الهند، ولذلك تأسست في عهده شركة الهند الشرقية الفرنسية من أجل تطوير التجارة مع الهند وبلاد الشرق في عام ١٦٦٤، وكان نظامها على غرار نظام الشركة الانكليزية. وبعد تكوين الشركة مباشرة غادرت فرنسا بعثة فرنسية من خمسة

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم: بريطانيا وامارات الساحل العماني (بغداد، ١٩٧٨) ص ٦٠ - ٦١.

(٢) المرجع السابق، ص ٦١ - ٦٢.

(٣) William Burt, Robert Woder, And Robert Loftus To The East India Company. Ispahan, Oct. 22, 1628. (Colonial Papers. Vol. IV. 1625-1629) pp. 562-564.

أعضاء إلى فارس للتفاوض مع الشاه عباس الثاني (١٦٤١ - ١٦٦٦) ووصلت إلى أصفهان في تشرين الثاني ١٦٦٥ واستقبلت البعثة استقبالاً ودياً وحملت معها رسالة من لويس الرابع عشر إلى الشاه عباس الثاني وحصلت الشركة على إعفاء من كل الضرائب والرسوم الجمركية لمدة ثلاثة أعوام[١] بالإضافة إلى الامتيازات المماثلة لتلك التي حصل عليها الهولنديون والانكليز. كما منح الشاه الفرنسيين حق تأسيس وكالة لهم في بندر عباس وأخرى في أصفهان[٢]. ووعد البعثة بموافقته على عقد معاهدة رسمية للتجارة مع فرنسا إذا ما وصلته الهدايا المناسبة. وقد تم تأسيس الوكالة الفرنسية بالقرب من الوكالة الانكليزية في بندر عباس في عام ١٦٦٧ وبدأت التجارة الفرنسية مع فارس ولكن على نطاق محدود لتأخر فرنسا في إرسال الهدايا التي وعدت الشاه بها مما أضعف مركز وكالتها التجارية. ولذلك بادرت الشركة الفرنسية إلى إرسال الهدايا الثمينة فسمح الشاه لها بمواصلة تجارتها الفارسية، ولكن بدون امتيازات خاصة.

وقد حاولت فرنسا في عهد كولبير فرض سيطرتها على جزيرة سيلان فأرسلت أسطولاً كبيراً بقيادة جاكوب دي لاهاي في عام ١٦٧٠، ولكن يقظة الهولنديين حالت دون استقرار الفرنسيين في جزيرة سيلان، وبذلك لم تحقق الحملة الفرنسية هدفها ولكن فرانسوا مارتن نجح في تأسيس المستوطنة الفرنسية في بوند شيري في الهند، وكذلك استقر عدد من الفرنسيين في سورات[٣].

وكان كولبير قد عقد العزم على شن حرب ضد هولندا وانتزاع السيطرة

---

(١) Savory, Roger. Op.Cit. p.120.
وانظر أيضاً: أحمد مصطفى أبو حاكمة: محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة. (القاهرة، ١٩٦٨) ص ٣٢.

(٢) Sykes, P.M. Op.Cit. p.281.

(٣) صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي. ١٧٩٨ - ١٨١٠. (بغداد، ١٩٧٩) ص ٢٥، ٣٥ - ٣٧. وانظر أيضاً، بانيكار، ك.م: مرجع سبق ذكره، ص ٦٢.

البحرية منها ؛ وقد ألحقت المنافسة الفرنسية ضرراً بالمصالح والمخططات الهولندية في الشرق وحاقت الهزيمة بالهولنديين في معاركهم البحرية مع فرنسا مما اضطرهم للبحث عن حلفاء لهم فتحالفوا مع الانكليز في عام ١٦٨٨ لمواجهة الخطر الفرنسي بعد تسوية الخلافات الهولندية ـ الانكليزية لتوحيد الجهود ضد العدو الفرنسي المشترك .

وقد ألحق التحالف الانكليزي ـ الهولندي ضرراً بالغاً بالمصالح الهولندية في الخليج العربي والمحيط الهندي . وإذا كانت المنافسة الهولندية قاسية بالنسبة للانكليز فإن المنافسة الفرنسية كانت أشد قسوة لاستغراقها وقتاً أطول ولأنها بالمقارنة مع المنافسة الانكليزية ـ البرتغالية في النصف الأول من القرن السابع عشر كانت أكثر خطراً على المصالح الانكليزية[١]. ولذلك لحقت بالشركة الانكليزية خسائر فادحة في صراعها مع فرنسا بمقارنتها بالخسائر التي لحقت بها خلال صراعها مع هولندا . وكان الفرس على قدر كاف من الدهاء للاستفادة من المنافسات الأوربية للحصول على المساعدة العسكرية ولبيع منتجاتهم التجارية بأسعار عالية .

ولكن القوة الفرنسية بدت منهارة في عام ١٦٩٧ وانتهت الحروب الفرنسية ـ الانكليزية في أوربا بتوقيع معاهدة رايزفيك Ryswiek في ٢١ أيلول ١٦٩٧ التي منحت فرنسا فترة من الاستقرار مكنتها من الالتفات إلى تجارتها الشرقية ومن استعادة بوند شيري التي استولى الهولنديون عليها في ١٦ أيلول ١٦٩٣ ، مما قوى مركز فرنسا في الهند . وفي عام ١٦٩٨ اتفقت انكلترا وهولندا وفرنسا فيما بينها على حماية المياه الهندية والعربية من هجمات القراصنة التي هددت السفن التجارية والأوروبية والمحلية ؛ فكان على فرنسا حماية السفن التجارية في منطقة الخليج العربي وعلى هولندا حماية السفن التجارية في البحر الأحمر بينما عهد لانكلترا بحماية البحار الجنوبية من خطر القرصنة[٢]. ولكن

---

(١) Mukherjee, Ramkrishna. Op.Cit. pp. 109-110.

(٢) Cotton, Sir Evan. East Indiamen. (London ?) p.151; Adamiyat, Fereydoun. Op.Cit. p.25; Wilson, Sir Arnold T. Op.Cit. p.195.

الاجراءات التي تم الاتفاق عليها لم تكن كافية لمنع استمرار القرصنة في المياه الشرقية، كما لم يمنع هذا الاتفاق نشوب صراع عنيف بين فرنسا وانكلترا في المحيط الهندي بعد ضعف النفوذ البرتغالي والهولندي فيه. وكانت السفن الفرنسية قد هاجمت ميناء بندر عباس وضربت الوكالة الانكليزية بالمدافع[1] خلال حرب السنوات السبع (١٧٥٦ ـ١٧٦٣) والتي انتهت بتنازل فرنسا عن مستعمراتها في شبه الجزيرة الهندية.

وكان للشركة الفرنسية اتصال تجاري محدود مع البصرة بدأ في عام ١٦٧٩ عندما أمرت الحكومة الفرنسية بتعيين رئيس الآباء الكرمليين والايطالي الجنسية قنصلاً لها فيها.[2] وفي البداية لعب الفرنسيون دوراً محدوداً جداً في مجال السياسة والتجارة في الخليج ولم يقم القنصل الفرنسي في البصرة بدور مهم بسبب حجم التجارة الفرنسية المحدودة. ومنذ عام ١٦٧٩ وحتى عام ١٧٣٩ بقيت الإدارة القنصلية الفرنسية بأيدي رجال الدين على الرغم من أن القناصل الفرنسيين قد أصبحوا في عهد الوزير الفرنسي كولبير موظفين مدنيين يعينهم الملك الفرنسي بعد أخذ رأي غرفة التجارة الفرنسية في مرسيليا ومدير إقليم بروفانس بعد أن كانوا تابعين لغرفة تجارة مرسيليا. وحرم كولبير على القناصل الفرنسيين الاشتغال بالتجارة أو جباية الرسوم من التجار لمنفعتهم وقرر لهم مرتبات ثابتة[3]. وقد تم تعيين أول قنصل مدني فرنسي في البصرة في عام ١٧٤٠. ولكن التجارة الفرنسية لم تزدهر فيها وظلت المصالح الفرنسية حتى العقد الخامس من القرن الثامن عشر تحت رحمة الحاكم المحلي لمدينة البصرة. ولكن مركز الفرنسيين التجاري تعزز وأصبح لهم وكالة دائمة في البصرة في عام ١٧٥٥.

---

(١) محمود علي الداود: العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي. (مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد لعام ١٩٦٠، ص ١ ـ ٣٠) ص ١٨.

(٢) Hawley, Donald. The Trucial States. (London 1970). p.202; Saleh, Zaki. Op. Cit. p.50.

(٣) Amin, Abdul Amir. Op.Cit. pp. 13-14.
وانظر أيضاً، أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في النهضة العربية الحديثة (القاهرة، ؟) ص ٢٠٣.

وحظيت مسقط بأهمية في مجال الاستراتيجية الفرنسية في الخليج العربي بعد تأسيس شركة الهند الشرقية الفرنسية في عام ١٦٦٤، ووجهت فرنسا اهتماماً خاصاً بها فقدَّم أحد المبعوثين الفرنسيين إلى فارس واسمه دي لالين Delalain اقتراحاً في عام ١٦٦٧ بضرورة الاستيلاء على مسقط واتخاذها قاعدة بحرية فرنسية. وكان المبعوثون الفرنسيون إلى فارس (١٦٩٩ - ١٧١٩) يدرسون الخرائط ويضعون المخططات لإقامة قوات فرنسية في قلعتي جلالي وميراني في مسقط. كما كتب فرنسيون آخرون مذكرات ومشروعات معاهدات لعقد تحالفات مع فارس للاستيلاء على مسقط، وقد حددت تلك المشروعات حصة فرنسا والفوائد التي يمكنها أن تحصل عليها من امتلاك مسقط والاستيلاء على قلعتيها؛ غير أن تلك المشروعات لم تتحقق[1] ولم يتم الاتصال المباشر بين فرنسا ومسقط إلا في عام ١٧٤٩ عندما هاجم الجنود الفرنسيون سفناً بريطانية كانت موجودة في ميناء مسقط.

وفي العقد الأول من القرن الثامن عشر حاولت فرنسا استئناف تجارتها مع منطقة الخليج العربي على الرغم من استمرار المنافسة الانكليزية والهولندية لها. فغادرت فرنسا بعثة إلى أصفهان في عام ١٧٠٥ وتوصلت إلى عقد معاهدة مع الشاه حسين في أيلول ١٧٠٨ حصلت فرنسا بموجبها على تسهيلات تجارية واعفاءات ضريبية لمدة خمس سنوات تفرض بعدها ضرائب على الصادرات والواردات الفرنسية بنسبة ٣٪. ولكن المعاهدة فشلت في مساواة الفرنسيين بالانكليز والهولنديين في فارس، والذين كانوا قد حصلوا على إعفاء تجارتهم من كل الضرائب. ولذلك لم تصادق فرنسا على المعاهدة حتى عام ١٧١١ بسبب عدم وجود اغراءات تجارية مهمة في فارس من ناحية ولانشغالها في حرب الوراثة الاسبانية (١٧٠٢ - ١٧١٣) من ناحية أخرى. ولذلك اكتفت بتعيين الأسقف بيدرو دو سان أولون قنصلاً لها في أصفهان.

---

(١) صالح محمد العابد: مرجع سبق ذكره، ص ٥٦، ٦٤ - ٦٥. وانظر أيضاً: Saleh, Zaki. Op.Cit. p.50.

واستفادت فرنسا من ضعف فارس وعدم قدرتها على مواجهة النشاط العربي المتزايد في الخليج في العقد الثاني من القرن الثامن عشر. ولحاجة الشاه الفارسي إلى المساعدة الفرنسية بعد فشله في الحصول على مساعدة الانكليز أو الهولنديين البحرية أرسل مبعوثاً إلى باريس للحصول على الدعم الفرنسي. وتمكن مبعوث الشاه من عقد معاهدة جديدة في ١٣ آب ١٧١٥ تضمنت إعفاء الفرنسيين من دفع رسوم الاستيراد والتصدير مع عدم تحديد حجم البضائع الفرنسية. وتعهدت فارس بمنح الفرنسيين الامتيازات التي قد تمنح في المستقبل لغيرهم من الأوربيين.

ولكن الحكومة الفارسية رفضت المصادقة على المعاهدة لعدم الإشارة إلى تحالف الجانبين ضد العرب في عمان. وتمسك الفرس بموقفهم بانتظار وصول السفن الفرنسية إلى الخليج العربي. ولما وصلت السفن في صيف ١٧٢١ صدقت الحكومة الفارسية على المعاهدة في أيار ١٧٢٢ وبعد بضعة شهور هدّد الغزو الأفغاني بالقضاء على الدولة الصفوية. وفي ٢٣ تشرين الأول ١٧٢٢ دخلت القوات الأفغانية أصفهان[1].

ومهما يكن من أمر فإن الشركة الفرنسية لم تحظ في منطقة الخليج العربي بأكثر من ممارسة تجارة محدودة نتيجة لوقوف انكلترا وهولندا ضدها، وللحروب التي كانت فرنسا طرفاً فيها في أوربا وخارجها في القرن السابع عشر.

---

(١) دونالد هولي: مرجع سبق ذكره، ص ٣٥. وانظر، صالح محمد العابد: مرجع سبق ذكره، ص ٣٨ ـ ٤٠.

الفهارس العامة

لكتاب

دراسات في تاريخ الخليج العربي

الجزء الأول

١ - فهرس الاعلام
٢ - فهرس الأماكن
٣ - فهرس الموضوعات

١ - فهرس الأعلام

حرف الهمزة - الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٢ - فهرس الأماكن

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

٣ - فهرس الموضوعات

الفهارس العامة